مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين– اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً إنك أنت العلم الحكيم.

وبعد فها هي رسالتي التي أقدمها بعون الله تعالى إلى كلية التربية قسم اللغة العربية، لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا للحصول على درجة الماجستير في الأدب بعنوان: "**الخصائص الفنية للشعر النسائي في العصر الأندلسي**" وموضوع هذه الرسالة من الموضوعات الأدبية التي طوى عليها الزمن جناحيه ولم يهتم الدراسون في البحث والتخصيص عن المرأة الأندلسية الشاعره، ولم يسبق أن أفرد بحث مستقل أو كتاب خاص بشأنها وربطها بقواعد الشعر في الأندلس وأنها لا تقل أهمية عن الرجل الشاعر فالمجتمع الأندلسي يتميز عن غيره بأنه مجتمع يكاد يكون كله شعراء، وكان الحس الشعري سمة مشتركة بين أفراده، وقد استطاعت المرأة الأندلسية أن تظفر بحظ كبيرة من النشاط العلمي والأدبي ولم تعد قرطبة وحدها قبلة الأنظار، يؤمها الشعراء والأدباء من شتى الأنحاء، بل تكاثرت المراكز الأدبية، كما تكاثر المادحون ومحبو الأدب، وأصبح التنافس شديداً بين الممالك والبلدان، لما يتميز به ملوك الطوائف من شاعرية وحس نقدي.

وكان للمرأة الأندلسية نصيب وافر في مضمار الشعر، جعلها تفوق قريناتها من نساء المشرق وتتفوق في بعض الأحيان على الرجال. وقد كان عددهم من الوفرة بحيث يشكل ملمحاً بارزاً من ملامح الشعر الأندلسي، وكان فنهنّ يدفع الدارس إلى الوقوف متأملاً مستبيناً ما فيه من أسباب الجدة ومظاهر الإمتاع والإبداع.

وفي فترات من الحياة الأندلسية المتقلبة سياسياً وثقافياً، كان للمرأة صورة تتفاوت بين الحسية والرمزية، غير أن الغالب الأعم وصفاً جسدياً لا يتجاوزه إلى مشاعر بشرية جديرة بسبر أغوارها، والتلذذ بالحديث عن المشاعر والمحبة والنوى والقرب وغيرها من المعاني الحسية الرائعة الجميلة. لكن تلك الصورة الغالية للشعر الأندلسي في المرأة قد سما به بعض من شعراء الأندلس مثل ابن زيدون في قصائده الرائعة التي كان جلّها في ولادة بنت المستكفي. أما العلامة ابن حزم فقد أورد في كتابه(طوق الحمامة) شيئاً عن المرأة لم يتجاوز فيه المشاعر إلى الجسد حيث قال(1):

وددت بأن القلب شق بمدية وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلين غيره إلى مقضي يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت فإن أمت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

فهذا الفيض في المشاعر الصافية، وهذا التدفق العاطفي الهادر نادر في الشعر العربي وبخاصة الأندلسي. غير أن هذا النموذج المثإلى لصورة المرأة قليل في الشعر الأندلسي، إذا ما قورن بصورة المرأة في بعدها الجسدي، وهو الاتجاه الغالب. ولعل أبرز مظهر من مظاهر هذه الحسية يتجلى في وصف جمالها الجسدي، والنظر إليه عضواً عضواً، من قمة الرأس إلى أخمص القدم. وبمقدار توافق تلك الأعضاء للذوق العام بمقدار مل تحظى بإعجاب الشاعر والرجل عموماً. وهو ذوق يعتمد على مقياس جمإلى يكاد يكون ثابتاً منذ عهد امرئ القيس: أي المرأة البيضاء البشرة، ذات القد المياس، والخدود الحمراء والشعر الأسود المسترسل، والعيون النجل، والرقيقة الخصر، والضخمة الأرداف... إلى آخر النقش كقول أبي القاسم المنيشي(1):

وعجزاء حوراء وفق الهوى تحيرت فيها وفي أمرها
غلأمية ليس في جسمها مكان دقيق سوى خصرها

ويتكرر هذا النموذج لجمال المرأة ويستمر إلى عهود متأخرة، فللحازم القرطاحي قصيدة مطولة تتبع فيها هذه الصفات الجمالية في المرأة، إن مثل هذه النظرة إلى الجمال عضواً عضواً لا تتسم بالحسية فقط بل هي صور تجزيئية للجمال، سطحية وخارجية، لا تكاد تتجاوز سطح الجسد إلى ما وراء من كيان إنساني وأحاسيس بشرية، فمثلاً المرأة عند ابن حمديس هي المرأة الغانية، التي يسلب الألباب، قوامها كالغصن وأردافها كالنقا وثغرها كالأقاح وهي كالمهاة حين ترنو في نقابها. وكالظبية في التفاتتها وجمال عنقها، رضابها كالطل، كالروضة تعبق نشرا، الخ.. كما في قصيدة له(2):

بأبي من أقبلت في صورة ليس للتائب عنها منْ متاب
كل حُسْنِ كامل في خَلقها لَيتها تنجو من العين بعاب
فالقوام الغصن والردف النقا والأقاح الثغر والطل الرضاب
ظبية في العقد إما التفتت ومهاة حين ترنو في النقاب

إنها امرأة لا يصرح الشاعر باسمها، امرأة استوفت كل شروط الجمال، ونحن أمام صورة لدمية جميلة، لكن لا ملامح تحدد شخصيتها أو أحاسيس تنم عن دواخلها.. غير أن ابن حمديس كثيراً ما اتخذ من جمال المرأة رمزاً لحنينه وأشواقه، وبخاصة في المقدمات الغزلية لأمداحه في أواخر حياته، حيث تصبح المرأة مرتبطة بتجربة الغربة التي عاناها منذ أن خرج من وطنه صقلية، حيث يصير حب المرأة جزءاً من حبه للوطن ومن الحنين العارم إليه كما في هذا البيت يصف حنينه إلى فتاة صغيرة السن ويشبهه بحنينه إلى وطنه.

رشا أحن إلى هواه كأنه وطن ولدت بأرضه ونشيت

مشكلة البحث:

1- مما يصعب على الدارس في شعر النساء أن بعض الشاعرات لم يحظين بالاهتمام وتدوين شعرهم وحياتهن فمنهم من وصل إلينا فقط بيتاً أو بيتين من الشعر.

2- كانت حياتهن غامضة الجوانب وقليلة المصادر.

3-يجهل الكثير من الدارسين أن للنساء أدب خاص بهن يعبرن فيه عن مشاعرهن وبحرية؛ لكن منهن من يتمسكن بقيود المجتمع وأخريات يتجاهلن هذه القيود.

4- بيان صورة المرأة وملامحها في الشعر الأندلسي وذلك من خلال إبراز الصورة المادية والمعنوية لها ثم بيان صورة المرأة في الأغراض الشعرية آنذاك وكذلك بيان خصائص الشعر الذي قيل في المرأة والذي قالته كذلك.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية البحث في إبراز صورة المرأة في الأدب الأندلسي، وذلك لأن هذا الموضوع لم يدرس دراسة وافية مستقلة، فهو بإذن الله سيفيد الباحثين في الأدب الأندلسي، وكذلك طلاب العلم كما أنه يبين الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلأمية في الأندلس وأوروبا.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1- معرفة أن النساء في العصر الأندلسي لهم أدب خاص بهن.

2- معرفة أشعار النساء وكيفية نظمهن للشعر وماهي نظرة المجتمع لشعرهن.

3- تأكيد كينونة النساء وأن لديهن الحق في أن يكون لهن شعر خاص.

4- أن للمرأة حريتها في التعبير عن عواطفها.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في بيان الشعر الخاص بالمرأة في بلاد الأندلس طوال فترة الحكم ومعرفة فترة الشاعرات الأندلسيات وبما فيهن الحرائر والجواري.

منهج البحث:

ستقوم الباحثة باتباع المنهج الوصفي التحليلي.

صعوبات البحث:

الصعوبات والعقبات التي واجهت البحث وكيف ذلك:

1- من الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث وجدت مصدراً رائعاً من الكلام لشعر المرأة يملأ القلوب وتشغف به النفوس وذلك لحسنه وجمال تراكيبه، ولكن لم أجد لبعضهن تاريخاً للنشأة لذلك بذلت جهدي بين تضاعيف وصفحات المراجع والمصادر وبعد بحث وتنقيب استطعت أن أوفر الثمرة المرجوة لذلك.

2- عدم الاهتمام بشرح النصوص حتى تظهر معاني الشاعر وأفكاره وأساليبه وتجربته ولون العاطفة التي شكلت ألفاظه.

الدراسات السابقة

بالرغم من قلة الدراسات فيما يختص بشعر النساء في العصر الأندلسي، وجدت الباحثة ضرورة تضمين دراسات سابقة جادة لها علاقة بموضوع البحث والباحث:

1- الرسالة الأولى:

- الدارس: فوزية عبد الله العقبلي

- عنوان الرسالة: "الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية".

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي بتاريخ (1421هـ- 2000م)، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

2- الرسالة الثانية:

- الدارس: سهيلة عبريق

- عنوان الرسالة: "شاعرات الأندلس من عصر الإمارة إلى نهاية عصر الموحدين"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي بالأندلس،عام(1430هـ- 2009م) بجامعة الملك فهد.

3- الرسالة الثالثة:

الدارس: نميري تاج السر أحمد لقمان

عنوان الرسالة: "الشعر الأندلسي في عصر الطوائف اتجاهاته وخصائصه الفنية"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة أم درمان الإسلأمية،(1426هـ- 2005م)

4- الرسالة الرابعة:

الدارس: سليمان إبراهيم سليمان الغلبان

عنوان الرسالة: "صورة المجتمع في الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف".

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النقد الأدبي من جامعة أم درمان الإسلأمية(1418هـ- 19980م).

5- الرسالة الخامسة:

الدارس: نور مقبل سوركتي

عنوان الرسالة: "الشعر في الأندلس ودور المرأة فيه"

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، من جامعة أم درمان الإسلأمية بعام(1423هـ- 2002م)

المطلب الأول

تسمية الأندلس

لم تعرف شبه الجزيرة التي تشمل دولتي أسبانيا والبرتغال باسم الأندلس وإنما عرفت من أقدم عصورها باسم إيبيريا نسبة إلى الإيبيريين (أسبانيا والبرتغال اليوم) الذين كانوا من أقدم من سكنوا هذه البلاد من البشر[1]. ثم عرفت بعد ذلك باسم أسبانيا هذا الاسم أطلقه الرومان على شبه الجزيرة حين حكموها، وقد استنبطوه من تعبير فينيقي وكان (الفينيقيون) قد أطلقوه من قبل على الشاطئ الذي نزلوا به من تلك البلاد، وخاصة الجزء الجنوبي حيث أسسوا مدنا لا يزال بعضها قائم إلى اليوم، مثل مدينة فارس (Gaziz) وكان ذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد[2]. ثم وفد الإغريق على شبه الجزيرة حول القرن السابع قبل الميلاد وأقاموا كذلك في بعض جهاتها وخاصة الجهات الشرقية منها، وأنشأوا من المدن مابقي بعضه حتى اليوم كمدينة برشلونة. وفي القرن الخامس قبل الميلاد [3] نزل القرطاجينيون شبه جزيرة إيبيريا وأسسوا بها مدنا جديدة مثل مدينة قرطاجة التي سموها باسم دولتهم في شمال أفريقيا. ثم بسط الرومان نفوذهم على شبه الجزيرة حول منتصف القرن الثاني قبل الميلاد[4] وبذلك أصبحت شبه الجزيرة ولاية رومانية، وقد صبغ الحكم الروماني تلك البلاد بصبغته التي ظلت أهم خصائصها من الفتح الإسلامي برغم أن الرومان لم يكونوا حكام أسبانيا حيث دخلها المسلمون، وأهم آثار الحكم الروماني التي ظلت حتى الفتح الإسلامي اللغة الرومانية والدين المسيحي.

ومن أوائل القرن الخامس الميلادي[5] استقر (الأندلس) في جنوب شبه الجزيرة حين أغارت تلك القبائل الجرمانية على ممتلكات الدولة الرومانية وقد ظل هؤلاء حينا في حنوب شبه الجزيرة ثم أجلاهم منهم القوط وهؤلاء كسابقهم أمثال القبائل الجرمانية الهمجية التي كانت تغير على ممتلكات الرومان في ذلك الحين وقد سيطر القوط على شبه الجزيرة تقريبا وأسسوا ملكاً كبيراً عاصمته طليطلة وظل حكمهم حتى الفتح الإسلامي عام 711م1.

وقد سار القوط أول الأمر سيرة حسنة في أسبانيا ثم ما لبثوا أن أساءوا الحكم إلى أنفسهم وإلى الأسبان جميعا وذلك بأنهم خلدوا إلى الملذات وتركوا الشعب نهبا واستأثروا بالسعادة والحرية. وقد ضاعف الحالة سوءاً كثرة المنازعات التي تحدث بين زعماء القوط على العرش، فهناك الفشل السياسي والضعف الحربي والتفكك الاجتماعي وقد تجمعت هذه العوامل المظلمة وهي تتطلع إلى فجر جديد.

السكان الأصليون:

1. تاريخ وحضارة الإسلام في الأدلس / السيد عبد العزيز سالم /الأسكندرية 1998/ص(5)
2. المرجع نفسه، ص (5)
3. تاريخ الأندلس الإسلامي من الفتح حتي سقوط غرناطة / للمؤلف عبدالرحمن علي الحجي /1492 / ص(33)
4. تاريخ الأندلس الإسلامي من الفتح حتي سقوط غرناطة / للمؤلف عبدالرحمن علي الحجي /1492/ص (33)
5. تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس / للسيد عبدالعزيز سالم / ص(6).

اختلف الباحثون في أصل الأندلسيين وتعارضوا أشد التعارض في اختبار الجنس البشري الذين يندرجون تحته، فبعضهم يري أنه نزل بالأندلس من العرب وساداتهم جماعة فكان أمرهم ما كان. فأما العدنانيون فمنهم قريش ومنهم مدين فأما بنو هاشم من قريش فمنهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبدالله ابن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب، من هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس، وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس ويعرفون بالقرشيين أمابنو زهرة فهم باشبيلية أعيان متميزون، وأما المخزومي الأعمي الشاعر المشهور من أهل (الحصن المورد) فمنهم الوزير القاضي في النظم والنثر أبوبكر ابن زيدون ووالده الذي هو أعظم منه أبو الوليد بن زيدون وزير المعتضد ابن عباد، قال ابن غالب في الأندلس من ينسب إلى الجمع و إلى بن عبدالدار، وكثير من قريش المعروفيين بالفهريين من بني محارب وفهر وهم من قريش، ومنهم عبدالملك بن فطن سلطان الأندلس ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء وبنو الجد الأعيان العلماء. قال بن حزم ولهم بالأندلس عدد وثروة وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير، جلهم في طليطلة وأعمالها. ولهم ينسب الوقشيون والكنانيون والأعيان الفضلاء[1]

وأما القحطانيون فهم الأكثر بالأندلس، ومن أهل الأندلس من ينتسبون إلى الأوس والخزرج. ومن كهلان من ينتسب إلى همدان، وأما حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب إلى ذي رعين، ومنهم من ينتسب إلى قضاعة. ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى حضرموت، ومنهم أيضاً من ينتسب إلى سلامات ومنهم الوزير لسان الدين الخطيب[2]

سائر حيواناتها وطيورها:

يوجد بالأندلس من الغزال والإبل وحمار الوحش وغير ذلك كثير. أما فلا يوجد بها الأسود والافبال والزراف وغير ذلك مما يكون في الأقإليم الحارة، ولها سبع يعرف باللب أكبربقليل من الذئب وقد يفترس الرجل إذا كان جائعاً. ويقال الأندلس فارهة الطول، ولها من الطيور والجوارح وغيرها وما يكثر ذكرها وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطوال والعرض[3].

أنواع الافاويه فيها (العطور):

قال ابن سعيد، عقال المسعودي في مروح الزهر في الأندلس من أنواع الافاوية خمسة وعشرون صنفا فيها الصندل والقرنفل والصندل والقرفة. وذكر ابن غالب أن المسعودي قال أصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود وكلها من أرض الهند الإ الزعفران والعنبر فأنهما موجودان بالأندلس [4]

1. جمهرة أنساب العرب لابن حزم الظاهري، تحقيق عبدالسلام هارون طبعة دار المعارف مصر 1962،صفحة (35)[1].
2. الأدب العربي في الأندلس، عبدالعزيز عتيق ،طبعة دار النهضة العربية بيروت 1970 ،صفحة (86).
3. نفح الطيب. ج (2) صفحة (200).
1. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني المتوفي عام 1041ه. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد _ دارالكتاب العربي. بيروت. الجزءالثاني، صفحة (200).

ثمارها وفواكهها:

وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله يكثرها فيها، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ولها من أنواع الفواكه الكثير كالتين والقوملي والتين الشعري بإشبيلية

وفي الأندلس من الخيرات التي تنزل من السماء القرمز والذي ينزل على شجر البلوط فيجمعه الناس من الشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الأحمر [1]

الموقع والبيئة الجغرافية:

بلاد الأندلس شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أوروبا والمياه تطوف بها من كل جوانبها عدا الشمال الشرقي حيث تحدها جبال البرنس الفاصلة بينهما وبين فرنسا. أما تلك الأمواه التي توشك أن تطوق الأندلس فهي مياه البحر الأبيض المتوسط من الشرق ومياه المحيط الأطلسي من الغرب والشمال وثم مزيج من مياه البحر والمحيط في الجنوب حيث مضيق جبل طارق ملتقي البحر بالمحيط والفاصل الضيق بين شمال أفريقيا وجنوب اسبانيا فهذا المضيق يبلغ عرضه في أضيق مواضعه خمسة عشر كيلو مترَا تقريبَا ولولاها للاصقت افريقيا من الشمال واوربا من الجنوب[2].

ويؤلف سطح شبه الجزيرة عناصر وأولها الهضبة الكبري التي تسمى مستياَ (Meseta)، ثم سلاسل جبال، وفي شرق الهضبة تمتد سلسلة الجبال الايبرية.

وتجري في الأندلس أنهار عديدة أهما نهر الوادي الكبير الذي يسمية الأسبان حتى اليوم بهذا حتى اليوم بهذا الاسم الذي أطلقه العرب ولكن مع تحريف يسير فيقولون (جواد الكبير) وهذا النهر يروي أكثر الأرض السهل الجنوبي ويمر بمنطقتي قرطبة واشبيلية، ثم يصب غربا في المحيط الأطلسي، ثم يلي الوادي الكبير شمالاً نهر (وادي بأنة) ويقع عليه مدينة طليطلة العظيمة.[3]

الطبيعة والمناخ:

تقع جزيرة الأندلس في المنطقة المعتدلة الشمالية بين درجتي عرض 36 فجوها في الجملة معتدلة وإن كان مختلفا مع اختلاف الجهات فهو في السواحل أعدل منه في الداخل لتأثرها بالبحار صيفا وشتاءَ

2. المرجع السابق نفس الصفحة
3. الأدب الأندلسي من الفتح الي سقوط الخلافة ص 76
4. تاريخ المغرب والأندلس. لاحمد مختار العبادي. جامعة الاسكندرية. مؤسسة الثقافة الجامعية، صفحة رقم (12)

فلا يشتد حرها ولا بردها كما أنه يختلف باختلاف الارتفاع والانخفاض فهو في الجبال أبرد منه في الثغور ولذا تغطي بالثلج إذ تطول ارتفاعها كجبل شائر 3 المطل على غرناطة[4].

أما أمطارها فكثيرة ولاسيما في الغرب وهي دائمة طول السنة مستمرة الانسكاب ويزيد هطولها في فصول السنة جميعها في فترات منقطعة أما في الجنوب فيسقط شتاءَ لاصيفاَ أما في الشرق فتسقط صيفا لاشتاءَ[1].

اما نباتها وأشجارها، فالأندلس تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط فيزرع فيها القمح والشعير والذرة والقطن والموز والفستق والنخيل واما فواكهها العنب والرمان والتفاح والكمثري والخوخ، والجبال التي تحيطها برد الهواء وكثافة الجو[2]

قال بن خفاجة:

إن للجنة بالأندلس *** مجتلي حسن وريا نفس

فسنا صبحتها من شنب *** ودجى ليلتها من لعس

فإذا ما هبت الريح هبا *** صحت وا شوقي إلى الأندلس [3]

المطلب الثاني

الفتح العربي الإسلامي

1- هو في معجم البلدان والرد من المعطار، ونفح الطيب (سلير) عين شينولامعين علي صورة المصغر
2- الأدب العربي في ظلال الغوصيات. لأحمد الشعراوي. مطبعة الأزهر (1372. 1953)م، صفحة رقم (12).
3 نفس المصدر، ص (14).
4- ديوان ابن خفاجة تحقيق مصطفي غازي دارالمعارف الاسكندرية (1960) صفحة رقم (96).

الفتح الإسلامي للأندلس لم يأت أصلاً بمجرد أن يقلب وأن يشعر بعزة النصر والظفر وإنما جاء لينشر دين الله الحق ويحرر الشعوب من عبوديتها، ثم تترك لها الخيارين الدخول في دين الله طوعا او البقاء على دينهم مع دفع الجزية. والأندلس تمثل تاريخنا الإسلامي والعرب حقبة مزدهرة وعصوراً مشرقة فعبر ما يزيد عن ثمانية قرون من الزمن ساد العرب المسلمون في ربوعها حضارة ورقيا وعدلاً وأقاموا صروحاً شامخة من ألوان المعرفة. وضم المجتمع الأندلسي أجناسا من البشر منها عرب، وبربر، ويهود، واسبان، وكانوا ذوي عقائد عديدة وعانت مختلفة والعرب منهم النزاريون والقحطانيون والبربر فكان منهم المسلم الذي اعتنق العقيدة الإسلأمية، والمسيحي الذي ظل على مسيحيته.

وكان للمسلمين جهود خلدها التاريخ على صفحاته، فقد بسطت جيوش المسلمين سلطانها على شمال أفريقيا واستمرت بتلك القوة التي لا يفصلها عن من الأندلس إلا مضيق جبل طارق، وكان قفائده على المغرب موسى بن نصير صاحب فضل كبير في تثبيت وتوطيد الإسلام بشمال أفريقيا ونشر رايته حتى المحيط الأطلسي[1]. ثم اقتحم موسى البلاد بجيوش المسلمين وكان ذلك حينما تقدم إليه بوليان (Juliqn)[2] حكم سبته وعرض عليه تسليم سبته. فكانت سبته ولاية أفريقية تابعة للقوط وكانت حصنا من الحصون الأفريقية.أما يوليان وبين (رذيق) ملك القوط.

فموسي قد رحب بهذا العرض وأرسل أحد محاربيه واسمه طريق بن مالك على رأس قوة صغيرة عبرت المضيق على سفن قدمها حكم سبته ونزلت في جنوب شبه الجزيرة بمكان لايزال بحمل اسم القائد المسلم إلى اليوم حيث يسمي جزيرة طريق (Terifa) ثم عادت تلك السرية إلى شمال أفريقيا أن موسي وزاد رغبته في تلك البلاد وكان عبور هذه السرية إلى جنوب إسبانيا عام (91هـ). 71م[3]

وفي السنة التالية (92هـ. 711م) أرسل موسي جيشاً كبيراً بقيادة طارق بن زياد لفتح هذه البلاد، وقد عبر جيش طارق هذا المضيق الذي سمي باسمه فيما بعد، ونزل من جنوب شبه الجزيرة في هذا المكان، وكان عبور هذا الجيش على سفن الحاكم سبتة. فكان من دوافع وأسباب الفتح العربي الإسلامي سوء الحالة الاجتماعية الداخلية بأسبانيا وغطرسة الرومان أولاً والقوط ثانياً وقسوتهم على الأهإلى واجمالهم مصالحهم، وإثقال كأهلهم بالضرائب. واضطهاد رجال الكنيسة لليهود كان سبباً ودافعاً للفتح وقد سخط الشعب على زريق آخر حكام القوط وعلى أبنائه وذلك لانغماسهم في الملذات. ومن دوافع الفتح

3. تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لابن الفرضي. نشر السيد عزت العطار. القاهرة 1373ه. الطبعة الاولي. صفحة (344).
1. جزوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس لابن عبدالله الحميدي. تحقيق محمد الطبخي دار السعادة. مصر (1953م) صفحة رقم (322)
2. فجر الاندلس حسين مؤنس طبعة القاهرة (1959م). صفحة (18).

تصميم يليان حاكم سبته على الانتقام من (زريق) الذي تعدي على ابنته فذهب إلى طليطلة لزيارته وهو يود الانتقام من محاربه [1]

وقد هزم طارق كل الحاميات التي تعرضت له بعد نزوله بالشاطي الأسباني، وواصل نبأ طارق إلى ملك القوط واستعد بجيش كبير واتجه به جنوباً للقاء طارق وجيوشه، وقد دارت المعركة في سهول شريش قرب مدينة قادس وعند وأدي لكة التقي الجيشان في معركة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين وتشتيت جيش القوط رغم تفوقه في العدة والعدد على جيش المسلمين[2]

المبحث الثاني

3. الادب العربي في ظلا لقوطيات ص 16
4. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين. محمدعبدالله عنان. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1966 ص (118)

الحيـاة السيـاسية

الدولة الأموية:

إمارة قرطبة حتى خلافة عبدالرحمن الثالث (138. 300 هـ)

تغلب العباسيون على الأمويين بدمشق وقضوا عليهم عام (133هـ _ 479 م)[1] وأبادوا دماءهم وقتلوا منهم أعداداً هائلة غير أن أحد الأمويين استطاع النجاة بنفسه من بطشهم وهو شاب في العشرينيات من عمره يدعي عبدالرحمن بن معاوية ابن هشام بن مروان [1]

لقد استطاع الفرار مستخفيا مع مولاه، ثم سار نحو المغرب الأقصي ونزل عند أخواله من قبيلة نضرة، ودخل الأندلس في غرة ربيع الأول (138) في خلافة أبي جعفر المنصور، سمي نفسه (عبدالرحمن الداخل)؛ لأنه أول من دخل الأندلس من بني مروان وقطع الخطبة من بني العباس ودعى له المنابر، ولم يتم ذلك إلا بعد معارك طاحنة زادت رحاها بينه وبين الموالي (الفهري الطمل) وانتهت بهزيمته ففر هارباً من عقاب عبد الرحمن وكان ذلك عام (138هـ-756م)[2]

وأحس أبو جعفر المنصور بخطر عبد الرحمن الداخل في عرشه. فسير إليه جيشاً بقيادة العلاء بين المغيث ليقضي عليه قبل استفحال أمره، ودارت معارك بين الجانبين كان الفشل فيها من نصيب العلاء وإلى أفريقيا. ففي عام (158هـ – 1775 م)[3] هاجم شارلمان إمبراطور دولة الفرنجة الأندلس بجيوش ضخم بمساعدة بعض الخارجين على حكم عبدالرحمن الداخل، ولكن عبد الرحمن هزمهم واستمر حكمه للأندلس أربعا وثلاثين سنة، فصارت الأندلس تتمتع من الناحتن السياسية والاجتماعية بصفات الدولة القوية والمنظمة، وبعد وفاته تتابع على حكم الأندلس أبناؤه وأحفاده ومنهم عبدالرحمن الثاني (206 هـ. 238 هـ) الذي هزم النورمانيين حينما حاولوا دخول الأندلس من السواحل الغربية وردهم خاسرين عام (229 هـ. 844م)[4]

وفي عهده قدم من بغداد زرياب المغني المشهور تلميذ إبراهيم الموصلي فكان له تأثير كبير في الحياة الاجتماعية الأندلسية فقد نقل كثير من العادات الشرقية السائدة في بلاط بني العباس إلى الأندلس من تأنق وذوق في الماكل والمشرب والحفلات كما كان له تاثير قوي في الحياة الثقافية في الأندلس.

عهد سيادة قرطبة وعبدالرحمن الناصر (300هـ – 422هـ) (912.. 1031 م):

1. جمهرة أنسابالعرب. لابن حزم. تحقيق هلال ناجي وآخر طبعة تونس (1967م). صفحة (92).
2. نفح الطيب. ج (2). ص (329)
3. تاريخ افتتاح الأندلس: لابن القوطية القرطبي. تحقيق عبدالله الطباعه. مطبعة بيروت. ص (20)
4. تاريخ الأندلس ابن القوطبة – ص (21)

في عهد الدولة الأموية ظل مانسميه سيادة قرطبة شيئا نسبيا، وذلك لأن الحكام لم يستطيعوا أن يضبطوا جميع الجهات الأندلسية والحروب الخارجية لازالت مستمرة لذلك كانت السيادة تنبسط حينا على رقعة واسعة ويتقلص ظلها على حين آخر. وكان عهد الولاة قد مضي في توسيع الحدود الحروب القائمة على العصبيات، فإن عهد الدولة الأموية شغل كثيراً بتثبيت الحدود وبالقضاء على الفتن التي يثيرها الطامعون في الداخل[1].

واستقلت الفتنة بين العرب والمولدين بالبرة واجتمع العرب إلى زعامة (سوار بن حمدون) ثم (سعد بن جودي) وترأس المولدين رجل يدعي نايل ونشبت بين العرب والمولدين ثورة أخرى بإشبيلية، وهكذا كان كل شئ يشير بتصدع أمر الأندلس ومن هنا نري أن نواة الانقسام الذي تم بعد [3] الفتنة البربرية كان موجودا في تكوين الدولة نفسها وقد استطاع الناصر أن يحقق للدولة شيئا من النصر في الداخل[2]والخارج وأن ينعم ابنه الحكم بثمرات السلم وينصرف الى الاهتمام بالعلوم.

ولكن كاد المقصود بن أبي عامر يقبض على زمام الأمور حتى صرف همه من جديد إلى تحقيق السيادة بالغزو المتواصل، وسار ابنه المظفر في إثارة ثم عاد الأمر أبان الفتنة إلى الفوضة واشرابت الميول الانفعالية من جديد.

وهل كان كانت بيعة التفكك ناشيئة عن خلل في الإدارة الأموية وهل كانت من كثرة الاعهداد الخارجين ؟ وهل للوضع الجغرافي أثر في ذلك ؟.

وبصورة مجملة إذا استثنينا الحكم الربطي فإننا نجد المصادر تضيق بالثناء على خصائص العدل عند أولئك الحكام فكانوا يتحرون أحوال الرعية ويجلسون للمظالم ويقدسون حكم القضاء ويحاربون فيأنفسهم ما قد يجدونه من هوى جامح.

كان عبدالرحمن الداخل على سيرة جميلة من العدل وكان ابنه حسن السيرة متحيزاً للعدل يحاول التشبه بعمر بن عبدالعزيز في سياسته وكان يبعث قوماً عدولا يسألون الناس عن سيرة القتال وكان الأمير محمد عظيم الأناة، ويؤثر الحق أهله ولايسمح عن باقي محبوباً في جميع البلدان.[3]

أما عبدالله فكان مقتصراً في ملبسة وشكلة وجميع أحواله محبا للخير وأهله. كثير الصلاة دائم الخشوع، شديد الوطاة على أهل الظلم والجور [4]

---

1. تاريخ الأندلس في عهد سيادة قرطبة – احسان عباس – ص (20)
2. تاريخ الأندلس بعهد سيادة قرطبة – احسان عباس ص (22)
1. نفح الطيب.للمقرئ. ج (2) ص (160)
4. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – لابي عبدالله محمد الشريف السبتي الادريسي – طبعة ليزان – صفحة رقم (69)

من خلال هذه الأوصاف لهؤلاء الأمراء وغيرهم ونستشف البساطة في تناول الأمور، وقلة الإنغماس في نعيم الدنيا أو إهمال امور الرعية وقد ظل الأمر كذلك حتى إنقضي عهد الأمويين والعامريين بقرطبة.

ومع تردد السيادة السياسة بين الامتداد والتقلص كان ما هناك شيئان آخران في النمو وهما مدينة قرطبة نفسها، وفي عمرانها وأبهتها والطابع الحضاري العام للبلاد الأندلسية، وقد ساعدت طبيعة الأندلس وكثرة خيراتها الزراعية والمعدنية على ذلك كما ساعد عليه ما استمدوه من المشرف في شؤون العلم والأدب والحضارة المادية. فكان التجار ينقلون الحضارة المشرقية إلى الأندلس دون انقطاع وفي أيام عبدالرحمن الثاني دخل الأندلس النفيس من غرائب الأشياء من بغداد وعندما قتل محمد الأمين سبق إلى الأندلس الموسيقيى والأغاني الممشقية كما دخلها الكثير من صور الحضارة مع الثراء ورفض الأبصار والعمران فأصبحت قرطبة تنافس المشرق في روعة عمرانها وطمأنينة الحياة في ربوعها [1]، حتى قال (ابن حوقل) حيث زارها في خلافة الناصر عام (337) وهي أعظم مدينة بالأندلس وليس يجمع المغرب لها عددي شبة ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة أهل وفسحة أسواق ونظافة مجال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق [2].

واشتهرت بمساجد الجامع وبساتينها الكثيرة كما عرفت بكثرة علمانها ومكتباتها ورغبة أهلها في العلوم واقتناء الكتب وهي بهذا تتميز على سائر المدن الأندلسية.

وأخدت المدن الحضارية تمتد إلى نواحي الأندلس ومع أن أكثر المدن قد اتسع بدخول المهاجرين. وقبل أن تنمو قرطبة نمواً بالغاً في أيام عبدالرحمن الناصر ومن بعده كان المظهر الغالب على حياة المدن الأندلسية هو الطابع الريفي ومن مظاهر هذه الحياة الريفية البساطة والخشونة والطبيعة وعدم التصنع في المعاملات بين الناس والانقطاع بالجهد البدوي والزراعي.

---

[1]. المغرب في حلي المغرب لابن محمد الحجازي وعبدالملك بن سعيد وآاخرون تحقيق شوقي ضيف – طبعة دار المعارف القاهرة صفحة (46,47)

[2]. صورة الأرض لابن حوقل طبعة لندن (1938 – 1970 م) صفحة (20)

عصر ملوك الطوائف:

بانتهاء الحكم المرواني صار كل من يجد نفسة القدرة على القفز إلى السلطة من الإصراع والرؤساء يستولي على إمارته ويستقل بها ثم يصيرها دولة وينصب نفسه ملكا عليها. ويتخذ أهم مدنها عاصمة له ومن أهم هذه الدويلات.

- **الدولة الحمودية:**

واستغلت في عهد المستعين الأموي سنة (407هـ – 1016 م) وهي شبهة من المغرب تنتسب إلى إدريس من سلالة الحسن بن على وتنقلت بين قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء.

- **الدولة الزيدية:**

واستغلت في غرناطة سنة (403هـ – 1012 م) وهي دولة بربرية ظل ملكها حتى سنة (ى483هـ – 1090 م)

- **الدولة الهودية:**

واستقلت في سرقسطة وحكمتها من سنة (410 هـ – 1019م) وهي دولة عربية من أشهر ملوكها المقتدر بالله.

- **الدولة العبادية:**

في اشبيلية وحكمتها من سنة (414هـ – 1023 م)حتى سنة (484هـ – 1109 م) وهي عربية من لحم من ولد النعمان بن المنذر، واتصل مملوكها الشعراء ومن اشرهم ابن زيدون.

- **دولة بني الأفطس:**

في بطليموس وحكمتها من سنة (1421– 1030 م) حتى (487هـ – 1094م) وينتمون إلى بربر مكناسة.

- **دولة بني ذي النون:**

في طليطلة وحكمت من سنة (427 هـ – 1035م) حتى سنة (487هـ) وهي بربرية من هوارة[1].

2- الحياة الاجتماعية:

الحضارة والرقي:

وقد يكون من الأمور اليسيرة أن نتصور جوانب شاملة التباين متعددة السمات متشبهة الجهات مختلفة الأهواء في بيئة كالبيئة الأندليسية.

[1]. الحلة السيك – لابف عبدالله بن الأربار القضائي – تحقيق دورزي. طبعة ليدن (1851م) صفحة (255)

لقد ضم المجتمع الأندلسي أجناساً من البشر ذوي عقائد عديدة وعادات مختلفة من عرب وبربر وصقالبة واسبان ومن الأسبان من اعتنق الإسلام ومنهم من ظل على مسيحيته

اشتهر الأندلسيون بصفات اختصوا بها وتميزو بها عن غيرهم من الأجناس مثل النظافة في ملبسهم ومظهرهم أما صفاتهم الخلقية فقد حافظو على الاصول، ونجدهم قد كانوا محبين للشرب، لوفرة الكروم في بلادهم. [1]

ولعل من أهم الأسباب التى دفعتهم إلى حب اللغة العربية لغة الإسلام، أنها لغة العلوم والمعارف التي اقتصرت إليها اللغات والأجناس الأخري في وقت عم الجهل سائر أرجاء المعمورة وسيطر الفساد على جميع بقاعها فجاءت الأقاليم والدينية، ولتحيل ظلام الجهل الحالك والضلال والشامل والظلم السائد إلى نور وعدل وهدئ.

منزلة الفقهاء والعلماء:

وكان للفقهاء بالأندلس منزلة سأمية فقد وقف الحكام في صفهم بتأييد أفكارهم وآرائهم حتى يكونوا لهم سندا وعونا على البقاء في السلطة ولهذا حارب الحكام الفلسفة وتقربا إليهم وصارو لايصدرون حكما ولاقرارا في سلم أو حرب إلا بمشورتهم واعتمدوا عليهم في جمع المسلمين لمحاربة أعدائهم من الفرنجة، وأصبح الفقهاء أعظم شأنا وأوفر حظا في عهد المرابطين ؛ لأن أمراءهم لم يكونوا يقطعون في أمر الا بمحضر أربعة من الفقهاء فبلغوا في أيامهم منزلة سأمية لم يبلغوا في سائر العصور فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم فاقبلوا على تكديس اموالهم وصاروا طبقة متميزة في المجتمع الأندلسي [2]. مما دفع ابن خفاجة يقول:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم ** فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة ** في أخذ مال مساجد وكنائس [3]

وكان الشعر والأدب وسيلة ترفع من صاحبها إلىأسمي مراتب الدولة بغض النظر عن الدين أو العقيدة، فقد نبغ عدد من الشعراء المسلمين، وتولي بعضهم منصب الوزارة وشكلوا ما يمكن نسمية شعر أهل الذمة ونبغ من بينهم بعض الشاعرات مثل قسمونة بنت اسماعيل إليهودية.

1. جذوةالمقتبس – لابنعبداللهالحميدي – طبعةمصرص(126.
2. جدوة القتبس في ذكره ولاة الاندلس – لاين عبدالله – ص (39).
3. .فضائل الأن الاندلس وأهلها. ثلاث رسائل لا بنحز موابن سعيدالقشقلندي – جمعها ونشرها الدكتور صلاح الدين المنجد– دار الكتاب الجديد. طبعة بيروت. صفحة (125)

لقد تولى ثلاثة من الشعراء الوزارة في الأندلس أولهم الوزير الشاعر الكاتب مسداي الذي لقب نفسة بأبي الفضل بعد أن صار وزيرا. وله شعر جميل يمثل الصورة الذهنية ومن صوره الجميلة في يوم غائم نزل فيه الثلج:

أطربنا غيم يمازج شمسه *** فينشر طورا بالسحاب ويكشف

تري فرحا في الجو يفتح قوسه** مكبا على قطن من الثلج نيدف [1]

فهو في هذه الأبيات يصف بأن ذلك اليوم جميل جداً وأن الغيوم مختلطة مع هذه الغيوم مرة تظهر للشمس وتحف وبه يظهر القوس قزح وتانه هذه فهو ينزل علينا مثل القطن

القصور:

ظلت المجوعات الهائلة التي تسكن الأندلس مالبثت أن انصهرت معا جنت ثمارها استقرارا وعلما ثقافة فنونا معرفة ورى، حتى أن الأموال التي تركها عبدالرحمن الناصر في خزائن الدولة كانت خمسة الاف الاف الف الف الف (ثلاث مرات) دينار، وثلثها كان يصرف في العبث واللهو والمجون، وثلثها في التعمير والبناء، وثلث للجيش، وثلث يدخر ليكون احتاطي الخزنة.

وقد حفلت بلاد الأندلس ومدنها بالقصور الأنيقة التي ولع الملوك بها، وأغرموا بتزيينها والْأنفاق على زينتها وأسرفوا في زخرفتها والحقوا بها ال بساتين والعناء، والبرك وذات المرمر التي تحيط بها التماثيل الرئعة من كل جانب، وكان أول الملوك الأندلسيين الذي أشرف في بناء القصور هو عبدالرحمن الاوسط الذي بني عدد من القصور منها البهو الكامل والمنبثق. ولم يقفل الشعراء عن وصف هذه القصور التي أسرت أنظارهم دون ري لما حوت من فخامة وجمال[2].

ويصف عباس ابن فرناس بعض ما رأي من فخامة قصور عبدالرحمن الأوسط مصورا ما فيها من ترف وزينة فيقول:

حنايا كأمثال الأهلة ركبت ** على عمد تعتد في جوهر البدر

كأن من الياقوت قيست رؤوسها ** على كل مسنون مقبض من السدر

تري الباسقات الناشرات فروعها ** موائس فيها من مداولة الوقر

كأن صناعاَ صاغ بين غصونها ** من الذهب البادي عراجين من تمر [3]

1. البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب: لأبي عذري المراكشي – طبعة بيروت 1950 / جزء الثاني. صفحة . (441)
2- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لابي نصر الفتح ابن فاقان بن محمد بن عبدالله القبسي المتوفي (529ه) طبعة القاهرة (1283ه(صفحة (183).
1- نفح الطيب. المقرئ. ج(2) ص (112).

فهو يصف في هذه الأبيات قصر عبدالرحمن الأوسط مصورا ما فيه من الترف والجمال والزينة، فهو قد شبه هذه القصر بأن أعمدته من طولها وضخامتها كأن طولها يصل إلى القمر في السماء، وان رؤوس هذه العواميد مرصعة بالياقوت دلالة على جمالها وشبه هذه القصور بانها طويلة باسقة مثل النخلة العإلـة التي تنشر فروعها وشبه هذه النخلة بأن هنالك عامل قد صنع عراجينها من الذهب الخالص. فهو يشبهها باللؤلؤ الذي تحول إلى زمرد.

ونحن في حديث الحضارة والرقي لانستطيع ان نقفل الإشارة إلى ضاحية الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر شمال قرطبة سنة (325هـ) وكانت للناصر جارية قريبة إلى نفسة إسمها (الزهراء) فقالت له إشتهيت لو بنيت لي مدينة تسميها بإسمي وتكون خاصة لي فأمر الناصر ببناء المدينة تحت جبل العروس غرب غرناطة وجدولها مستترة للزهراء وحاشيته ورجال دولته وجلب لها العديد من ألوان الرخام لبناء الزهراء فأتي بالرخام الأبيض (والوردي والأخضر من افريقيا). والحوض المنقوش بالذهب من الشام، فلما التهي بناء المدينة الناصر أن تنقش صورة الزهراء على بابها[1].

وكان الناصر يميل إلى العمران بطبعة ويعشق الجميل من المناظر، وكذلك كانت معظم مدن الأندلس فلها من الحضارة والرقي والعمران والفنون والزينة والزخارف والأناقة والحدئق والضفاء الكثيرة، وكانت القصور تحاط بتماثيل وتحف إلى غير ذلك من الوان الفنون الأخرى التي يسر بها عين الرائي ومعنى ذلك أن الحضارة العمرانية قد حققت من الجمال وروعة النشييد قبل ثمانية قرون ما تسمى جاهدة إليه حضارة العمران في القرن العشرين.

أما من ناحية الملبس فقد كانوا يصنعون ملابسهم من النسيج الفاخر ومن الديباج والحرير المختلف الألوان وقد كانو يطلقون على ثوب اسم حلة والحلة تعني قطعتين من الثياب هما الردا أو القطن المزخرف بأشكال هندسية على شكل معينان، واللباس العام الذي يلبسه الناس كان الطيلسان وهو الثوب الموصول به غطاء الرأس أما غطاء الرأس فكان العمامة لمن أراد ولقد كان أهل مشرف الأندلس حتى الأمراء والعظماء يبلون حاسري رؤسهم. والمجتمع الأندلسي كان مجتمع يسر ،وحب ،وتسامر، فهو شعب شديد العناية بجمال المظهر ولاغرابة في ذلك فطبيعة البيئة الجميلة التي يعيش فيها هي التي هيأت له ذلك فضلاً على أن الدين الإسلامي يحث على أن تكون النظافة شعيرة من شعائره.

الفكاهة والملح:

1- نفخ الطيب – المقرئ – ج (2) ص (115)

هذا ولاشك ففي الأندلسيين ظرف فكاهة ارتباطاً بيسر الحياة ولينها، واتسم المجتمع بخفة الروح ومن ذلك قصة قاضي لوشة الذي كان يستعين بامرأته في إصدار الأحكام أن صاحبا من أصحابة كان يعلم ذلك، ولعله لسان الدين الخطيب كان يكتب إليه مداعيا:

بلوشة قاض له زوجة *** وأحكامها في الوري ماضيه

فيا ليته لم يكن قاضيا *** وياليتها كانت القاضية [1]

ويطلع القاضي زوجته على البيتين وتقف عند التورية اللطيفة وفي صفة القاضي في البيت الثاني وتقول له ناوليني القلم ثم تكتب على البديعة معرضة بكاتب البيتين:

هو شيخ سوء مزدري ** له شيوب عاصية

ومن الشعراء الظرفاء الذين أكثروا من الملح والفكاهة (خلف بن فرج الالبيري) المعروف بالسميسر فيقول:

انا أحب الشعر لكنني ** أكره أهل الشعر بالفطرة [2]

ولست تلقي رجلا شاعرا ** وإلا وفيه حلة تكره [3]

إن لم يكن كفر يكن افة ** تلازم الظهر او السر [4]

وهكذا فمعظم شعراء الأندلس كغيرهم من الشعر لهم من الظرف والملاحة وقد ساعدهم ذلك على وفرة النعيم وخلو البال والهدوء الشامل والطبيعة الغناء.

1- آفة: عادة ملازمة
2- الفطرة (السجية)
3- خلة (صفة) لملازمة للمرء
4- اخبار الغناء والمغنيين في الاندلس احسان عباس الجزء الاول عدد ازرار (1963) الجامعة الامريكية بيروت ص (25).

المطلب الثالث

الحيـاة الثقافية

أ/ الثقافة في الأندلس:

نهضت الحياة العقلية. الثقافة الأندلسية نهضة شاملة وذلك لأن ظروف الأندلس نهضة شاملة وذلك لأن ظروف الأندلس قد ساعدت على هذه النهضة فالاستغلال والأمن والرفاء والحضارة والرقي كل ذلك من شأنه ان يدفع إلى حياة ثقافية ناهضة ويساعد على مستوى علمي رفيع. وعندما استقر المسلمون في الأندلس وامتد على حياتهم ومصدر عرقهم بدأوا في الدراسة والبحث والأول ما اعتمدوا عليه في بحثهم هذا الكتاب والسنة فكانت أفكارهم مستمده من هذين المصدرين وكانت علوم الشريعة وعلوم اللغة وما يتصل بتقويم اللسان والبيان كان سببا في انتشار الثقافة [1].

وكانت لطبيعة الأندلس الجميلة الأثر الملموس في صفاء نفوسهم ولقد قربتهم وخصومهم منهم وسرعة بديهتهم فبرعوا في علوم الدين واللغة والأدب.وكان تصادم الآراء السياسية والدينية باعثا للمسلمين على التعمق في فهم دينهم الذي يعتنقونه ولهذا ظهرت المذاهب الفقهية بين مسلمي الأندلس واتبع كل المذاهب من هذه المذاهب جماعة من المسلمين وكان لانتشار المذاهب الاثر الحاسم في تطور الثقافوة وعلى الرغم من الاضطرابات التي تعرضت لها البلاد في الحياة السياسية فانها كانت شعلة ومنارة وهداية وكانت جامعاتها في قرطبة واشبيلية وغرناطة وغيرها من الحواضر الأندلسية ملتقي طلاب العلم فكان الأندلس مكانة مرموقة في العلم والأدب وبالاجمال سوف نلقي الضوء على الثقافة الأندلسية والفكر الإسلامي عبر العصور المختلفة.

امتزاج الثقافة الأندلسية:

لم تتخذ الثقافة الأندلسية طابعها المميزإلا في فترة الإمارة بقرطبة أما في عصر الولاة كان اعتماد الثقافة الأندلسية على الثقافة المشرقية كبيراً وأمراً لاريب فيه وذلك لانشغالهم بالحروب والمتواصلة والصراعات الطاحنة فلم يكن لديهم متسع من الوقت للبحث والدراسة [2].

غير أن كان هنالك نفر من الصحابة والتابعين الذين كانو على حظ من المعرفة الدينية بصبحت الجند في، ميادين الجهاد والافتراء بأمور الدين والفقة فالحياة الثقافية كانت لاتتعدي حلقات الدرس في بعض المساجد وكان الاساتذه قليلين بطبيعة الحال. وكان هذا القدر المتواضع من الثقافة بمثابة الخيط

1- نفح الطيب ط 1 ص 45

2- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية التاثيرات المشرقية ومدى اثرها في تكوين الثقافة الأندلسية. محمود مكي مجلد 1061 - 1962

الأول لفجر الثقافة الأندلسية وقد حفظت لنا المرجع العربية بعض من يفرض الشعر منهم: ابن القمة وهو من العرب الوافدين على الأندلسي وقد اشتهر بالهجاء والمديح ومن شعره:

ولقد أراني من هواي بمنزل ** عال ورأسي ذو غدائر اقترع

والعيش أغير ساقط أفنانه *** والماء أطيبه لنا والمرتع[1]

ومن شعراء تلك الفترة حسام بن ضرار الحلبي وكان قد وفد إلى الأندلس والياً عليها عام 125هـ وكان فارسا لذا لقب بعنترة الأندلس وهو لغيره لم تحفظ له كتب الا قليل من شعره في الرثاء:

فليت ابن جواس بخير أنني *** سعيت به سعي امرئ غير غافل

قتلت به تسعين تحسب أنهم ** جزوع نخيل صرعت بالمسايل [2]

وقد يكون هنالك شعراء آخرون ضاعت أشعارهم مما ضاع من تراث الأندلس في هذه الفترة المضطربة، شعراء هذه الفترة مشاعر وفدوا على الأندلس فيمن وفد مع الفتح او بعده وظهر في هذه الفترة كتاب إذا كانت دواعي النثر من دواعي الشعر لديهم ومن الكتاب خالد بن يزيد وكان النثر في تلك الفترة تشمل مسائل. الدين وشؤون السياسة وأمور القبائل وذلك لان كتاب النثر أيضاً كانو مشارقة شأنهم شأن الشعراء أيضاً ومن الشعراء ما نسب إلى طارق بن زياد.

ولسنا نبالى كيف سالت نفوسنا *** إذا نحن أدركنا الذي كان أجورا

ولما جاء عصر الإماره شعر المسلمون بالاستقرار إلى حد ما وامست الحاجة إلى الثقافة ماسة لكي تصبح لهم مكانة بارزة ينافسون بها المشارقة وهنالك عده عوامل ساعدت على ازدهار الثقافة وانتشارها في ظل إماره الأمويين بالأندلس هي:

أولاً: وفود كثير من الأمويين الفارين من بطش العباسيين إلى الأندلس وجاء الكثير ممن يرغبون في الإقامة بالأقاليم الجديد لوفرة خيراته وجمال طبيعته ومما لا ريب فيه أن كثير ممن فد منهم كان على حظ وافر من الثقافة والمعرفة ومنهم عبدالملك بن مروان.

ثانياً: عودة البعثات التعلمية التي اجتهد الأمراء في ارسالها للدراسة في المشرق العربي فقد عاد رجالها بعدد وفير من العلوم والمعارف فكانوا رسلا لنشر هذه الثقافة بين جنسهم ومن اشهرهم الفاغري بن قيس وغيرهم من ذوي العلم والمعرفة.

ثالثاً: إنشاء مسجد قرطبة حيث أنها أصبحت بمثابة الجامعات في وقتنا الحاضر وظهر في هذه الفترة أول فيلسوف هو محمد بن ميسره الذي شقف بالدراسات العقلية وقد استطاع هذا العالم أن يجمع حوله العديد من الطلاب الذين يتلقون تعاليماً.

---

[1]. المختار من الشعرالاندلسي لمحمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر ببيروت لبنان ص 45

[2].وفيات الأعيان في ابناء الزمن لابنفل كان تحقيق صحي الدين عبدالحميد ط النهضة القاهرة ص 14 ه

رابعاً: جمع الكتب واقامة المكتبات العامة التي يرتادها الدارسون والباحثون وساعد على ذلك من نشاط الحركة الثقافية بالأندلس.

خامساً: مشاركة الأمراء والخلفاء في الأندلس في إثراء الثقافة الأندلسية فمعظم هؤلاء الأمراء كانوا أدباء وشعراء وعلماء ومن النصوص الأدبية في عصر الإمارة قول عبد الرحمن الداخل وقد بعث بالأبيات إلى أخته:

إن جسمي كما علمت بأرض *** وفؤادي ومالكيه بأرض

قد قضي الله بالفراق علينا *** فعسي باجتماعنا سوف يقضي

وهذا يزكرنا بأبيات ابن عبد ربه والتي هي من روائع شعره هذان البيتان الساحران اللذان تأثر بهما ابن زيدون حين كان يبكي حبه لولاده بنت المستكفي مغتربا في البلاد.

سائحا في الربوع ضاربا في مشارق الأرض ومغاربها ولم يكمن ابن زيدون وحده الذي تأثر بهما فكثر قد استهوت أفئدتهم كلماتها لأنها الأصل الذي يعيش في كل كبر حري فارقت الأهل والأحباب.

الجسم في بلد والروح في بلد *** ياوحشة الروح بل يا غربة الجسد

إن تبك عيناك لي يامن كلفت به *** من رحمة فهما سهمان في كبدي [1]

أما في عصر الخلافة فقد شقت الثقافة طريقها المستقل عن الشرق وصارت لهما شخصيتها المتميزة وساعد على ذلك ما نعمت به البلاد من توحد واستقلال وهذه كلها أشياء من شانها أن تدفع بجملة الثقافة والرقي والحضارة إلى الأمام.

وظهرت مجموع مؤلفات نخبة من العلماء منهم من له مؤلفات في التاريخ والطب والأدب والتراجم والفلسفة ومن هؤلاء فلاسفة الأندلس ومن الأمراء من أحبوا الثقافة والعلم فكان الناصر وابنه الحكم قد استقدمها أبو على الغالي من المشرق وهياله الظروف المناسبة حتى تمكن من الجلوس في جامع قرطبة للتدريس كما أنه أوكل إليه تربية ابنه الحكم وعهد إليه بأمر تثقيفة ولابد أن يكون الغالي قد حمل معه من المشرق العديد من مؤلفات الشرقين ودواوينهم وإذاعها بين الأندلسيين[2]

أما الحكم فقد جمع في مكتبته ما يربو عن الأربعمائة ألف مجلد وأنفق في تكوين هذه المكتبة أموالاً باهظة وقد شجع العلماء والفقهاء على البحث والدراسة وهيأ ولهم الظروف الملائمة لهم من سكن ومال وكان يبدي رايه في الموضوعات المطروحة للبحث فقد اقترح على ابن الصغر أن يؤلف له كتاباً في أشعار خلفاء بني أمية.

1- مناهج التاليف عند العلماء مصطفي السقعة – دار العلم للملايين ج 6 ابريل 1991 م

2- الفهرسة لأبي بكر محمد بن خيره ط سرقسطة 1894 م ط 1 ص 39

وهذه النهضة في التأليف والبحث شملت مختلف أنواع وظهرت مجموعة من الكتب منها مختصر كتاب العبث وكتاب طبقات النحويين والمقصور والمدود. ونبغ فقهاء عديدون في التأليف منهم يحى الليثي وأبوبكر بن القوطي وله باع طويل في الفقه واللغة والحديث1، وظهرت مجموع من آثار هذه النخبة من العلماء، منهم أبوبكر بن القوطية وله كتاب تاريخ افتتاح الأندلس وأطلقت فلسفة في هذا العصر وظهرت إلى الناس وفلسفة ابن مسرة، انتشرت مبادئة وأفكاره وفي الطب نبغ الكثيرون منهم سعيد عبد ربه وأحمد بن يونس وفي الرياضيات تفوق أبوبكر بنعيسى الذي كان مبرزا في الهندسة والنجوم وهذا العدد الغفير من العلماء في شتى فروع المعرفة يدل على تشجيع الأمراء للثقافة وأصحابها وعلى إقبال الأندلسيين على والبحث حتى اضحت هذه الفترة من أزهى العصور الذهبية. وليس من شك في أن دخول ديوان المتنبي إلى الأندلس في فترة الخلافة كان من أهم العوامل التي زادت من اهتمام الأندلسيين لهذا الإتجاه المحافظ الجديد.

فالمتنبي كان من أشهر شعراء العربية وقد تربى على عرشها بلا منازع وقال عنه ابن الرشيق القيرواني ملأ الدنيا وشغل الناس وكان اسمه ذائع في المغرب ما كان يملأ الأسماع والقلوب في المشرق فدخول شعره الأندلس في فترة الخلافة آثار اهتمام الأندلسيين فقد استطاع أن يجعل من اللغة كائنا ينبض بالحياة فطرق بذلك أغراض الشعر المختلفة وفي كل غرض يجعلك ظمآناً إلى ما دون الارتقاء من فيض كلماته ونبع إبداعه وفنه وقدرته على اشاعة روح الترابط بين الدلالات اللغوية فاحرك بذلك زمام اللغة.

وفي مقدمة هؤلاء الذين نقلها شعر المتنبي إلى الأندلس زكريا ابن الأشبح وهو جزائري الأصل كان قد التقي بأبي الطيب خلال إقامته بمصر ودرس ديوانة ثم رحل إلى الأندلس فأغراهم هذا الديوان[2]. ويبدو أن الاتجاه الجديد قد بدا يطغي على الاتجاه القديم ويبدو كذلك أن الجهمور الأندلسي المثقف أصبح يعتبر هذا الاتجاه الصوره المثلى للشعر التقليدي وما يؤيد ذلك أن الشاعر. الأندلسي ابن يحى الريحاني قد نظم قصيده أرثاء. بناها على مذهب العرب وخرج منها من المحدثين فلم يرضها العامة.

ب/ الطبيعة في الأندلس:

هام الإنسان بالطبيعة منذ أن فتح على محاسنها وتطلع بحب إلى جمال روضها ورونقها، وقد وجد فيها الشاعر والكاتب، منذ القديم، مرتق لخياله، ومقبلا لأفكاره وكانت وحي من استلهمها. وشعر الطبيعة تعبير جديد في أدبنا، جاءنا من الآداب العربية، وكان له فيها أصوله وشعراؤه. وقد أطلقه النقاد الغربيون على الشعر الذي كان من أهم مظاهر الحركة الإبداعية الرومانسية (Romantisme) وفي

1- النظر تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس للحفاظ ابن الوليد بن القرض ينشر السيد عزت العطار 373 ه ط، ص 87

أوآخر القرن الثامن عشر، وقد وجد الشعراء الإبداعيون في الطبيعة ميداناً فسيحاً لحرية العمل، وتربة خصبة لنمو العواطف الإنسانية وموضوعا أكثر ملاءمة للأسلوب القوي الصريح، والطبيعة كما يفهمها (الرومانتيكيون) صديقة وفية يحبونها لما تمنحه من جمال لحسهم وهدوء لنفوسهم فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة ويبودون إليها بعواطفهم والأمهم، وكثيراً ما تكون ملجأ نفوسهم التعبة القلقة، ولذا فهم بغروب إليها ناشدين بالغرب منها طهارة الحياة ونعيم السعادة، وقد كان (جان جاك روسو) من أوائل الكتاب الذين فذوا الأدب الفرنسي بهذا الحس الطبيعي العميق[1]. ولكن هذه الحركة لها جذور في الماضي، كالآثار إلىونانية التي تفنت لجمال الطبيعة.

فالأندلس بلاد الطبيعة الجميلة الساحرة، والأندلسيون يغلب عليهم الأدب ويأسرهم الشعر والجمال، فتفننوا في وصف مناهج الطبيعة الخلابة. فهذه الأرض الطيبة بما فيها من حدائق وبساتين ورياض وأزهار وجداول وأنهار وخلجان وغدران وزوارق ثلوج وأمطار، وكل مايخطر على النفس من جميل يتصل بالطبيعة.

وقد تضمنت قصائدهم أليات اللفظية والمعنوية وموضوعات البيان والبديع، ويمكن أن تكون هذه الظاهرة قاعدة عاصمة لشعر الطبيعة. ومن هذا شعر الطبيعة كان المصدر الأول الذي استلهمه شعراء الأندلس واستمدوا الفيض الزاخر من أغاني الطبيعة الفاتنة ساعدت على نضوج شعر، فالشعراء والأندلسيون كانوا من أفصح الألسن التي نطقت بالطبيعة فهم الدوحة الغناء والبلابل الشجية التي تغنت على ذراها. وكان لمجالس الأنس والطرب الأثر الكبير في تنوع أغراض الشعر وخاصة الوصف منه. فالشعراء قد وصفوا الطبيعة، الفاتنة والحدائق الغناء كما وصفوا القصور والأنية الفاخرة والتماثيل والبرك ووصفوا مجالس الشرب والسحر والغناء والرقص وآلات الطرب، ووصفوا مجالس الشرب والسحر والرقص وآلات الطرب، ووصفوا الأساطيل البحرية وغير ذلك من أغراض الشعر المتعددة.

والمتذوق لشعر الطبيعة يشعر بهزة وطرب لجمال وروعة الأداء والوصف والتشبيهات والصياغة وعذوبة الألفاظ والشعر منها الحركة والإحساس والألوان والمشاركة الوجدانية فوجدوا بها متنفساً لبث شكواهم، ووجدوا من تفتح أزهارها وعزوبة أنهارها لتلك النفس التي غمرتها السعادة. فشعر الطبيعة قد تداخل في أكثر المناسبات وفي ثنايا الغزل والمديح، والحنين والشوق إلى الأوطان، والوصف بأنواعه والرثاء، ومجالس الشرب والأنس، وسوف تجيب النماذج التالية على كل ما تعرضنا له في هذه المجال.

الحنين إلى الأوطان:

2- الأدب الأندلسي من الفتح الي سقوط الخلافة / هيكل /ص (150)

الحنين إلى الأوطان يمثل جاذباً كثيراً من أماني شعراء الأندلس، فهذا عبد الرحمن الداخل، قد عاوده الحنين والشوق إلى المشرق فنظر من على البعد ليري نخلة هاجت ذكرياته وأحزانه فانشد يقول:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة *** تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل [1]

فقلت شبيهي في التغرب والنوى *** وطول التنائي عن بني وعن أهلي [2]

نشأت بأرض أنت فيها غريبة *** فمثلك في الإقصاء والمنتاي مثلي

سقتك غوادي المزن في المتناي الذي *** يسع ويستمري المساكين بالوابل [3]

أنا الشمس في جو العلوم منيرة *** ولكن عيني ان مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع *** لجدد لي ما ضاع من ذكري النهب

ولي نحو افاق العراق صبابة *** ولا غزو وان بتوحش الكلف العين [4]

الشوق للأوطان أمنية عزيزة لكل من حكمت عليه الأقطار بالطرق، فالشاعر لاتكاد العزة والرفاهية اللتان يحياهما في النخلة شبيها له في الغربة والبعد فترقرت عيناه بالدموع وتدفقت عواطفة تحرقا وشوقا إلى الديار الحانية.

وهذا يذكرنا بقول المتنبي:

وليل كليل العاشقين كمنته*** أرقب فيه الشمس أيان تغرب

وأصرع أي الوحش قضيت به *** وأنزل عنه مثله حين أركب

لحا الله ذي الدنيا مناخا لراكب *** فكل بعيد الهم فيها معذب

أحن إلى أهلي وأهوي لقائهم *** وأين من المشتاق عنقاء مغرب؟

لقد وصل المتنبي إلى قمة المعاناة حين صور حالة في يوم رتيب مثقل بالهموم فقد ظل يراقب موعد غروب الشمس وذلك ما قطعه على نفسه دائما من موعد الرحيل، ولم تكن رحلته نزهة بل رحلة نفسه دائما من موعد الرحيل، ولم تكن رحلته نزهة بل رحلة نفس انتقلت إلى عالم آخر. لقد وصل الشكوي والعقاب، وأنه يحتاج إلى أهله ويحن إليهم فاين هم الآن ؟ أن شوقه إليهم كمن اشتاق إلى عنقاء مغرب. أنه قد استمد من الطبيعة وحيه إلهامه فذكر الشمس والغروب والليل والكواكب فعاش الترحال والتجوال والليل ومغادرة الحنين الجارف وهكذا حال من يفتقد الرفيق والحبيب. وما أروع شعر ابن خفاجة واشجاه حين يقول بعد أن هاجمت به نوازع الحنين إلى شقر:

بين شقر وملتقي نهريها *** حين ألقت بنا الأماني عصاها

لعبت بالعقول إلا قليلا بين تاوييها وبين سراها

فانثنينا مع الغصون غصونا ***مرحا في بطاحها ورباها

لقد ولت كأنها لم تكن تلبث *** إلا عشية أو ضحاها

1- الرصافة. الرصيف الطريق تناءت: بعدت

2- التغرب: الغربة وهي البعد عن الأهل والوطن

3- الويل: المطر

4- صبابة: الشوق

آهـ من فرقة لغير تلاق *** اه من دور لايجيب صدها

ما لعيني تبكي عليها وقلبي *** تمني سواده لو فداها [1]

لقد تغلب عليه الحنين والشوق إلى شقر فعاد إليها زاهداً، فهو بين الحين والآخر يتذكر ماهية، وتؤقه ذكري شبابه فيبكي بكاء النادم ولم يزل على ذلك حتى مات. وجزيرة شقر كان يقصد إليها نفر منه شعراء أهل الأندلس وكانت جميلة ساحرة عطره مبهجة للنفوس، وصحيحة الأهواء زاهية الأزهار، يحبط بها نهرها العذب [2] ويقول ابن مالك الرعيني وقد مرت به ذكر غرناطة فاننابته تشوه عارمة وأزمة انفعالية قوية هزت مكنون نفسه وهو الشاعر الملهم فقال:

لاتظنوا أن شوقي خمدا *** بعدكم أو أن دمعي جمدا [3]

كيف أسلو عن أناس مثلهم *** قلّ أن تبصر عيني أحد [4]

وقال بعضهم:

أغرناطة الغراء هل لي أوبة *** إليك ؟ وهل يدينو لنا ذلك العهد

شقي الجانب الغربي منك غمامة *** وقعقع في ساحات روضك

يقول ابن حميدس الصقلي وقد عاودته ذكري صقلية فتحدث عن نفسه وعن الجنة التي أخرج فيها دون أن يطلعنا عن الخطيئة التي كانت سببا في خروجه من هذه الجنة.

ذكرت صقلية والأسى يهيج *** للنفس تذكارها

ومنزلة للتصأبي خلت *** وكان الظرف عمارها

فإذا كنت أعرجت من جنة *** فاني أحدث أخبارها [5]

والشاعر كان يحس بأنه اقترف ذنبا عظميا عوقب من أجله بالخروج من صقلية أنه يعيش مع موطنه لحظة بلحظة حيث موطن صباه وارتع بعواه ويحلم بعودته.

1- ديوان ابن خفاجة. بيروت مصر ص (33)

2- نفح الطيب ص (177)

3- حمداً: النار الخامدة التي لالهيب لها فالشاعر هنا يقصد لاتظنوا ان نار شوقي باردة – الجحود وهو الشئ المتصلب الجامد القوي، وهنا يقصد عدم سيلان دموعه

4- أسلو: السلوان هو البعد

5- ديوان ابن حمد يس الصقلي / طبعة بيروت 1956 ص (173).

المبحث الرابع

نهضة اللغة العربية ومظاهرها

دخلت اللغة العربية في أواخر القرن الأول الهجري بلاد الأندلس مع الفاتحين من أهلها، وكانوا قلائل، ولكن العرب أخذوا على الأندلس عقب الفتح من مختلف القبائل، والأقطار العربية، ولا سيما بلاد الشام، متأثرين بما سمعوا عن جمالها واعتدال هوائها، وغزارة مياهها وخصوبة أرضها، وكثرة أشجارها، وقد أخذ العرب الفاتحين أهالي تلك البلاد باللين والرأفة وعاملوهم بالحسنى وأشركوهم في حكم البلاد ورفعوا عن كواهلهم ما أثقلها من الضرائب في عهد القط وساووا بين الطوائف في المعاملة فأحبهم الأسبان وقبلوا على اعتناق الدين الإسلامي [1]. لذلك نجد اللغة العربية انتشرت في بلاد الأندلس وأنبثت في جميع أرجائه.

اللغة العربية منذ الفتح الإسلامي:

سماحة الدين الإسلامي وعدالته واستقامته وأصوله ورغد عيشه جعل الأسبان يندعون برغبة قوية إلى تعلم لغة الدين الذي اعتنقوه. ولم يكن في أمكان أحد من الأسبانيين أن يتقدم شاكيا أو متقاضيا إلا باللغة العربية التي أصبحت في تلك البلاد اللغة الرسمية. ويستوي في تعلم العربية للمسلمين وغيرهم – اما المسلمون فانهم قد تمكنوا من الرجوع إلى القرآن الكريم وليتبعوا الله بتلاوته، وليتمكنوا من فهم احكام دينهم والرجوع الى السنة النبوية والتزود من أحكامها. أما إليهود فكانوا أسبق الطوائف الى تعلم هذه اللغة [2].

فهذه العوامل وهي اعتناق الإسلام و صيرورة الحاكم والسلطان إلى العرب ولغتهم الرسمية جعلت العربية تنتشر ببلاد الأندلس بسرعة عجيبة، وتغلب على لغة البلاد التي فتحوها وذلك من غير أن يفتح العرب المدارس لتعلمها، وأن يفرغوا المدرسين لتلقيها؛ لانهم كانوا مشغولين بتثبيت ملكهم ونشر دينهم والقضاء على النزاع الذي شبت نيرانه بين قبائلهم ومخالطتهم في شتى البلاد التي نزلوا بها، ثم بالمصاهرة والتسري والمعاملة والاتجار، وكلما حفظ احدهم جملا وكلمات عربية أزاعها بين أهله وعشيرته وهكذا أخذت الغة تنتقل من بيت الى بيت ومن مجتمع إلى مجتمع حتى سرت في كل الارجاء وبعد انقضاء عهد الفتن والثورات توطدت دعائم الحكم واخذ العرب يدرسونها في المساجد والمدارس وشقفوا بأدبها شقفا شديدا ملك عليهم قلوبهم وانساهم لغتهم، ومع بلوغهم هذا المبلغ من الفصحى[3]، كان لهم كما كان لغيرهم

1- الادب العربي في ظلال القوميات – ص53
2- الادب العربي في ظلال القوميات – ص54
1- نفح الطيب ج1 ص 221

من سائر الاقطار التي فتحها العرب وعاميتهم التي يستخدمونها وقضاء شؤونهم اليومية. كانت اللغة العربية لغة الزعامة وكان أهل الأندلس يستثقلون التخاطب بالفصحى في الأمور العادية، ومن الملاحظ ان العأمية عاصرت الفصحى في تلك الاقطار ويرجع ذلك الى شقفهم بالآداب العربية ومحفوظاتها.

عوامل ازدهارها:

نهضت العلوم والأدب بالأندلس نهضة تدعو إلى العجب فما كانوا يفرغون من القضاء على الثورات ويوطدون دعائم الملك حتى اندفعوا برغبة صادقة وتعطش شديد إلى مناهل العلم والأدب، فنهلوا منها فأعجبوا بفصاحة اللغة العربية وسموها فنبغوا في علوم الدين واللغة وضربوا فيها بسهم وافر وادركوا شأو اساتذتهم في الشرق وتنوعهم في العلوم وخلقوا ثروة ادبية كبيرة تنطق بذكاءهم وتشيد بفضلهم ولا تزال كتبهم إلى اليوم مراجعا الى الباحثين والمحققين وموردا عذبا للطلاب والمدرسين والمؤلفين.

على الرغم ما فقد من نفائسها وأبيد من ذخائرها بثورات البربر وحروب الفرنج ولا سيما حينما طاردوا المسلمين وابعدوهم من بلادهم فقد أبادوا في أيام محدودة جهود فطاحل العلماء وثمار قرائح الأدباء فأصبحت النيران تلتهمها وقذفوا بها في الأنهار وجنوا على العلم و الآداب والذي مكنهم من نواصي العلم وجعلهم يصلون إلى هذا المنصب الرفيع، ومن البواعث المختلفة لازدهارها نذكر منها:

أولاً: قوة استعدادهم الفطري إذ هم سلالة العنصرين القويين العرب والأوربيين.

ثانياً: إقبالهم على العلم برغبة وصادقة وشغف شديد، وذلك لما يلمسونه من ارتفاع أقدار العلماء وسمو مكانتهم لدى الشعب والخلفاء وإنحطاط قيمة الجهلاء يدل على ذلك تكبدهم المشاق في الارتحال إلى المشرق وفي طلب العلم والأخذ من ثقافته كما يدل عليه دفعهم الأجور للمعلمين لتعلمهم ومما ضاعف هذه الرغبة في نفوسهم لاعتناق الإسلام ومبادئه وأحكامه.

ثالثاً: منافسة حكام الأندلس الأمويين خصومهم العباسيين في ميادين العلوم والآداب والتي لا ترقى الدول ولا تنهض إلا بها ليكون لهم دولة بالمغرب تضاهي دولة العباسيين بالمشرق. **و**ليستردوا بذلك مجدهم الزاهي فاختصوا العلماء و الأدباء بالمناصب الرفيعة واستقدموهم من المشرق وبالغوا في إكرامهم كما فعل عبد الرحمن الناصر مع أبي علي الغالي [1]. كان اكثرهم نصرا للعلوم والفون من الخلفاء والحكام ومنهم عبدالرحمن الثاني وكان أكبر مشجع لفن الموسيقى ومن أكبر أعوان العلوم و الأدب المنصور بن المهاجر المتوفى عام 392 هـ. وعين الأدباء يوما في الأسبوع يستمع إلى أدبهم ويتبادلون منه البحث والنقد وكان لا يضفي إلى وشايات خصوم الشعراء ويدافع عنهم [2].

2- الوسيط في الادب العربي وتاريخه لشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني ط 18 دار المعارف بمصر 1916 ص 380
1- الوسيط في الادب العربي وتاريخه لشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني ط 18 دار المعارف بمصر 1916 ص 382

رابعاً: رحلة العلماء من الأندلس الى المشرق ومن المشرق الى الأندلس في طلب العلم وذكر المثرى في نفح الطيب اكثر من ثلاثمائة من الرحالين من الأندلس الى المشرق لهذا الغرض الشريف.

خامساً: رغبة الأندلسيين وشغفهم بالنحو والقراءات والآداب والشعر والتفسير والحديث ومتن اللغة وزهدوا في البلاغة والأصول والمنطق وكانوا ينفرون من التنجيم وذلك لخظرها على العقيدة وللشعر عندهم خط عظيم والشعراء من ملوكهم ولهم عليهم حظ ووظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم، فانتشر مذهب مالك بالأندلس وتأثر به هشام عبد الملك ومنهم من اعتنق مذهب الشافعي كابن مالك النحوي بعد هجرته إلى المشرق وكانوا قبل مذهب مالك على مذهب الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو، إمام الشام في الفقه والزهد عام 157هـ الذي كان منتشرا بالشام.

و خلاصة القول أن العربية دخلت بلاد الأندلس غريبة على السنة الغزاة القلائل من العرب ولم تلبث أن أخذت في الانتشار بها بالمشافهة والاختلاط لكثرة الوافدين على تلك البلاد من مختلف الأقطار العربية، ونزولهم بين الأهالي في شتى النواحي ثم اقبل العرب على تلقين مبادئها ونشر آدابها وأشعارها فأقبل الشعب الأسباني عليها إقبالا شديدا مفتونا بأدابها مسحورا بنثرها وشعرها [1].

النشاط النحوي في الأندلس:

كانت للأندلس جهود في جميع العلوم، وأصبحت الشغل الشاغل لهم في جميع عصورهم، ويكفي دليلا قيام المذهب الأندلسي في النحو. ولا نكاد نمضي في عصر بني أمية بالأندلس حتى تنشأ طبقة كبيرة من المؤدبين اللذين كانوا يعلمون الشباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مدارس النحو والنصوص والأشعار ويدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته وبذلك كان أكثرهم من قراء الذكر الحكيم.

وأول نحاة الأندلس (أبو عثمان المورروري) الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ على يد الكسائي والفراء وهو أول [2]. من أدخل موطنه كتب الكوفيين واوا من صنف به في النحو وما زال يدرسه لطلابه حتى توفي سنه 198 هـ وكان يعاصره (أبو عبدالله بن عبدالله) الذي رحل إلى المشرق واخذ عن (عثمان بن سعيد المصري) المعروف باسم ورش وادخلها إلى الأندلس وكان بصيرا بالعربية.

و يتكاثر هؤلاء القراء والمؤدبون في القرن الثالث الهجري ويتميز من بينهم ابن حبيب السلس المتوفي عام 238 هـ وكان إمام في النحو واللغة ومن بين مصنفاته كتاب في إعراب القرآن (و ابن مالك

2- الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الوائف البير حبيب – المكتبة المصرية بيروت 1967م
3- المدراس النحوية – ص292

النحوي) وكتابه على نهج كتاب الكسائي، كما يعني أبو بكر خاطب النحوي المكفوف، بوضع كتاب في النحو كانت له شهرة في قرطبة.

ويبدو أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري، ووجهت عنايتها أولا على النحو الكوفي ومن النحاة المشهورين (هارون بن موسى القرطبي) وله كتاب صنفه في عيوب سيبويه ومن أشهرهم كذلك ابن الإخليلي [1].

و يكثر في عصر الموحدين النحاة اللذين عنوا بشرح كتاب سيبويه واقرائه على الطلاب وفك معمياته (ابن الرحال) المتوفى عام 541، وهو تتلمذ (ابن الطرادة) مثل جابر الاشبيلي الحضرمي، ومن اكبر النحووين ابن مضاء وابن عصفور الاشبيلي وله في النحو والتصريف مصنفات مختلفة وابن مالك الذي استفاد من مذاهب النحاة السابقين وهو يرى أن علامات الإعراب جزء من هيئة الكلمات المعربة، وبينما يرى الجمهور انها زائدة عليها [2].

ظلت الأندلس تتابع نشاطها النحوي في القرن السابع الهجري على الرغم من الخطوب التي تتابعت عليها، ومن كبار النحووين " أبو حيان " هو أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي المتوفي عام 745 هـ هو من اشتهروا بالنحو كذلك ابن الطراوة سليمان بن محمد المتوفي عام 528 هـ وابن مروان ابو الحسن بن محمد الاشبيلي لذلك نجد كتب النحو قد تميزت من سائر الكتب المؤلفة في علوم الحساب والهندسة والطب والمنطق والفلسفة وعلم الفلك و الأشعار وغير ذلك من العلوم إذ أخذت الرغبة فيها تقوى شيئا فشيئا وأدرك العامة والخاصة أهميتها إلى وقتنا هذا [3].

إقتداء أدباء المغرب بالمشرق:

و المشارقة أن كانوا قد كتبوا في التاريخ والتراجم ملتزمين بالسجع فان ذلك قليل في كتبهم ولم يبلغوا فيه ما بلغ الأندلسيون، ومن أمثلته عندهم يتيمة الدهر للثعالبي المتوفي سنة 429 هـ وجريدة القصر وجريدة اهل العصر، للعماد الاصفهاني محمد بن محمد بن حامد المتوفي سنة 597 هـ وتاريخ الضبي محمد بن عبد الجبار المتوفي سنة 427 هـ وفاكهة ومنادمة الظرفاء لابن عربشاه أحمد بن محمد المتوفي سنة 845 هـ وهو على نسق كليلة ودمنة. ومنها ولهم التورية، وبمصطلحات العلوم ولا سيما النحو لشغفهم به وامعانهم في دراسة وفي أحب شيئا اكثر من ذكره وباهلا بمعرفته [4]. وقد أكثروا في كتاباتهم من اقتباس الحكم والأمثال ونثر الأشعار كما نجد في رسالتي بن زيدون الجدية والهزلية.

1- المدراس النحوية – ص292
2- النحو العربي ص 46
3- الحركة اللغوية في الاندلس ص15
4- الادب العربي في ظلال القوميات ص 95

و نجد أن الكتابة الأندليسة قد اقتفت أثر الكتابة المشرقية وحزت حزوها وتابعتها في مناهعجها واقتدى كتاب الأندلس بكتاب المشرق وحرصوا على مجاراتهم في أساليبهم ومتابعتهم في طرائقهم، ولا غرو فالأندلسيون تلاميذ المشارقة وعنهم أخذوا علومهم وأدابهم واعترفوا بسبقهم وهم في نظرهم المثل الأعلى الذي ينشدونه والغاية يبتغونها فإذا سلك المشارقة طريقا سلكوه، وإذا ابتدعوا منهجا اتبعوه وإذا استحدثوا في الكتابة جديدا اسرعوا بتقليده فالحسن عندهم ما استحسنوه بتقليده والقبح ما استقبحوه وهجروه.

على هذا كانت كتابة الأندلس في عهد ولاة بني أمية والكتابة في المشرق كانت سالكة السبيل في عهد بني أمية والعصر العباسي، تم اخذ السجع يتسرب إليها والزخارف والمحسنات تزيد على الأيام حتى اثقلت كاهل الكتابة وذهبت بجمالها ولرونقها وانتقلوا من السجع الخفيف القصير الذي ظهر على أيدي كبار الكتاب كابن العميد وبديع الزمان وتجلى في كتاباتهم الإطناب والسجع والعناية بالزخارف لكنهم مع هذا لم يسفوا اسفاف اساتذتهم بالمشرق ولم ينزلوا إلى الدرك الذي نزلوا إليه في عصر المماليك بمصر والشام [1].

ولم يسرفوا إسراف أساتذتهم بالمشرق وهناك من السمات والخصائص ما تستطيع به تمييز الكتابة الأندلسية عن الكتابة المشرقية ومن هذه السمات ما يرجع إلى الألفاظ والأساليب ومنها ما يرجع الى المعنى ومنها ما يرجع إلى الأغراض. اما الفاظهم فتمتاز بالسهولة والوضوح ولا تكلفك مشقة في فهمها بخلاف الفاظ لغة المشارقة فإنها في الغالب أجزل وذلك لمجاورتهم البادية التي تفيض عليهم بالفصيح وتمدهم بأقوى الأساليب ولأنهم ورثوا الفصيح من آبائهم وأجدادهم وثروتهم منه واسعة قيمة ولم يرث أكثر الأندلسيون عن آبائهم من الفصيح ولم يرث أكثر المشارقة كما تمتاز عباراتهم بالإطالة والإطناب حتى أنه ليندر أن تعثر في كتاباتهم على رسالة موجزة بخلاف المشارقة فرسائلهم أوجز وإن قد أطالوا في العصور المتاخرة.

ومن تلك السمات التزامهم بالسجع في رسائلهم بعد العهد الأول وتخطيهم به الرسائل التي ذخرت بها كتب الأدب والتاريخ والتراجم في الذخيرة وقلائد العقبان ومطمع النفس والإحاطة وغيرها [2].

و قل ما تجد كتاباً في الأدب والتاريخ والتراجم عندهم غير مسجع مثل تاريخ ابن حيان الذي لا يجئ السجع فيه إلا عفواً مع جزالة عباراته وقوة بيانه ولا يلتزمون في رسائلهم الرسمية رسوما معينة في البدء والختام والألقاب والدعء كما فعل المشارقة في عصر المماليك.

1- النحو العربي ص 50

2- انظر الذخيرة لابن بسام ص 96 وقلائد العقيان ومطمع الانفس ص 256

أما معانيهم فتمتاز بوضوحها وخلوها من التعقيد وعدم التعمق فيها وغلبة الخيال الشعري عليها والإكثار من الأوصاف والتشبيهات والاستعارات حتى عدت من الشعر المنثور.

أما الأغراض فقد سبق الأندلسيون المشارقة في الكتابة الوصفية لجمال بلادهم وكثرة محاسنها ومدها أياهم بإبدع الأوصاف لذا نجدهم قد وصفوا كل ما وقعت عليه أبصارهم من جليل الأشياء كالبحار والأنهار والأشجار والقصور والازهار ومجالس الإنسان والحيوان.

و انفروا بالشكوى إلى (رسول الله صلى الله عليه وسلم) لصد أعدائهم وكان لهم على المشارقة السبق في المناظرات. وفي أوائل القرن التاسع أصبحت اللغة العربية لغة الوثائق والخطابة والتوقيعات ولغة الشعر والنثر، وأصبحت اللغة الرسمية حيث ترجم إليها معظم كتب الديانات الأخرى[1].

[1]- ملامح التجديد في الشعر الاندلسي ص 11

المبحث الأول

الشواعـر الحرائـر

هناك عدد من الشواعر اللائي عشن في الأندلس وبالذات في الفترة التي سبقت عصر الطوائف منهن الأدبية مزنة[1]، التي وصل إلينا اسمها ولم يصل شئ من شعرها، ولذكائها وفطنتها وحسن حظها شغلت منصب سكرتيرة عند الأمير الناصر لدين الله.

ومن الشواعر الحاذقات لبنى[2] كاتبة الحكم بن عبدالرحمن التي شاركت في ضروب العلوم كالنحو والحساب والعروض وأتقنت فن الخط والكتابة. ولا شك في أن الشاعره الحرة أسعد حظاً وأرفع مكانه وأوفر إنتاجاً من الشاعره الجارية عند الرواة والمؤرخين والقدماء وربما نظرو إليها نظرة اختلفت عند الرواة والمؤرخين والقدماء وربما نظرو إليها نظرة إختلفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية، ولقد بلغت حرائر الأندلس وبخاصة القرن الرابع الهجري، مكانة رفيعة، ولقد قيل عن عائشة بنت أحمد بن محمد خادم القرطبية [3]التي توفت عام أربعمائة هجرية، أنه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها فهماً وأدباً وشعراً[4]، وفيما يلي عرض موجز للحرائر من شواعر الأندلس:

فالشواعر من الحرائر هن:

1. الغسانية البجانية.
2. مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري.
3. أم العلاء بنت يوسف الحجازي.
4. أم الكرم بنت معتصم بن صمادح.
5. صفية بنت عبدالله الربي.
6. قسمونة بنت إسماعيل إليهودي.
7. مهجة بنت التياني القرطبية.
8. نزهون بنت القلاعي.
9. ولادة بنت المستكفي بالله.

---

[1] بغتية الملتمس،ص- 530

[2] نفس المصدر

[3] بغية الملتمس، ج، ص 192

[4] المرأة في الشعر الأندلسي، لسلمى سليمان، ص256

المطلب الأول

الغسانية البجانية

اسم هذه الشاعرة " الغسانية " ولقبها البجانية نسبة إلى بجانة ولم تذكر سنة ولادتها ولاسنة وفاتها[1]. فقد عاشت أعواماً من عمرها في القرن الرابع وعاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس، فهي مدحت الملوك وكانت مشهورة بأدبها وجمالها وجمال لطفها وبهائها وكمالها، وكانت عالمة بضروب الشعر وروايته، وعارضت الغسانية القصيدة القسطلية بقصيدة طويلة لم يصل إلينا منها إلا أبيات معدودة هي عبارة عن مقدمة لمدح الأمير خيران العمري، المتوفي سنة (419هـ) وهي:

أتجزع أن قالوا ستطعن المعان وكيف تطيق الصبر ويحك إذ بانوا

فما بعد الموت عند رحيلهم وإلا فعيش تجنى منه وأحزن

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم أنبق وروض الوصل أخضر ريان

فيا ليت شعري والفراق يكون ،هل يكونون لي بعد الفراق كما كانوا [2]؟

[1] جنوة المقتبس. للحميري – ص (258).

[2] بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس – احمد بن يحي الضبي – القاهرة – دار الكتاب العربي. 19967. ص (529)

المطلب الثاني

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري

اسمها مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الفصولي الشلبي[1]، وتسمى مريم الشلبية، وكانت تغدو على بنات سادات إشبيلية تعلمهن الشعر، فهي أستاذة من أساتذة الشعر في ذلك العصر[2] وهي أيضاً أدبية شاعرة جزلة. فكانت تمدح الملوك وتساجلهم فيعطونها من أموالهم وهداياهم ومن حليهم وحللهم، وبعثت إليها (المهند) وقيل (ابن المهند). وقيل المهدي بقرطاس فيه دنانير وعدد من الأبيات الشعرية رداً على جوابها. جاء فيه ما يؤكد ظرفها وتقاها ووصولها إلى درجة من الورع بحيث شبهت بمريم العذراء ومن شعرها:

ما لي بشكر الذي أوليت من قبل *** لو أنني حزت نطق اللسن في الحلل

يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا *** وحيدة العصر في الإخلاص والعمل

أشبهت مريم العذراء في ورع *** وفقت خنساء في الأشعار والمثل[3]

---

(1) جنوة المقتبس. ص (38

(2) المرأة العرينة في جاهليتها وإسلامها، ج 3، ص 133

(3) نزهة الجلساء، ص(90

المطلب الثالث

أم العلاء بنت يوسف الحجارية

أم العلاء شاعرة من حرائر الأندلس ومن شواعر القرن الخامس. كانت تدعي أم العلاء بنت يوسف بنت حرز المجلس الحجارية [1] وعرفت بالحجارية نسبة الى بلدتها مدينة وادي الحجارة، التي تقع في شمإلى الأندلس [2].

ولقد كانت أم العلاء شاعرة مكثرة محسنة للشعر جيدة النظم وفي شعرها جزالة وتحرز وكبرياء. ومما يؤكد كثرة نظمها قول شوقي ضيف (إن المقرى نقل عن نسخة من المغرب غير هذه التي ننشرها وأكثر من تعرض لهم في طليطلة روى لهم أشعاراً ليست في نسختنا). وقد وصل إلينا من أشعارها العذبة ثلاثة عشر بيتاً. ولم تحدد سنة وفاتها، وقد قيل عنها إنها منها من أهل المائة الخاصة. ومن شعرها في الغزل:

أفهم مطارح أحوالى وما حكمت به الشواهد وأعذرني ولاتلم
ولاتكلني إلى عذر أبينه شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ماجئته من زلة فيما أصبحت في ثقة من ذلك الكرم [3]

---

[1]. جنوة المقتبس ص (388)
[2]. بغية الملتمس. ص (528).
[3]. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. المقرئ لأحمد بن محمد المقري التلسماني. تحقيق إحسان عباس. بيروت.دارصادن 1988. ج 5 ص (301 – 402)

المطلب الرابع

أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح

لقبها السيولمي والمقري عند ذكرها بأم الكرام، وهي ابنة المعتصم بالله أبي يحي محمد بن معن بن صمادح العجيبي المتوفي سنة (484 هجري) ملك المرية [1]. ولقد كانت شاعرة حرة نشأت في بيت ملك كريم وكان والدها شاعراً رزيناً.

ولقد وقعت هذه الشاعرة الوشاحة (الصمادية) التي (افتخر بها نساء العرب)، في غرام فتي وسيم كان قد اشتهر بجماله وعرف بالسمار، وراحت تشهر بحبها لأبيها الملك ولإخوتها الشعراء، ولم تضع لهم حساباً وحينما علم والدها بأمرها فقد قتل ذلك السمار وقيل أنه اختفى، وقد بين أحد الباحثين سبب اختفاء الحبيب قائلاً (وقول ابن سعيد عن حبيبها يحتمل أمرين إما أن الحبيب قتله المعتصم عندما علم بعلاقته بابنته، أو إنما خاف على نفسه حالما تأكد من أن أباها الملك قد أطلع على قصتها). ومن شعرها:

يامعشرُ الناسِ ألا فأعجبوا مما جنتهُ لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدرِ الدجى من أفقه العلويَ للتربِ
حسبي بمن أهواهُ لو أنه فارَقني تابعُه قلبي [2]

فهذا غزل رقيق وشعر لطيف، ولكنه قيل من أنثى في فتى ولكنها أكثر جرأة وأعلى صوتاً.

[1] نفح الطيب. ج(5). ص (302)
[2] نفح الطيب. ج (10) ص (164)

المطلب الخامس

صفية بنت عبدالله الربي

من بين الشواعر اللاتي عشن في الأندلس وبخاصة في فترة القرن الخامس الهجري، شاعرة شابة رقيقة القول، جيدة النظم ذات ثقة وإعتداد وكبرياء وهذه الشاعرة الرقيقة هي صفية الربي التي إتصفت بحسن الخط، ولقد توفيت سنة سبع عشرة وأربعمائة وهي في ريعان الشباب وعز الحيوية والنضارة ودون سن الثلاثين[1].

وربما كانت قلة الأعوام التي عاشتها سبباً من أسباب سكوت الرواة عن أخبارها مع قلتها، ويروى أنها اشتهرت في نقل المخطوطات فلقد (عابت امرأة خطها) وأمام هذا الموقف إجابتها هذه الشاعرة بثلاثة أبيات أثبتت لها إجادتها في النظم وجمال خطها في الكتابة حيث دافعت عن نفسها ورفعت هذا الإتهام الباطل الموجه إليها قائلة:

وعائبه خَطى فقلتُ لها أَقصرى فسوفُ أُريك الدرَ في نظم أسطري

وناديتُ كَفي كي تجودَ بِخَطها وقربتُ أقلامـيُ ورقيُ ومجبِرَي

فَخَطْتُ بأبياتٍ ثلاثٍ نظمتُها لِيْبدو لها خَطي وقلتُ لها اَنظري [2]

---

[1]. الشعر النسوي في الأندلس (محمد منتصر \ يسوني \ بيروت دار مكتبة الحياة \ (1978). ص 66

[2]. جذوة المقتبس. ص (388)

المطلب السادس

قسمونة بنت إسماعيل إليهودي

قسمونة شاعرة يهودية من شواعر الأندلس التي عاشت في القرن السادس وقيل في القرن السابع كما جاء في نفح الطيب وقيل أن والدها كان يقرض الشعر. ومن خلال البحث في كتب الأدب لم يعثر على والدها ذكر الإ ما جاء في كتاب الإحاطة (وأكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً وذكاءً، ودماثة، وركانةً، ودهاءً، ومكراً، وملكاً لنفسه).

وقد اعتني والدها ذات يوم ينشد ببيت من الشعر ويقول لها أجيزي، فتجيز بحذف ومهارة وأما البيت الذي قاله الأب:

لي صاحبٌ ذو بهجةٍ قد قابلت منعاً بظهر واستحلتْ جَرمُها

ففكرت غير كثير وأجابت:

كالشمسِ منها البدَر يقبسُ نوره أبداً ويكسف بعد ذلك جرمها [1]

ولقد اعترف النقاد والأدباء والشعراء بتمكنها، رغم أنه لم يصل إلينا من شعرها الإ خمسة أبيات، عرفنا من خلالها أنها في غاية الجمال ولها ثقافة وطلاع ومعرفة واسعة، ويظهر أنها بقيت عذراء لم تتزوج وذلك لأنها وقفت يوماً أمام المرأة فنظرت إلى جمالها فراعها ألايتقدم إليها أحد. فقالت معبرة عن شكواها آسفه على جمالها:

أرى روضةً قدْ حان قِطافها ولستُأرى جانَ يمدُ لها يَداً

فوا أسفا يمضي الشبابُ مضيعَا ويبقي الذى ما إنْ أسميه مفرداً

[1]. النفح الطيب – ص (311). ج (7).

المطلب السابع

مهجة بنت التياني القرطبية

مهجة شاعرة أندلسية من حرائر قرطبة، ومن أدبيات القرن الخامس الهجرى كانت معاصرة لأستاذتها ولادة، فكانت من أجمل النساء زمانها ولدت لأسرة فقيرة، فوالدها كان يبيع التين فإكتسبت لقبها من مهنته وعرفت بمهجة التياني.[1]

وقد خلقت أستاذتها (ولادة بنت المستكفي) منها شاعرة مبدعة مهيبة الجانب في الغزل والهجاء، وسرعان ما نكرت التلميذة فضل معلمتها فقد وقع خلاف بينهما قالت قافية هجتها هجاءاً بذئيا وهو:

ولادةٌ قد صِرت ولادةٌ من غيرِ بعلُ فضَح الكاتم

حَكَنْ لنا مريمُ لكنه نخلةُ هذي قـائمُ

وعندما سمع نقاد زمانها البيتين أقروا لها بالتقدم، ولقد أجادت هذه الشاعرة في المدح وأسرفت في الهجاء الذي إبتعدت فيه عن الحياء.

ومن أجودما قالته مهجة في الشعر:

لئن قَدْ حمى ثغرِها كل قائمٍ فما زالَ يحمي عن مطالبهِ الثغر

فذاك تحميهِ القواضَب والقنا وهذا حماهُ من لواحظها السحرِ[2]

[1]. المغرب في حلي المغرب \ابن سعيد الأندلسي \ تحقيق شوقي ضيف القاهرة. دار المعارف. 1964.

[2]. الادب الاندلسي (موضوعاته وفنونه) مصطفي التكلفة \ ص(214)

المطلب الثامن

نزهون بنت القلاعي

نزهون شاعرة غرناطية مشهورة، فقد عاشت عمرها في القرن الخامس وجزء من السادس، فهي تعد من المخضرمات في الأدب الأندلسي ومن المعمرات أيضاً وقيل أنها توفيت سنة (550 هجري) وكانت من الأديبات الفريدات ذات جمال فائق شارق وحسن رائق ونابغة من نوابغ زمانها.

ولقد إتفق النقاد والرواة على شاعريتها وإختلفوا في صفائها جاء في المغرب أنها شاعرة ماجنة كثيرة النوادر إلا أن المقرئ يصفها نقلاً عن المسهب. فهذه الشاعرة كانت لها حياة أدبية خاصة تعقد وسط مجالس الرجال من الوزراء والشعراء فقد قيل كان لها (ناد لم يؤمه إلا فاضل ومجلس لم يجتمع فيه إلا كل عاقل).

وقد عرفت بألفاظها التي لا تتحشم فيها دفاعاً عن كرامتها ورداً لإعتبارها، وتأثراً لتخديش عرضها، إلا أن المسلطين على الأعراض أصحاب الألفاظ الفاحشة كانو يضايقونها، الأمر الذي دعاها إلى مواجهتهم نظماً بنظم، وبفضل عمرها المديد ومجالسها عاشرت نزهون الكثير من المشاهير وأطلعت على أحوالهم.

وقد عرفت أيضاً بكثرة مخالطتها للرجال ومهاترتها معهم، ومن نوادرها قولها للشاعر ابن قزمان، وكان (قبيح المنظر) قائلة له (أشقر أزرق كبير البطن)، (يلبس غفارة صفراء) على زي الفقهاء[1].

وأمام مثل هذه المواقف اتجهت نزهون إلى هتك سترهم فبدت في مجالسهم ذات قلب كبير عند اشتداد العواصف وصفحة من صفحات البلاغة العربية بفطنتها وفصاحتها. وكانت جرئية في قولها. وقد رفعت الحياء بالوقت الذي ينبغي للمرأة أن يكون فيها الحياء[2].

وجازفت في أحاديثها الممزوجة بالظرف وبحضور جواب وسرعة بديهة فكانت تقرأ على بأبي بكر المخزومي الأعمي، فدخل عليها أبوبكر الكندي، الشاعر الغرناطي المشهور وأراد أن يداعبها شعراً ويخبره بجمال نزهون وأنها فتنة للناظرين.

(لو كنت تبصر من تكلمه)

1. نفح الطيب، ج(6)، ص (32) [1]
2. أنظر نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، للعباس بن نور الدين الموسوي المكي، صفحة (566)، المطبعة الحيدرية في النجف الاشراف (967 م)[2]

فلاذ الضرير بالصمت ولم يجد جواباً ولم يستطع القول فسارعت هي أمامه فأجابت (لغدوت أخرس من خلاله). واشتهرت بكثرة مخالطتها ومناظرتها للشعراء وقد ألمع الوزير أبو بكر سعيد إلى كثرة زوارها وعشاقها بعد أن أقلقته الغيرة عليها فكتب إليها قائلاً:

يامَنْ له ألف خِلّ *** مِنْ عاشقٍ وصديقِ

أراكَ خليْتَ لنا *** س منزلاً من الطريقِ[1]

فأجابته ببيتين تذوب عذوبة وتنم عن مكانته المميزة في قلبها إذ قالت:

حَلْلْت أبا بكرِ محلا منعتُه *** سواك وهل غيرُ الحبيب له صَدْرى

وإنْ كان لي كمْ من حبيب فإنما *** يقدم أهل الحب فضل أبي بكرِ[2]

فهذه الشاعرة فاقت الشعراء الكبار في مر هجائها وحضور ذهنها، نراها قد خلصت عليها حلة من قبيح القول في الندوات الصاخبة بالعبث والمجون. ولقد امتازت بالجمال الفائق، وحفظ الشعر والأمثال.

[1] المغرب في حلى المغرب –إبن سعيد الأندلسي، الجزء (3) ص (31)

[2] نفح الطيب، ج (6)، ص 31

المطلب التاسع

ولادة بنت المستكفي بالله

الشاعرة ولادة بنت المستكفي من الشاعرات اللاتي عاصرن نهاية عصر الخلافة وهي إبنة الخليفة محمد بن عبدالرحمن الملقب ب(المستكفي) الذي بويع بالخلافة سنة(414 – 1023 هجري) وقد وصفتها المصادر التاريخية بإعجاب كبير لما تميزت به من صفات فريدة ميزتها عن نساء عصرها.

واشتهرت بالفصاحة والنباهة وإجادة الشعر وجزالة القول، وكانت في آدابها وظرفها تجذب السامع وتؤثر في النفوس، ولقد خرجت عن التقاليد السائدة ولا سيما فيما يخص الحجاب ،فكانت تعقد المجالس الأدبية في قرطبة وتناظر الشعراء والأدباء.

وقد ساهمت ولادة بشكل كبير في تطوير الحركة الأدبية في الأندلس من خلال مجالسها الأدبية التي كانت تعقد في قرطبة ويحضرها كبار الأدباء والشعراء الذين كانو يتبارون بالشعر والنثر، وكانت تشاركهم في المساجلات الأدبية وتباري الشعراء، وهذا في حد ذاته يعد قفزة نوعية من تاريخ الأدب.

وقد كانت ولادة صافية البشرة، بيضاء كالفضة، شعرها ذهبي براق كالتبر، تزين صدرها بعقود اللؤلؤ المزدوجة بالخلاخيل، وهي سليلة بيت ملكي تغمرها النعمة والرفاء وفيها قال صاحبها.

أو صاَغة ورقا محضاً وَتوَّجهُ من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً
إذا تاوَّد آذته رفاهيةً تَؤمُ العقود وأدمتهُ البرى ليناً [1]

وكانت تجمع إلى جمال التزين وعذوبة الحديث، فهي فنانة في إظهار مواطن الحسن فيها، فكانت عذبة الخلال ظريفة الخصال يقول ابن زيدون فيها:

له خُلْقٌ عذبٌ وخلقٌ مُحسَّنٌ وَظَرفٌ لَعرَفِ الطيبِ أو نشوةِ الخمرِ
يُعللٌ نفس من حديثٍ تلذهُ كمثلِ المنيِ والوصلِ في عُقُب الهجِر[3]

والقصيدة الثانية التي نالت شهرة عظيمة وثارت حولها الأساطير وهي:

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا [4]

---

[1] ديوان ابن زيدون، ص 144. 145
[2] ديوان ابن زيدون. ص179

فشعرها كان يلقى ترحيباً وتشجيعاً من الوزراء والأدباء الذين يغدون على منتداها ولم يكن ابن زيدون وحده فارس هذا الميدان، وإنما كان ابن القلاس، وأبوعامر بن عبدوس الوزير المتوفي سنة (472 هجرى) الذي كان أحد أعيان قرطبة المشهورين، فراحوايتنافسون على قلبها ولم يحظ بها إلا ابن زيدون، لأن جل أشعارها وردت فيه، وقد أبلغ ابن زيدون أن، أبا عبدالله، اتصل بولادة فكتب إليها قصيدة طويلة وكان يكنى بأبي عبدالله، نكتفي بذكر مطلعها.

أبا عبدالله اسمعْ وخُذْ لمقالتي أوْدَعْ

واقصِرْ بعدَهَا أو زِدْ وطِرْ إثرِها أوقِعْ[1]

ونلاحظ أن، ولادة سبب شهرتها وامتيازها على غيرها من شاعرات الأندلس لما قاله فيها ابن زيدون من روائع القصائد، فاستأثرت من دونهن بمزيد من الاهتمام من مؤرخي الأدب، وأصحاب الرواية والأخبار القدامي.

فقد كانت ولادة بنت المستكفي من أروع الشعراء والأدباء في شعرها حيث كانت لها مكانة مميزة في الشعر، وقد عمرت عمرا طويلا، ولم تتزوج، ماتت لليلتين حلتا من صفر سنة ثمانين، وقيل أربع وثمانين وأربعمائة. وهكذا فإن شاعرات الأندلس أفسحن لشعرهن مكاناً رحيباً، إلا أنهن لم يسهمن في كل فنون الشعر وموضوعاته وأكثر ما قلن فيه من الأغراض الغزل والمديح ووصف الطبيعة والهجاء.

[1] تمام المتون، ص (12)، وقد ورد في ديوان ابن زيدون(إصنع لمقالتي واسع وخذ فيما ترى أودع) ص (578)

المبحث الثاني

الشواعر الجواري

مقدمة:

أسهمت المرأة في الأندلس في رفد العلوم المختلفة، وكان الأدب المجال الواسع الذي برزت فيه، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية وأجرت على لسانها الشعر الرقيق فضلاً عن امتلاكها إلد الطولى في البلاغة التي تعد من المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجال.

ولقد كان تأثير النساء في مضمار الأدب كبيراً من خلال مجإلين الأول هو قيام المرأة في الأندلس بدور المؤثر في الأدب لما لها من جمال وفتنة ،إذ حركت نفسية الأديب ومشاعره في التغزل بها، فكانت حديث المجالس التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بها ويكثرون من وصفها وتشبيهاتها، كما للجواري نصيب كبير في هذه الأشعار، إذ قيل فيهن الكثير.

والثاني هو تأثر المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمت الأندلس، فقد ضمت مصادرنا العربية العديد من أسماء الشاعرات اللواتي كن معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلن قسطاً أكبر في هذا المجال من الجواري والإماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقي والغناء.

وبالرغم من دور المرأة هذا إلا أن المؤرخين لم يهتموا بتدوين ما كتب من شعر النساء الأندلسيات، الإ النزر القليل كالذي ذكر في كتب، الذخيرة، والمغرب والصلة والمطرب ونزهة الجلساء ونفح الطيب وقد كان ذكر ذلك بتلميح خاطف وقليل. حتى أن هذا القليل المحدود الذي نقل عن شواعر الأندلس كان يتناقله المؤلفون عن بعضهم البعض دون تبسيط في النقل، ولا استفاضة في البحث عن أحوالهن وذكر أخبارهن وأشعارهن، ولقد حاولت قدر جهدي البحث عن أخبارهن من خلال الكتب التي تناولت الأدب الأندلسي[1]

ولقد تصدت شواعر الأندلس لفنون الأدب جميعاً وأمعن في كل ذلك إمعان صعب على الرجل أدراكه في مواطن كثيرة ولاسيما في إجازتها للأبيات الشعرية[2].

وقد تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء. وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً.

وفيما يلي عرض موجز للشواعر الجواري في الأندلس: والشواعر الجواري هن:

---

[1]أنظر المرأة في الشعر الأندلسي، للدكتورة سلمى سليمان، ص 232

[2]المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج 2، ص140

1. اعتماد الرميكية.
2. بثينة بنت المعتمد بن عباد
3. العبادية
4. أنس القلوب
5. عتبة
6. غاية المنى

المطلب الأول

اعتماد الرميكية

فقد عاشت اعتماد جارية عند الرميك بن الحجاج. ولقد كانت تتقن فن الشعر، ومن هذا الباب فقد عرفها المعتمد بن عباد، فلما أعجب بها وبشعرها اشتراها من مولاها ابن الحجاج [1].

وتذكر كتب الأدب أن المعتمد ركب في النهر ذات مرة ومعه وزيره ابن عمار، وقد زردت الريح النهر، فقال المعتمد لوزيره ابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال الوزير الفكرة مع كونه شاعراً بعد أن طال التأمل أنبرت امرأة من الموجودات على ضفة النهر، فأجابت:(أي درع لقتال لوجمد) فأعجب بن عباد من حسن ما أتت به. فنظر إليها فإذا هي غاية في الجمال، ولم يملك نفسه من شدة الدهشة، فسألها إذا إذات زوج أنت، فقالت: لا، فاشتراها وتزوجها.

فالمعتمد من شدة إعجابه بها فقد تلقب بهذا اللقب بعد ارتباطه بها بعد أن كان يلقب بالمؤيد والظافر، وقيل أنه غير اسم (روميك) إلىاعتماد. وعرفت فيما بعد ب(السيدة الكبرى) وكانت تكنى (بأم الربيع) وأنجبت منه الملوك والأميرة بثينة.

وكثيرما كان المعتمد يأنس بها، ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء، وإنما كانت مليحة الوجه ،حسنة الحديث ،حلوة النادرة ،كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية [2]. ولكن لم يصل إلينا من شعرها سوى ثلاثة أبيات [3].

وعندما التقى المعتمد بالجارية كان معه صديقه الوزير الشاعر ابن عمار الأندلسي إلا أنه فقد أصبح عدوه اللدود في آخر حياته وسبب هذا العداء العنيف هو هجاء ابن عمار للمعتمد وزوجته الرميكية بقصيدته اللأمية المشهورة [4]

ألا حيَّ بالغرب حَّيا حلالاً أناخوا جمالاً وحازو جَمَالا
وعَّرجْ بيومين أم القرى وَنَمْ فعسي أن تراها خَيَالا
تخيرنها من بنات الهجا ن رميكية ماتساوى عقالا

المطلب الثاني

بثينة بنت المعتمد بن عباد

1. المعجب في تلخيص اخبار المغرب، للمؤلف عبدالواحد المراكشي ،تحقيق ممدوح فقي، الدار البيضاء، ص (155).[1]
2. نفح الطيب ج (6) ص(108)، وانظر أعلام النساء ج (1)، ص(71).
3. النساء العربيات، كرم البستاني، بيروت، دار صادر 1964، ص(50)
4. ديوان ابن عمار الأندلسي، ص (122. 123)

شهدت الأميرة بثينة مباهج الحياة في الأندلس فلقد ورثت الشعر عن ذويها، وورثت الجمال عن أمها "الرميكة " وأكثرت بثينة من الشعر ولكن لم يبق منه إلا القليل عندما حلت النكبة بأبيها الملك المعتمد وأسر وتعرض قصره للسلب والنهب[1]. وقد نشأت بثينة في بيئة شعر وجمال إذ ورثت الشعر من ذويها كما ورثت الجمال من أمها.

ولقد جعلها المؤرخون ضمن الشواعر الجواري رغم أنها كانت حرة من صلب الملوك. ولكن الدهر مال عليها حيث وقعت أسيرة في جملة سب في قصر أبيها، فجزع عليها المعتمد والرميكية، ولا يعلمان ما آل إليه من أمرها، وبيعت من أحد تجار إشبيلية معتقداً أنها واحدة من الجواري، وأهداها لابنه، فلما أراد ابن التجار الدخول عليها، ورأت الجد في الأمر أمتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك إلا بعقد يجيزه أبي.(وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها) وانتظار الجواب، ولقد وافق الشاب ووالده على رأي بثينة ووقع عندهما كلاهما موقعاً عظيماً وداخله سرور، فكتبت خطاباً إليه ضمنت فيه قصتها كاملة وجعلت منه قصيدة موشاة بحكمة الشيوخ وهي في ريعان الشباب، فقد ذكرت في تلك الرسالة ما حصل لها من أسى وحسرة (بخطها ونبطها) وهذه الرسالة بعثت إلى أبيها في منفاه تستأذنه في الزواج ممن تحب، وتألفت القصيدة من أحد عشر بيتا ربما كانت القصيدة كاملة لم يسقط منها شئ. وإذا هذه القصيدة لم يتعرض أحد من الرواة عن مدى طولها أو قصرها وذلك لأنه لم يصل إلينا من هذه القصيدة إلا هذه الأبيات وهي تقول فيها [2]

فالأبيات هي:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي فهي السلوك بدت من الأجيادِ

لاتنكروا أِني سُبيت وأنني بنت لملكِ من بني عبَادِ

ملك عظيم قد تولي عصره وكذا الزمان يؤول للإفسادِ

لما أراد الله فرقة شملنا وأذاقنا طعم الأسى من زادِ

قام النفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمراد

فخرجت هاربة فحازني امرو لم يأت في إعجاله بسداد

إذ باعني بيع العبيد فضمني من صانني الإ من الأنكاد

وأرادني لنكاح نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأنجاد

ومضي إليك يسوم رأبك في الرضى ولأنت تنظر في طريق رشادي

---

[1]. نفح الطيب. ج(5) ص (388).

[2]. نفح الطيب، ج (6)، ص(20). وأنظر أيضاً الدر المنثور ص (41-42).

فعساك يا أبتي تعرفني به إن كان ممن يرتجي لوداد

وعسى رميكية الملوك بفضلها تدعولنا باليمن والإسعاد

فلما بلغته مقالة ابنته فوافقا على الزواج هو وزوجته وكتب آخر رسالته ناصحاً لبثينة المقبلة على الزواج قائلاً[1]:

بنيتي كوني به برة فقد قضي الدهر بإسعافه

وتعد بثينة رائدة من رائدات القصة الشعرية في عصر الطوائف وقد سخرت شعرها (وجعلته يقوم مقام النثر في المراسلات)[(2)].

المطلب الثالث

[1]. نفح الطيب. ج (6)، ص (21).

[(2)] أنظر المرأة في حضارة العرب، والعرب في تاريخ المرأة، ص(247).

العبـاديـة

العبادية شاعرة من الجواري الأندلسيات اللاتي عشن ضمن فترة القرن الخامس ،وكانت أدبية، وشاعرة من أشعر شواعر زمانها ،ذاكرة الكثير من اللغة، فصيحة العبارة، حاضرة الرواية ،قريبة النادرة، لها إلهام تام بضروب الغناء ،وكانت من توقد قريحتها وحضور بديهتها، ترتجل الشعر والأمثال (وقد أرق المعتمد ليلة)، (لأمر حزبه وهي نائمة)فقال[1]:

تنامُ ومدُنفها يسهرُ وتصبرُ عنه ولايصبرُ

فأجابته على البديهة بقولها:

لئنْ دامَ هذا وهذا بهِ سيهلكَ وَجدا لايشعرُ

ولم يذكر مؤرخو الأدب لهذه الشاعرة سوى هذ البيت ومن خلال النظر في أخبار هذه الجارية في بلاط العباديين ،يتبين لنا خضوع الملوك للمرأة الجارية واستصغارهم لملكهم أمام عاطفتهم وسلطان وجودهم.

وقد سجل لنا المعتمد صورة للوله بالجواري ،وإن كانت ظاهرة شائعة بالأدب[2].

المطلب الرابع

(1) نفح الطيب،ج (6)، ص(19)
(2) ديوان المعتمد بن عباد، ص (17)

أنس القلـوب[1]

تميزت أنس القلوب بجرس موسيقي عذب، فذاع صيتها، وكانت عند المنصور بن أبي عامر المتوفي سنة (392هجري). وفي أحد مجالس الشرب بعد أن دارت الكؤوس غنت أنس القلوب [2]

قَدِمَ الليلُ عندَ سيرِ إلنهارِ وبدأ البدر مثلَ نصفِ سوار

فكأن النهارَ صفحةُ خدِّ وكأن الظلامَ خط عذارِ

وعندما أنشدت أغنيتها هذه أعجب بها أبو المغيرة [3] عبدالوهاب بن حزم المتوفي سنة (420 هجري) وكان حاضراً فإرتجل على الفور أبياتاً بعد أن عرف أنه المعني بالبيت:

كيفَ كيفَ ؟ الوصول للأقمارِ بين سحرِ القنا وبين الِشفارِ

لوعلمنا بأن حبكَ حقٌ لطلبنا الحياةَ منك بثارِ

وإذا ما الكرامُ هموا بشيءٍ خاطروا بالنفوسِ في الأخطارِ

فلما سمعه المنصور غضب وأراد أن يقتل الجارية، ولكنها بكت فأمرها بالاعتراف وقال: قولي وأصدقي إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين ؟ فقالت الجارية: (إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى واولى، والله ما كنت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكلماتي، والعفو مضمون لديك عند المقدرة ،والصفح معلوم منك عند المعذرة) ثم بكت فكأن دمعها درر تناثر من عقد أو طل تساقط من ورد[4]

وقال المغيرة:

أذنبتُ ذنباً عظيماً فَكْيفَ منْه اعتذِارى[5]

واللهُ قْدرَ هذا ولم يَكُنْ باختِياري

والعفوُ أحسنُ شيءٍ يكونُ عِنْدَ الاقتدارِ

وقيل لما سمع المنصور الشعر، هدأ غضبه ورق قلبه للوزير الكاتب أبي المغيرة ثم عفا عنه،ووهب أنس القلوب إليه.

ولقد تميزت أنس القلوب بذكاء شديد وموهبة كبيرة فكانت سريعة الخاطر سخرت شاعريتها بذكائها، فاستطاعت أن تصل إلى من تبتغي وتحقق آمالها دون عناء.

المطلب الخامس

1- نفح الطيب، ج(2)،ص(146- 147)، وأنظر أعلام النساء ج (1) ص (97-98-99)
2- مختارات من الشعر الأندلسي، ص (38-39) وأنظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص (211)
3- انظر جنوة المقتبس، ص 273، ترجمة (658) والذخيرة، ج1، ص 132
4- أعلام النساء، ج(1)، ص 97-98-99
5- مختارات من الشعر الأندلسي، ص (39).

عـتبــه

عتبه هي جارية الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي التي توفيت عام (484 هجري) وقيل كانت جارية سوداء، بديعة الغناء ،وفي أحد مجالس اللهو والأنس، بعد أن سعد ابن زيدون بلقائه مع صاحبته ولادة. فقد غنت (عتبة) وقالت منشدة[1]

أحبَتَنا أني بلغتُ مُؤْملي وساعَدنَي دَهْرى وواصَلَني حُبي

وجاءَ يُهنيني البشيرُ بقربهِ فأعطيتهُ نَفْسي وزدتُ لهَ قلْبي

فطلب ابن زيدون من عتبه الإعاده ،بغير علم ولادة. فضجرت الأخيرة وظهر عليها التهجم وغارت غيرة شديدة، بعد أن أدركت أن حبيبها يميل إلى الجارية، وكان هذا سببا مباشرا في نفور ولادة من حبها لإبن زيدون.

ورجح محقق ديوان ابن زيدون أن البيتين الذين غنتهما عتبة صاغهما لتشدو بهما عتبة وصيفة ولادة في خلسات اللقاء.

وقد علق محقق الذخيرة إحسان عباس فقد (أثبتهما ناشر ديوانه، على أنهما من شعره ولكن ليس ما يؤكد ذلك)[2].

ولكن حقيقة الأمر أنه لا أحد يعلم أيهم نظم الأبيات ولكن أغلب الرواة يرجحون أنها من نظم الشاعرة عتبه، وإلا لم تخبر عتبة مولاتها بأن الأبيات من نظم ابن زيدون بعد انهالت عليها ضرباً وربما كان حلا للإشكال الذى وقع بينهما.

المطلب السادس

[1]- ديوان ابن زيدون. ص (20)، تحقيق علي عبدالعظيم.
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله، ص (120) ت علي عبدالعظيم.

غايـة المنـى

غاية المنى جارية أندلسية متأدبة. لبيبة،تقول الشعر وتحسن المحاضرة، ولها صوت حسن وصفه جيدة بالأصوات، فهي عاشت ضمن فترة القرن الخامس الهجرى لأنها عاصرت المعتصم بالله أبا يحى محمد بن معن صمادح المتوفي في سنة (484هجري).[1]

فهذه الشاعرة أندلسية قد تاثرت بأصوات زرياب بعد أن ترك أكثر من مئة لحن إضاف إلى العود الوتر الخامس وقلده الأندلسيون وتأثروا به.

ولم يصل إلينا شيئ من أغانيها، وقيل:[2] أن المعتصم بن صمادح الذى كان يعمر أندية اللهو والغناء قد قدمت إليه فأراد اختبارها.

فقال لها ما اسمك ؟ فقالت: غاية المنى. فقال لها أجيزي. أسألوا غاية المنى ؟ فأجابت بسرعة بديهة ورقة خاطر وحضور نادر:

من كَسَا جِسَمى الضنا

ورأني مُولهِا سيقولُ الهوى أنا

فأعجب بما بدأ منها من ذكاء نادر، واجتيازها الإمتحان برقة وسحر، فأشتراها بمئة ألف درهم، وكانت محظية عنده إلى أن ماتت ولم تذكر سنة وفاتها.

[1]- المعجب في تلخيص اخبار المغرب (ص 95 – 96)

[2]- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، للفتح بن خلقان.القاهر. مطبعة التقدم العلمية ،(1964). ص (53).

المبحث الثاني

الشاعرات القيان الوافدات

المطلب الأول:

1- قمر البغدادية (جارية إبراهيم بن الحجاج):

جارية بغدادية وفدت إلى الأندلس. وكانت جميلة رقيقة جمعت الظرف إلى الأدب والحفظ مع الرواية مع فهم وفصاحة وبيان وإيقاع، وقد صاغت ألحاناً تفيض رقةً وعزوبةً. عاشت في إشبيلية في القرن الثالث وهي جارية لإبراهيم الحجاج، الذى كان يستقبل الشعراء فيجزل لهم العطاء [1] من شعرها في مدح مولاها مصورة مدى فضله عليه ومعاملته الحسنة:

مافي المغارب من كريم يرتجي إلا حليف الجود إبراهيم

إني حللت لديه منزل نعمة كل المنازل ماعداه سقيم [2]

إنها تحية بارعة من قينة ذكية مدربة على حسن القول ورقة الكلمات وحب الوطن غريزة راسخة في الكيان الإنساني، وهو أغنية عذبة حلوة ترددها الألسن في تشوق ووفاء وذكرى عطره وإخلاص فمنها طاف الإنسان بأرجاء البلدان وعاش أياماً هانئة فإنه يحس بإنجذاب سحرى وحنين دفاق إلى مدارج الصبا ومسارح الأنس والطفولة حيث الطهر ونقاء السريرة والصفاء الروحي.

وفي مرارة وحزن بكت الغربة ولوعتها واشتاقت إلى بغداد مدينة السحر والجمال. وعاودها الحنين فقالت:

باعلى بغداد وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى والعذارى من أخلاقها

نفسي الفداء لها أي محاسن في الدهر تشرق من سنا إشراقة [3]

لقد بدأت أبياتها بآهات حزينة على بغداد وجمالها ومواطن السحر فيها أنها الغربة وما أقساها حين يشتاق الإنسان إلى الرفيق والأنيس الذى تسر رؤيته.

ولقد ترحمت مشاعرها وحبها تجاه بلدها بغداد في كلمات رقيقة فأودعت كلماتها مكنون تلك النفس المفارقة وجمعت بين حسن الإيقاع والسحر.

1- أعلام الإعلام. للسان الدين الخطيب. تح ليفي بروفنسال. ط: بيروت 1956م – ص 64

2- الشعر الأندلسي في تطوره وخصائصه. لأميلو حارسيه جومس ت: حسن مونس – ص (50)

3- نفح الطيب للمقري – ج6 – ص (6).

المطلب الثاني:

2- حسانة التميمية:

هي حسانة بنت أبي الحسين الشاعر. وكانت من أهل البيره. ونحن لانعلم على وجه التحديد شيئا عن ميلادها ووفاتها وإنما نعرف أنها مدحت الحكم بن هشام ومات عام 206 هجري، أذن من اليسير أن نستنتج أنها عاشت أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ونفرض أنها ولدت عام 154 هجري ثم توفيت. ولها مئة سنة فتكون سنة وفاتها حينذاك هي 254 هجري.

وقد نشأت نشأة الطهر والعفاف وتوفى أبوها فتركها للأقدار ولم تجد من تلجأ إليه تأدبت حسانة على يد أبيها الذي كان أيضاً شاعراً. ولما مات لجأت إلى الحكم أمير الأندلس. وكانت وسيلتها إليه تلك الأبيات:

إني إليك أبا العاصي موجعة أبا الحسين سقته الوالف الديم

وقد كنت أرتع في نعماه عاكفة فاليوم آوى إلى نعماك يا لحكم

أنت الأمام الذى أنقاد الأنام له وملكته مقإلبد النهى والأمم

لاشئ أخشي إذا ما كنت لي كنفا أوى إليه ولا يعزو لي العدم

لازلت بالعزة القعساء مرتدياً حتى تذل إليك العرب والعجم [1]

فلما وقف الحكم على شعرها إستحسنه، وأمر لها بإجراء راتب وكتب إلى عامله جابر بن لبيد على البيره، فجهزها بجهاز حسن ولما مات الحكم نالها بعض الضنى من عامل بلدها الذى لم يحرر لها أملاكها ولم ينفذ وصية الحكم. فجاءت إلى الأمير الجديد عبدالرحمن الأوسط وأنشدته قصيدة منها:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شحط نصلي بنار الهواجر

ليجبر صدعي إنه خيرجابر ويمنعني من ذي الظلامة جابر

فإني وأيتامي بقبضة كفه كذي ريش أضحي في مخالب كاسر

جدير بمثلي أن يقال مروءة لموت أبي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا لوكان حيا ما أعتدي على زمان باطش بطش قادر

أيمحو الذي خطته يمناه جابر لقد سأم بالأملاك إحدي الكبائر [2]

---

[1]. نفح الطيب للمقري \ ج (6) \ ص (6)

[2]. الشعر الأندلسي \ ص (32)

فلما فرغت من قصيدتها رق لها فعزل الوإلى وأقرها على أملاكها وأمر لها بجائوة فانصرفت. وشعرها مزيج من الرثاء والشكوي والمديح وطلب العون وتبدو عليه السمات الأندلسية.

وشعر حسانة يتسم بالأصالة والصدق ففيه كثير من طبيعة المرأة، ولاشك أنها حينما تحتاج إلى الحماية وتفزع من القهر فنجدها قد صاغت كلماتها في صدق خائفة ومتوجسة تنشد الأمان وصغارها.

ويغلب على شعرها عمق الوعي وقوة الغدراك لعيوب الناس وقوة الإحساس بالمرارة والقسوة وتنسج قصيدتها على حبات من الدموع المترقرقة ترحماً على حاميها.

المطلب الثالث:

3- الجارية العجفاء:

هن من اللائي وفدن إلى الأندلس وفيهن من المواهب الأدبية. وعرفت بالجارية العجفاء لأنها كانت ضعيفة هزيلة نحيلة وربما لأن سيدها الذي اشتراها كان رجلاً فقيراً اسمه مسلم بن يحي وهو من بني زهرة وكان يسكن معها في بيت صغير [1]

ولقد كانت الجارية العجفاء تتقن قول الشعر والغناء وتعودت على الشعر الوجداني الذي يخاطب العاطفة ويهز المشاعر ومن قولها:

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تقريح ما ألقي من الهم [2]

يقول الأرقمي أنه بعد سماعه هذه الأبيات زحف مع أبي السائب على الأرض متجهاً إلى العجفاء وربت في عينه ثم غنت:

ياطول ليلي أعالج السقما أدخل كل الأحبه الحرما

ما كنت أخشى فراقكم أبداً فاليوم أمسى فراقكم عزما [3]

وكانت الجارية العجفاء تسعى لكي توفر لجيلها حياة مهذبة لطيفة تسودها السعادة والحب والأمل والرجاء والأمن والاستقرار والطمع والرغبة.

فالمرأة الأندلسية كان لهااعتدادها بنفسها وكان الحكام الأندلسيون من أمراء بني أمية يشترون الجواري الأديبات المدربات على حفظ الشعر والغناء والعزف على أوتار العود والإنشاد الأدبي وهكذا كانت العجفاء.

---

1. المعجب في تلخيص أخبار العرب \ بعبدالواحد المراكشي \ تح. محمد سعيد العريان – القاهرة 1943 \ ص 136.
2. نفح الطيب للمقري \ ج 4 \ ص 140
3. المصدر نفسه والصفحة

المبحث الثالث

أديبـات الأندلس

أكبت نهضة الشعر نهضة أخري منالأديبات تمثلت في وفرة عددهن واختلاف بلادهن وتجديد فنونهن. فمنهن الشاعرة والأديبة والكاتبة والعالمة ومن هؤلاء:

1- صفية بنت عبدالله الربي:

هذه الشاعرة لم تعش طويلاً وودعت الحياة وهي في معية الشباب، وولدت سنة 417 هجرى، وعندما توفيت عمرها لايتجاوز الثلاثين وعاشت في عصر الخلافة

وتقول صفية وقد عابت امرأة خطها:

عائبة خطي لها أقصري فسوف أريك الدر في نظم أسطري

وناديت كفى كي تجود بخطها وقريت أقلامي ورقي ومحبري

فخططت بأبيات ثلاث نظمتها ليبدو بها خطي وقلت لها أنظري [1]

وما عثر عليه من أخبار قليل وذلك لقلة الأعوام التي عاشتها

2- أم السعد بنت عصام الحميدي:

شاعرة من قرطبة، تعرف بسعدونة روت عن أبيها وجدها وخاليها عامر وأبي بكر أبي هشام بن عبدالله الأزدي توفيت بمدينة ملقة عام (640هجري) ،وهي شاعرة متدينة عفيفة.

وقد نسبت إليها بعض الأبيات منها:

آخ الرجال من الأباعد والأقارب لاتقارب

إن الأقارب كالعقارب وأشد من العقارب [2]

3- فاطمة بنت يحي بن يوسف المغامي:

امرأة فاضلة عابدة عالمة فقيهة، سكنت قرطبة وتوفيت بها عام (319هجري) ودفنت بالرياض[3]

4- مزنة كاتبة الخليفة الناصر:

هي كاتبة ذكية عارفة بالخط وحسبها أنها كانت تقوم بمهمة الكتابة للخليفة الناصر لدين الله. ماتت سنة (358 هجري) [4]

5- أسماء غالب:

---

1. الذخيرة \ ط1 \ ص 310
2. يتيمة الدهر \الأبي منصور الثعابي \ تح: محمد معي الدين عبدالحفيظ \ ط: القاهرة \ ج:1 \ ص 225
3. قلائد العقيان \اللفتح بن خاقان \ ط. القاهرة 1283 هجري \ ص 86.
4. الأغاني \ ج: 4 \ ص 315

أديبة فاضلة، أبوها هو غالب صاحب مدينة سالم وفارس الأندلس وحاجبها، كانت متزوجه أول الأمر بالوزير عبدالرحمن بن موسي بن مدير فطلقها أيام الحكم، ورأى محمد بن أبى عامر أن يتزوجها ليتقرب إلى أبيها، ويحقق طموحه ولكن أبوها قد زوجها من عثمان بن جعفر ،حتى يحافظ على منصبه ولم يفعل زوجها إلى أبي عامر، وحدث بين المنصور وابن أبي عامر وغالب ما عكر صفو المصاهرة بينهما مما أدي إلى قتل غالب وارسل رأسه ابنته فحزنت عليه وأشد الحزن وكان ذلك عام (371هجري) وأمرت بإحضار ماء الورد وغسلته به [1].

6- لبني كاتبة الخليفة الحكم:

أديبة عالمة بفنون الأدب والنحو والعروض ،إضافة إلى تفننها في الكتابة والخط، توفيت عام (374هجري) [2].

7- خديجة بنت جعفر بن التمار التميمي:

هذه العالمة هي زوجة عبدالله بن أسد الفقيه ،فقد حدثت عن زوجها وكتبت كتباً كثيرة، وعلى إبنة أبي محمد بنأسعد الفقيه توفيت (394هجرى) [3].

8- فاطمة بنت محمد بن على اللخمي:

فهي عالمة شاركت أخاها أبا محمد في بعض شيوخه، عاشت في القرن الرابع الهجري، وقدأجازها وأجاز أخاها أبا محمد الإشبيلي في جميع رواياته.

9- راضية مولاة عبدالرحمن الناصر:

تدعي نخم، أعتقها الحكم ،وتزوجها لبيب الفتي ،وحجت معه سنة (353هجرى) ،وروى عنها محمد بن خزرج ،وصرح بأنه لديه بعض كتبها، بلغت هذه العالمة من العمر سبعا ومائة سنة تقريبا وكانت وفاتها (423 هجرى) [4].

10-فاطمة بنت زكريا:

كاتبة متمكنة تتقن فن الخط، عاشت عمراً طويلاً حتى شارفت الرابعة والتسعين، توفيت عام (427 هجرى) ولم تتزوج قط. دفنت بمقبرة أم سلمة.[5]

11-أمة الرحمن بنت أحمد بن عبدالرحمن الحسيني:

---

1. الأغاني \ ج:4 \ ص 315
2. جزوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس\ لعبدالله الحميدي \ تح: محمد الطيخي ط : دار السعادة مصر \ ص 169
3. نفس المصدر السابق والصفحة.
4. تاريخ الفكر الأندلسي \ لأنجيل در سالس \ ط القاهرة 1955م \ ص 98.
5. تاريخ الفكر الأندلسي \ لأنجيل سالس \ ص 98

زاهدة فاضلة ،صوامة قوامة ،سمع عنها أبو محمد بن خزرج بعضا مما روته عن أبيها لم تتزوج قط. وفي شعبان عام (440 هجرى) نوفيت عن عمر يناهز الثمانين.[1]

12- خديجة بنت أبي محمد بنت سعيد الشنتجإلى:

عاشت في القرن الخامس الهجرى، ولم يذكر عن سنة ولادتها أو وفاتها، وقد شاركت عن أبيها في السماع من شيوخه بمكة المكرمة. أما الشنتجإلى نسبة إلى شنتجإليه، مدينة معروفة بالأندلس أيام الحكم العربي.[2]

13- أشواق السويداء:

لم يسمها صاحب النفخ، واكتفى بقوله أنها مولاة أبي المطرف عبدالرحمن بن غلبون الكاتب، أما ابن الآبار في التكملة فقد سماها أشواق السويداء. وقد سكنت بلنسية ،وتعلمت على مولاها اللغة والنحو وتفوقت في علم العروض، وكانت تستظهر الكامل والنوادر للغإلى وكانت وفاتها في نحو (450 هجرى) كما عند المقرى. أما ابن الآبار في التكملة فيصرح بوافاتها عام (433 هجرى) ومهما يكن فوفاتها كانت خلال العقد الخامس.

14-ابنة فايز القرطبي:

هي زوجة عبدالله بن عمار، اشتهرت بحبها للعلم والأدب ،أخذت من أبيها فايز علم التفسير والنحو والشعر،وأخذت عن زوجها علم الفقه ،وأرادت أن تأخذ عن أبي عمرو الداني القراءات ولكنها قد خاب أهلها عندما قصدته ووجدته مريضاً، ولكنها توجهت إلى أبي داؤود أحد أصحابه وقرأت عليه بالقراءات السبع، وبعد ذلك حجت وتوفيت عام (446 هجرى) [3].

15- حبيبة بنت عبدالعزيز بن موسي بن سباع:

ولدت عام (437 هجرى) وتزوجت أبا القاسم بن مدير الخطيب المقرئ وقرأت على أبي عمرو عبدالله كتبه وكانت حسنة الخط متدينة ماتت (506 هجرى) [4].

16- ريحانة جارية الطبيب أبوعبدالله الكناني:

هذه الجارية المثقفة الأديبة كانت على قيد الحياة في القرن الخامس الهجري، إشتراها هزيل بن خلف ، أمير شنتمر، من الطبيب أبي عبدالله الكناني بثلاثة آلاف دينار، وكانت تتسم بخفة الروح وعذوبة

---

1. نوابغ الفكر العربي \ لشوقي ضيف \ ص(10)
2. أدبيات الاندلس، نقلا من مجلة أنيس العدد 27، 1368 هجري
3. نوابغ الفكر العربي \ لشوقي ضيف \ ص (11)
4. نفح الطيب للمقري، ص(316)

الغناء، وتعرف بجودة الكتابة والخط، وحضور البديهة مع ثقافة أدبية وتتقن أيضاً اللعب بالسيوف والخناجر.[1]

17- ريحانة تلميذة أبو عمرو المقرئ:

عاشت في القرن الخامس الهجرى، تتلمذت على يد عثمان ابن سعيد أبوعمرو المتوفي عام (444 هجرى)، فأخذت عنه علوم القراءات بالمرية، وكانت أثناء دراستها عليه تجلس خلف ستار فتقراء عليه، ويشير إليها بقضيب بيده إلى المواقف، فأتمت دراستها السبع، ثم روايات أخرى غيرها وبعد ذلك أجازه[2]

18- هند جارية عبدالله بن مسلمة الشاطبي:

شاعرة رقيقة أديبة ظريفة، لم يذكر المقرئ سنة ميلادها ولاسنة وفاتها وقد عاصرت الوزير الأديب أبا عمرو بن ينق وقد كتب إليها يدعوها للحضور إليه يقول لها:

ياهند هل لك في زيارة فتية	نبذو المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا	نغمات عودك في الثقيل الأول [3]

فأجابته:

ياسيدا حاز العلا عن ساده	شم الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك أنني	كنت الجواب مع الرسول المقبل [4]

19- خديجة بنت أبي على الصوفي:

نشأت صالحة، حفظت القرآن الكريم، ورصيداً من الأحاديث النبوية الشريفة، تزوجها عبدالله بن موسي، فأنجبت له أبابكر وقد عمرت طويلاً إلى أن جاوزت الثمانين. توفيت عام (590 هجري).[5]

20- أم الهنا بنت القاضي أبو محمد عبدالحق:

أوررد هذه الكنية أم الهناء (المقرئ) من غير اسم في حين أكد ابن عبد الملك بإن إسمها هوو أمة الرحمن وكنيتها أم هاني.

ولقد درست عن أبيها فكانت مثالاً للمراة المثقفة وتميزت بحضور البديهة، ورجاحة العقل وسرعة الرد وألفت كتاباًفي القبور وآخر في الأدعية.

---

1. نفس المصدر السابق والصفحة.
2. نفح الطيب للمقري (ص 317).
3. الأدب الأندلسي – لحكمت الألوش. ط القاهرة. ص 59
4. نفس المصدر السابق والصفحة
5. المذهب لأبي الأبار القضاعي \ تح: ابن الابياري ط: الأميرية 1957م. ص 50

يحكي أن أباها لما ولي قضاء المرية دخل داره وعيناه تترقرقان بالدموع حزناً على مفارقة بلده فقالت متمثلة:

ياعين صار الدمع عندك عادة تبكين في ترح وفي أحزان

عاشت هذه الأديبة في القرن السادس الهجرى، ولم يتحقق سنة وفاتها وذلك لأن أباها القاضي عبدالحق بن غالب بن عطية الفقيه الأديب اللغوي تولى القضاء بالمريه في شهر محرم عام (295هجرى) وتوفي عام (541هجرى)ومع ذلك لانستطيع الجزم بسنة وفاتها،وما يمكن أن نطمئن إليه أنها كانت تعيش عندما تولى أبوها القضاء بالمرية وفي ذلك تمثلت ببيتها الشعرى الآنف الذكر[1].

21- فاطمة بنت أبي القاسم القرطبي:

هي فاطمة بنت أبي القاسم عبدالرحمن بن محمد بن غالب القرطبي أخذت عن أبيها قراءة نافع، واستظهرت عليه الشهاب، وقرأت القرآن على عبدالله الضرير ماتت عام (613 هجرى).[2]

22- أم العز بنت محمد العبدري:

أبوها هو محمد بن على أبي غالب العبدري، روت عن أبيها أبي الطيب برنجال وكذلك عن زوجها أبي الحسن ابن الزبير وأبي عبدالله بن نوح وكانت تتقن القراءات السبع، توفيت عام (613 هجري).[3]

23- زينب بنت محمد الزهري:

أبوها محمد بن عبد الرحمن الزهرى البلنسي، عرفت بعزيزة بنت محرس، كانت نقية صالحة، انتقلت إلى جوار ربها عام (635 هجري) بعد أن بلغت الثمانين. أخذت عن جدها لأمها أبا الحسن إبن الهزيل.

24- أم العز بنت أحمد بن على بن هزيل:

عرفت أم العز هذه باستظهارها للأشعار وتفوقها في حفظها. وأخذت قراءة نافع عن أم جعفر زوجة الأمير محمد بن سعد وتوفت بمدينة ساطبة عام (636 هجري).

المبحث الأول

---

[1].نوابع الفكر العربي

[2]6نفح الطيب للمغربي ج .

[3]نوابغ الفكر الغربي.

مميزات الشعر الأندلسي وأهم أعلامه

أ/ مميزات الشعر الأندلسي:

كان الشعر الأندلسي عقب الفتح الإسلامي غير متميز الملامح، مجهول الهوية، وذلك لانصراف المسلمين إلى الحروب لتوطيد أركان الدولة الجديدة، لذا عاش الأندلسيين في الحقب الأولي على التقليد من إخوانهم المشار قه في المضمون والشكل ومن هؤلاء (أبو الأجرب بن الصمة) ومنهم أيضاً (أبو الإخطار بن ضرار)[1]. ويعد عصر الفتنه بداية عصر الطوائف(422هـ-484هـ).

وبالرغم من النزاعات المتواصلة من ملوك هذا العصر إلا أنه يعد عصرا ذهبيا للشعر والشعراء إذ أصبحت له المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة عند الجميع، يتسابقون إليه ويتبارون في جني ثماره واستنشاق رياحه حتى بلغ من منزله الشعر من الشعراء؛ إن أبيات من الشعر كانت كفيله بالتجاوز عن كل ذنب ونسيان وعن كل إساءة[2]

واحتل الشعر المكانة المرموقة فاق الشعراء الأندلسيين غيرهم، وأصبح الناس يتسابقون إلى قرض الشعر واحتل في نفوسهم مكانه مرموقة.

وتطور الشعر حتى أصبح كبار الأندلسيين يتراسلون بالشعر أمثال المعتمد بن عباد إلى أن صارت حياتهم كلها شعراً.

وهناك عوامل ساعدت على ازدهار الشعر في العصر الأندلسي، منها الطبيعة الفاتنة التي كان لها الأثر العميق في نضوج الشعر وازدهاره، وبدأ شعراء الطبيعة يخرجوا عن المألوف والابتعاد عن القصيدة إلا في حالات قليله. ويعمد الشاعر إلى المقطوعات التي بها طاقه خيالية، وتصور عطاء شاعريته غير عابئ بعدد الأبيات أو النظام التقليدي للقصيدة.

والشعر الأندلسي يمثل صوره دقيقة لبيئة الأندلس وحبه الجم مما جعله يفضلها على غيرها من البيئات وهذا الشعر له خصائص ومميزات تميزه عن الشعر الجاهلي والعباسي، ومن أهم خصائصه يستثير في المسلمين النخوة الدينية والعاطفة الدينية، فالعاطفة في الأندلس قد زالوا بعد عزوا، واستعبدوا بعد سيادة، وصاروا إلى ضياع بعد منعة وقوة إلى ضعف فتفرق شملهم.

ومن أهم خصائصه الصدق الفني حين أفصح الشاعر عن إحساسه في صراحة عن الحنين القوي إلى المدن والإحداث التي مرات بهم من حروب وظلم وترف وانغماس وعدم الاكتراث والاستعداد

---

1. الأدب الأندلسي من الفتح إلي السقوط/احمد هيكل/ص(69)
2. تاريخ الأدب الأندلسي/إحسان عباس/ص(119)

والفتنه وأحيانا الحديث عن مصائب الدهر بالعظة والتأسي والتجلد والسلوان. فرسم الشعراء لوحات فنيه صادقه في أعظم صورها وأبهى زينتها وأنضر حالها.

واهتم الشاعر الأندلسي بالتشخيص وروعه التصوير، فجات قصائدهم على نحو انسيأبي بديع تموج بالحركة والنشاط معظمهم قصائدهم في الوصف فكانت تحمل الجانب السار الذي يدخل في النفس البهجة والانشراح، فكانت العلاقة وطيدة قويه بين الوصف وجمال المرأة، والطبيعة، والخمر وأثرها في النفس.

وقد اهتم الشاعر الأندلسي أيضاً برسم الصور لكل ما وقعت عليه عينه من مشاهد الحياة فأجاد وأبدع وقد نمي ذلك في نفسه حسه المرهف السليم.

وما يتميز به هذا الشاعر الأندلسي، ميله إلى الغزل الحسي الذي يتحدث عن مفاتن المرأة، فكان الشاعر قديما يفتتح بعض قصائده بالغزل التقليدي الخإلى من توقد العاطفة، مقلدا بذلك شعراء العربية السابقين.

الشاعر الأندلسي كان بعيد عن الغلو في مدائحه وكان يراعي الصدق الفني في بعض قصائده. والصفات التي كانت مثله الأعلى في ممدوحة، هي الصفات نفسها التي عكف على ترديدها الشاعر العربي قديما وحديثا مثل الشجاعة والكرم وحماية الجار، ولكن الشاعر الأندلسي اطفي على تلك الصفات روحا من نفسه. وفي بعض رثائه يتمثل الصدق واللوعة عميق الحزن تهتز له المشاعر وتفيض له الدموع، بينما جاءت دون ذلك في البعض الأخر.

فالشعر الأندلسي في جملته يمتاز على الشعر العربي عامه بما فيه من المعاني المبتكرة الجميلة، التي كان يعالجها الشعراء بين الوصف والبديع والذوق الفني والإبداع و أساليب الخيال ويرسم صوره من أحوال المجتمع وعاداته[1].

ب/ أشهر أعلام الشعر الأندلسي:

1) ابن دراج القسطلي: (347هـ-958هـ)

حياته:

في قسطله غرب الأندلس ولد أحمد بن محمد بن عيسي ابن دراج، وكنيته أبو عمر، في سنة (347هـ-958هـ) في بيت رفيع الشأن من بيوت قسطله، وكانت تنسب البلدة إلى جده فيقال لها قسطله دراج، وتنتمي أسرته إلى صناجه البربرية[2].

---

[1]. الشعر العربي في الأندلس, ترجمه منير مرسي القاهرة, عالم الكتب, 1951, ص(34)

[2]. وفيات الأعيان/ ط(1)/ص(282)

أما عن نشأته الأولي فيحوطها الضمر الشديد، إذ لم يتعرض لها المؤرخون من قريب أو بعيد، غير إننا نرجح انه تنشأ نشاه أدبية وتذود بالثقافة التي تعينه على فرص الشعر من لغة وتاريخ ونحوه، وكان ناثرا بالشعر الجاهلي والإسلامي قويا، وخصوصا شعر مدرسه المحافظين ويبدو أن إعجابه ما بين هانئ وبالمتنبئ كان اقوي، لذلك تأثر بشعرهما تأثرا كبيرا، فعندما فاضت شاعريته ونضجت موهبته أرد الاتصال بالمنصور بن أبي عامر، لما بلغه من تقديره للشعراء وعلى رأسهم صاعد الذي نال الخطوة عنده بعلمه وشعره، فنظم قصيده يعارض بيها قصيده صاعد لعلها تكون همزه وصل بينه وبين المنصور والتي تقول:

أضاء لها فجر النهي فنهاها عن الدنف المغني بحر هواها

وجللها صبح جلا ليلة الدجى وقد كان يهديها إلى دجاها [1]

ويبدو أن قصيدته قد أثارت من حوله الشكوك، لذا الحاقدين أن وصول دراج إلى بلاط المنصور خطراً على منزلتهم منه، فرموا قصيدته بالسرقة، وإنها منحوتة من شعر غيره، ولما علم المنصور بهذا الاتهام، صمم على اختبار ابن دراج ليتأكد من صدق ادعائهم حتى لا يظلمه، فاستدعاه إلى مجلسه واقترح عليه النظم في عرض معين، فنظم شعرا جيدا استولي على تقدير المنصور وملك عليه إعجابه. حئنذ تبين افتراء الواشين، فكافاه بمائه دينار، وسجل اسمه في ديوان العطاء، وكان لهذا دافعا له في تنمية مواهبه، فكب ينهل من موارد الثقافة العربية ويحفظ من أشعاره ما وسعه إلى ذلك سبيلا. ثم اكد شاعريته لدي الأمير بقصيدة انشدها في مجلسه مطلعها:

حسبي رضاك من الدهر الذي عتبا** وعطف نعماك للحظ الذي انقلبا

يا ملكا أصبحت كفي وما ملكت**ومهجتي وحياتي بعض ما وهبا[2]

ثم عقد مقارنه بينه وبين الشعراء الحاقدين:

عبد النعمان في كفيه نجم هدي**سار بمرحك يجلو الشك والريبا

إن شئت أملي بديع الشعر أو كتبا**أو شئت خاطب بالمنثور أو خطبا

كروضة الحزن اهدي الوشي منظرها**والماء والزهر والأنوار والعشبا[3]

وبهذه القصيدة استولي على إعجاب المنصور وحبه وتقديره حتى أصبح من كبار شعراء بلاده فقلده منصب الكتابة في ديوان الإنشاء.

---

[1]. جذوة المقتبس/ ص(102)..والديوان ص(363)

[2]. جذوة المقتبس/ ص(103)

[3]. الديوان/ ص(363)

شعره:

وقف ابن دراج ديوانه على المديح، الا من بعض الاثار القليله التي تكاد تضيع في زحمة المديح، وله قصيدتان في الغزل وثالثه في الاستهداء، ولاغ درجه عاليه من التفوق في المدح غير انه مزجه بالعفه، ومما دفعه إلى ذلك الظروف القاسيه التي عاناها والفقر الشديد وكثرة العيال ضاعفت حاجته إلى المال.

فمديحه تمثل في قصيدة مدح بها المنصور بن أبي عامر والقصيدة في مقدمتها مديح ثم جنح الشاعر مره أخرى للوصف الحسي الممزوج بالاحساس النفسي للوداع والفراق:

ولله عزمي يوم ودعت نحوه نفوسا شجاني بينها وشجاها

وربة خدر كالجمان دموعها عزيز على قلبي شطوط نواها

وبنت ثمان ما زال يروعني على الناي تذكاري خفوق حشاها

فموقفها والبين قد جد جده منوطا بحبلي عاتقي يداها

تشكي جفاء الأقربين إذا النوى ترامت برحلي في البلاد فتاها

وأقسم جود العامري ليرجعن حفيا بها من كان قبل جفاها [1]

فالمشهد الحسي نراه يتمثل في دموع الزوجه وتوسلاتها، وتعلق طفلته به في لوعه الفراق والمه [2].

فابن دراج بهذا الكم الهائل من أشعاره، نجده قد طرق جميع أغراض الشعر. فوصف الخيل والرماح والطبول فوجد الظلم، وذاق الم الفراق والبعد عن الأحبة والأهل.

فضمن جهده الشعر والنثر في براعه وإبداع مع جزالة اللفظ وفخامة العباره. فجاءت قصائده تمثل الجوده في لغتها وموسيقاها وروحها وأخلاقها، فحملت احاسيسه الخفيه. فجمع بين الوصف الداخلي للمشهد والوصف الحسي والاحساس في برتعه وإبداع وجودة.

2) ابن شهيد (350هـ-426هـ)(ابو عامر أحمد بن عبد الملك):

حياته:

كان والده عبدالملك (ابو مروان) من شيوخ الوزراء في الدوله العامريه، مقربا من المنصور بن أبي عامر، وقد استعمله المنصور واليا على الجهات الشرقية، جهات بلنسيه وتدمير فبقي هناك تسعة أعوام ثم سئم العمل، فكتب إلى المنصور وقد عفاه المنصورمن الخدمه حسب رغبته واقال إلى قرطبه،

[1]. ديوان بن دراج القسطلي/تحقيق محمود المكي/ط(1) /ص(223)
[2]. الشعر العربي في الاندلس/ كرادسوفسيكي/ تحقيق محمد موسي/ ص(136)

وكان معه حين عودته أربعمائه الف دينار ومائه الف من الذهب ومائتين من الرقيق، ولم يحاسبه المنصور على هذا الثراء، وكانت نفقته الشهريه من القمح سبعين مديه ومن الشعير ثمانين راية.

وفي قرطبة أصبح أبو مروان من ندامي المنصور ومستشاريه وكان من الناحيه الثقافيه كثير الاهتمام بالتاريخ واللغه مع سعة روايه الحديث والاثار. وقد الف كتاب التاريخ في الأخبار. وقد أصيب بالنقرس في شيخوخته واهدي إليه ابن أبي عامر محفة من خيزران ليحمل بها.

وكان في مجالس الانس يستهويه الطرب فيرقص اذ اخذ منه الشراب، ويرتجل الشعر.ومما ارتجل قوله:

هاك شيخ قاده عذرا لكما قام في رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثنيا فاثني يرفضها مستمسكا

عاقه من هزها معتدلا نقرس انمي عليه فاتكا

ان انا لو كنت كما تعرفني قمت اجلالا على راس كدا

قهقهة الابريق مني ضحكاً وراي رعشة رجلي فبكي[1]

ففي شيخوخته كان قوي، منطلق النفس في اهوائه الا انه قد ادركته المنيه حين اصابته زبحه، وقبيل وفاته كان المنصور قد نقله إلى ضيعة النعمان ليكون قريبا منه.

وفي الحي المسمي منه المغيره وف الدار المعروفه بابن دار النعمان ولد أحمد بن عبد الملك وشهد عز أبيه في ظل العامرين وثراءهم وقصورهم، وكان طفلا شديد الحساسيه. وقد شعر بفقدان عطف والده له اذ كان مشغولا بمجالسه وبامور الدوله اكثر من النظر إلى ابنائه.

وكان ابن شهيد اصم، وفي مره كان ابن العباس يترنم بأبيات من الشعر، لم يسمع ابن شهيد ما كان يقول فاضطرا ان يسال احد الجماعه ليسمعه ما كان يترنم به، وقد اشتهر بين معاصريه باربع، اولا ميله إلى اللهو والبطاله[2]

واسرافه في الكرم، حتى اشرف في نهاية حياته إلى الفقر وأيضاً اشتهر بعزة النفس. [3]

واشتهر بين الناس بالفكاهه والميل إلى الهزل وكانوا اصدقائه يحبونه ويقضون الوقت في داره متنزهين في البساتين او متحدثين في جامع قرطبه.

---

1. الديوان/ ليوسف الثالث ملك قرناطه/ ط(2)/ تحقيق عبد الله كنو/ القاهره/ مكتبة الانجلو المصريه, 1965, ص(17)
2. لمغربي/ ط(1)/ ص(85)
3. المغربي/ ط(1)/ ص(86)

ومن ناحيه ثقافته فلم تكن عميقه ولا واسعة الاطراف وقد قرا وحفظ كثيرا من شعر المشارقه ونثرهم منهم بشارا وابا نواس وابا تمام والمتنبئ وابن المقفي والحاجظ. وعند وفاته لم تكن له كتب ما عدا القليل.

شعره:

كان متوقد القريحه وانفذ بصرا في نقد الشعر. زكان تلميذا للحاحظ وبديع الزمان. وقد استطاع أن يفصل بين شعره ونقده، وعرف تطور الشعر وتقدمه ونقده. انه سلك في شعره مسلكا متوسطا. فقد عارض المحدثين كالبحتري وابن نواس ولك اعجابه بالشعر الجاهلي وعمر ابن أبي ربيعه، ولكنه كان معجبا بالمتنبئ [1]. وحينما مرض ابن شهيد كتب إلى ابن حزم بأبيات يذكر فيها أخوته وصداقته، ويطلب إليه أن يؤنبه ويدعو له الله أن يغفر ذنبه:

فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي يدا في ملماتي وعند مضايق
عليك سلام الله اني مفارق وحسبك ذادا من حبيب مفارق
فلا تنسي تاتيني اذ ما فقدتني وتذكار أيامي وفضل خلائقي [2]

فاجابه ابن حزم بقوله:

ابا عامر ناديت خلاً مصافيا يفديك من دهم الخطوب الطوارق
وألفيت قلبا لك مخلصا بودك موصول العري والعلائق [3]

مرض ابن شهيد مرضا شديدا في ذي العقدة سنه (425هـ)(1). ولازمه حتى قضي نحبه، وفي أيامه الأخيره تعطلت حركته تماما، ولما بلغت به الأوجاع مبلغا شديدا، هم بقتل نفسه ثم أثر الرضى لله فقال:

أنوح على نفسي واندب نبلها إذ أنا في الضراء أزمعت قتلها
رضيت قضاء الله في كل حالة على واحكاما تيقنت عدلها [4]

وعلى ما اصاب جسمه من وهن بقي ذهنه متفتحا وقريحته مشتعله، والشعر الذي صدر منه في فتره مرضه، فقد صدر من نفس يائسة متالمه وكتب إلى صديق له اسمه عمرو يقول:

اقر السلام على الاصحاب اجمعهم وخص عمرا بازكي نور تسليما
وقل له يا اعز الناس كلهم شخصا على وأولاهم بتكريم [5]

---

1. جذوة المقتبس/ ص(125)
2. المصدر نفسه/ ص(125)
3. نفح الطيب للمقرئ/ ط(2) /ص(806)
4. جمهرة انسياب العرب لابن حزم /ط(1) /تحقيق ليفي بردفنسال مطبعة دار المعارف/ص(85)
5. الزخيرة / ص(66)

فقد كان يرتاح للذكر بعد الموت. وقد أوصى قبل موته بهذه الوصايا. أن يصلي عليه الرجل الصالح أبو عمر الحصار، فتغيب وصلي عليه (جهور بن جهور أبو الحزم صاحب قرطبه، وأن يثني التراب عليه دون لبن أو خشب ولم ينفذ هذا، وأن يدفن بجانب صديقه أبي الوليد الزجإلى)[1].

حياته وشاعريته:

ولد ابن حمديس الصقيلي بجزيرة صقليه من جزر البحر المتوسط عام 447هـ، وهي تحت سلطان ملوك الطوائف ولكن لم تطب له الإقامة في وطنه، ففكر يرحل إلى إشبيليه ليعيش هناك في رحاب الشعر وفي دولة الأدب. وهي في ذلك الوقت سلطانها المعتمد بن عباد، لكنه لم يعرض نفسه عليه معرض السلعه، وطل بأول أمره في اشبيليه لا شعر به أحد ولا يعرف قدره. وفي هذه الفتره من الزمن سمع بن المعتمد بن عباد فطلب أن يحضر بين يديه، فلما اجتمع به واستقر به المجلس تجاذب معه أطراف الحديث من كل جانب. فاحسه المعتمد في ابن حمد يس توقد ذهنه وبديهته وخصوبته وسعة خياله، وفي هذه اللحظه ابتدأت حياته في بلاط ابن عباد.

وكان شعره امرأة لحياته النفسية ومشاهداته وأرائه إما أسلوبه ففيه الصيغة الفنية الشخصية التي تميز الشاعر وشمل شعره جميع أنواع الشعر وإغراضه من وصف ومدح وغزل ورثاء وشكوى.

وكثيرا ما نجده يبكي وطنه لما حل به من المصايب ويمزج ذلك بذكر الشباب والشكوى على المشيب بقوله:

ذكرت صقليه والآسي يهيج للنفس تذكارها
ومنزله للتصأبي خلت وكان بنو الطرف عمارها
فان كنت أخرجت من فيه فإني احدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاء حسيت دموعي أنهارها [2]

وقد أثر ابن حمد يس الهجرة على البقاء بين قوم اغتصبوا بلاده وكان لهذا أثر عظيم في نفسه وخياله الشعري، واستولي عليه البؤس بسبب هذه الحوادث فهاجر إلى اسبانيا ونزل باشبيلية بحاشيته المعتمد بن عباد. وسار في جملة شعرائه وتبعه في منفاه.

وقد كان كثير الحنين إلى بلده وصار ذلك من اظهر صفاته. وقد ظهر هذا في شعره حتى في الغزل والمدح والوصف فكان ميالا إلى إدراك الأشياء والمعاني، وكان كثير الكلام في الخمر، وأكثر تأثر بالمعاني الاجتماعية وقد أبدع في شعر الحكم والآلام النفسية التي كان يشعر بها.[3]

---

1. الزخيره / ص(280)
2. ابن حمد يس الصقلي/ لعلي مصطفي العمراني/ مطبعه دار مكتبة الفكر/ ص(226)
3. ابن حمد يس الصقلي/ ص(120)

فهو شاعر ناقم على الحياة وما فيها وذلك حين قال:

قناة من الشمع مركزوه لها حرية طبعت من لهب

تحرق بالنار احشاها فتدمع مقلتها بالذهب

تمشي لنا نورها في الدجى كما يمشي الرضي في الغضب [1]

وما أجمل حزنه الشعري حين قال:

يا ذنوبي ثقلت والله ظهري بان عذري فكيف يقبل عذري

كلما تبت ساعة عدت أخري لضروب من سوء فعلى وهجري

وأنا حيث سرت أكل رزقي غير أن الزمان يأكل عمري [2]

وقد تتلون ألوان الشعر عند ابن حمد يس وأحيانا يقلب علبه زهد بن أبي العتاهية فهو شاعر مجدد له طريقته في التصوير والإبداع.

3) ابن وهبون المرسي (410هـ-476م):

ولد عبد الجليل بن وهبون المرسي بكورة(تدمير) وبها قضي طفولته وشبابه، وعلى أساتذتها وعطائها نال قسطا وافرا من الأدب والعلم.

والمصادر المختلفة قد اغفلت ذكر تاريخ مولده، كما أغفلت التحدث عن أسرته وهذا ليس بالغريب فمعظم الشعراء والأدباء الموهوبون يصبحون كما مهملا ولا يهتم بهم أحد، وليس هذا بالمهم فقديما قال المتنبئ:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي [3]

وشاعرنا ينطبق عليه هذا، ولم تذكره التاريخ إلا حين طرأ على اشبيلية منتحلا للطب، واتصل بالأستاذ أبو الحاج الأعلم الشنتمري الذي كان زعيم البلد وأستاذ أبناء المعتمد.

كما اتصل بابن عمار وتوطدت بينهما الصداقة إلى بلاطة وطلب منه ان يذكره عند المعتمد ويهيئ له فرصة الوصول إلى بلاطه يسمعه شعره، فنجح في ذلك، وحفظ له هذا الجميل وعرفه بالمعتمد حتى استخلصه لنفسه واحضره مجالسه. [4]

---

1. الديوان/ ج(1)/ ص(34)
2. الديوان/ ج(1)/ ص(35)
3. ديوان ابن وهبون / شرح ابي البقاء العسكري/ تحقيق مصطفي السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ/ مطبعة مصطفي البابي القاهرة /ص(195)
4. الذخيرة

فظلت هذه الصلة الوثيقة التي جمعت بين الرجلين جعلت ابن عمار يشهد لابن وهبون تفوقه في شعره حتى وافته المنيه حيث قبض عليه يوم الجمعه الرابع والعشرين من ربيع الاخر 477هـ وجئ به إلى قرطبه في السادس من رجب عام 477هـ. ثم قتله المعتمد لمجرد خلاف بينهما. [1]

–ولكن ابن وهبون رثاه بيتا واحدا يقول فيه:

عجبا لمن ابكيه ملئ مدامعي واقول لا شلت يمين القاتل [2]

وكان الجبن الذي يسيطر على عامة الشعب والشعراء هو الذي دفعه ان يبخل على صديق عمره بالشعر وقصائد المدح والرثاء ولم يستطع المجاهره برأيه خوفا من بطش المعتمد بل اظهر خلاف ما يخفيه في نفسه.

وكان شعره نتاج شخصي واجتماعي، فهو متحد بكل المؤاثرات التي تدخل عالم الشخصية وتسهم في تكوينها.

وأما غزله فتقليدي، ومن الحسي المكشوف والصفات التي وصف بها محبوبته، هي الصفات القديمة التي توارثها الشعراء عن إسلافهم مثل تشبيه القد بالغصن والعيون بالرشا والريم.

فيقول:

لولا تبسم ذاك الظلم والبرد قبلت نصحك إلا في هوي الغير

وأين بي وبصبري عن جفون رشا غوامض السحر لا ينفث في العقد

يعدي على اللوم قلبي وهي تؤلمه تضر كميا شكة الزرد [3]

ويبدو ان ابن وهبون قد خدع كثيرا بمظهر الناس فاخلص لهم وتفاني في خدمتهم ومشاركتهم شدائدهم ولكن صدم في صداقتهم، لأنه لم ينل منهم إلا الغدر والخيانة فيقول:

واني لفي دهر فرائس أسده سري عبس فيها نيوب كلاب [4]

أما وفاته، فقد مات ابن وهبون أثر حادثه قاسيه قب وصوله إلى مرسيه وفي ظروف غامضه عام 464هـ[5]

4) أحمد بن عبد ربه (246هـ – 328هـ):

نشأه صغيرا خاملا، وطلب العلم على شيوخ عصره في جامع المدينه، ولذلك فقد تلقي ابن عبد ربه ثقافه عإليه تشمل كتاب الفقه واللغه والاخبار، ومعرض هذا كتاب العقد الفريد.

---

1. الاحاطه/ ط(2)/ ص(494)
2. الحله السيراء/ لابي الابار القضاعي/ تحقيق دوزي/ مطبعة ليدن(1851م)/ ط(2)/ ص(160)
3. الاسس الفنية للابداع في الشعر خاصة/
4. نفس المصدر
5. تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة- لعباس- طبع بيروت لبنان ط(2)- ص(184)

وقد اكتسب ابن عبد ربه بعلمه أولاً وبشعره ثانيا مكانه كبيره بين علماء الأندلس وأدبائها في بلاط إمارتها وكان مغرما بالشعر والغناء أما الخمر فلم يرد أنه كان يشربها ولو أنه قد أكثر من ذكرها في شعره.[1]

فكان ذا صلة بمسلم بن أحمد بن أبي عبيده الليثي الذي كان عالما بالحساب والنجوم ولكنه كان حاد الطبع سريعا إلى الهجاء كثير الشكوي من الزمان سئ الظن بالمجتمع وإذا عاد صديقا في هجائه وقصته مع القلفاظ الشاعر الذي كان أقرب أصدقائه قد صور حدته وصلاته لسانه إذ هجاءه ومرة أرسل صديق له أنأبيب من قصب السكر وكتب ابن عبد ربه إليه مرفقا قصيدته بهديه:

بعثت يا سيدي حلو الانأبيب عذب المزاقة مخضر الجلأبيب [2]

وابن عبد ربه شخصية واضحه المعالم من ناحية شعره وعلمه وأدبه وسلوكه وخلقه وفي الآثار العلمية والأدبية التي تركها بين يدي الدارسين والمؤرخين[3]وقد توارت الأخبار الأدبية وخاصة عند ابن بسام صاحب الذخيرة أن أحمد بن عبد ربه هو أول من أنشأ الموشحات.[4]

وللمتنبئ في شعر ابن عبد ربه رأي جميل وإعجاب باد وكان يطلق على أحمد بن عبد ربه مليح الأندلس وهو بهذا اللقب جدير[5].

1. تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة- لعباس- طبع بيروت لبنان ط(2)- ص(184)
2. جذوة المقتبس للحميدى, تحقيق: محمد تاوين- ط القاهرة 1952- ص(62)
3. مناهج التاليف عند العلماء العرب/ المصطفي الشكعه/ ط(2)/ ص(265)
4. الذخيرة في محاسن اهل الجزيره لابن بسام-ط(1)-ص(81)
5. الذخيرة في محاسن اهل الجزيره لابن بسام-ط(1)-ص(81-)

المبحث الثاني

أغراض الشعر الأندلسي

من الظواهر التي تستدعي الانتباه شيوع الشعر بين عرب الأندلس على اختلاف طبقاتهم، ولا غرابة في ذلك فقد هاجر الشعراء إلى الأندلس مع العرب المهاجرين فكان الشعراء يحضون به الفرسان على الجهاد، ويثيرون الحماسة في صدورهم عند مواقف الأهوال، ويغزون به عصبية الأحزاب بين المصرية واليمانية ويحرضون الناس على الفتنه والشغب.

وبقي الأندلسيون يولون وجوههم شطر المشرق في أكثر شؤونهم، لأنه مطلع أنوارهم، ومهد حضارهم..فمن هنا دأب الأندلسيون على تقليد أهل المشرق في كل شي..في إنشاء القصور والمدارس والمكتبات والجوامع والمدائن..وفي جمال الشعر سلك الأندلسيون مسلك شعراء بني العباس لتشابه الحياة بالترف والنعمة، فوصفوا بيئتهم وأموالهم، وأبدلوا الأسلوب البدوي بأسلوب حضري صرف، ونفروا من الألفاظ الغربية الوحشية إلى الألفاظ المانوسه الرقيقة فجاء الشعر الأندلسي جميلا رقيقا، فيه فيه خيال لطيف وصور براقة ملونه.[1]

وبالرغم من رقة وجمال الشعر الأندلسي إلا أنه لم يصل في روعته إلى الشعر العباسي لأن أصحابه عنوا بتزيين ألفاظه وتوشية أوصافه. وقد نظم الأندلسيون في جميع فنون الشعر العربي، وذادوا عليه بعض فنون اقتضتها ظروف بيئتهم وأوضاعهم الاجتماعية.

ولقد طرق شعراء الأندلس كافة فنون الشعر فلم يتركوا فنا من فنونه او غرض من إغراضه إلا نظموا فيه شعرا تقليدا ومجارة لشعراء المشرق وفي هذا المبحث سأبين هذه الفنون وذلك من خلال المطالب الآتية:

أولاً: الوصف:

أما الشعر الوصفي فقد ظهر في أكثر لأغراض الشعرية واظهر الأندلسيون فيه عبقرية نادرة لاسيما عندما تعرضوا لوصف الطبيعة وجمال العمران ومجالس الإنس والطرب. نعم لم يظهر الوصف في الشعر العربي كغرض مستقل وإنما موجود من خلال الإغراض الأخرى كمدح والغزل وغيرهما من الأغراض، لكننا نستطيع أن نقول أن اهتمام الأندلسيين بالوصف كان كبيرا. وعلى من امتزاجه في أكثر الأغراض الشعرية فقد استطاع الأندلسيون أن يتفننوا به ويمنحوه بعض الاستقلال، وهناك شعر وصفي لجميع مظاهر الحياة الحضرية الهانئة من وصف لمجالس اللهو والغناء والرقص والشراب والعيد وأدواته والنساء

[1] في الأدب الأندلسي جودت ألركابي. الطبعة السادسة. دار المعارف ص(120).

وأحوالهن، وهناك شعر وصفي للحروب والسلاح والسفن، وغير ذلك مما يتناول الحياة برخائها وحربها، بطبيعتها الجميلة التي منن بها الله وبقصورها وساحاتها التي زخرفتها يد الإنسان.[1]

ومن أمثلة ذلك ما نري في أشعار أبي مروان الذي يعد من أبرع شعراء تلك الفترة، والتي لا شك فيه أن وقوف الأندلسيين على شعر الصنوبري وهو (أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي) وتأثرهم به،وكان من أسباب نضج الطبيعة الأندلسي وازدهاره في تلك الفترة. وقد دخل شعره إلى الأندلس في أواخر فتره الخلافة مع محمد بن العباس.والصنوبري واشتهر بشعره ف الطبيعة ورياضها وازهارها، حتى كان أجمل شعره العروضيات والثوريات[2]. فكان لوقوف الأندلسيين عل شعره، أثر في نضج شعرهم في الطبيعة. وأيضاً كان هناك ما يسمي بوصف المعارك بالشعر الأندلسي فان الحروب بين المسلمين وأعدائهم الفرنجة لم تنقطع[3]. وأكثر ما كان منتشر بالوصف هو وصف الطبيعة.

وصف الطبيعة:

طبيعة الأندلس جميله وفاتنة فتنة الشعراء والمؤرخين بجمالها، وقد أكثر المؤرخين مثال ياقوت الحموي وابن عذراه والمقري وغيرهم، من وصف جمالها ورياضها الوارفة ومياهها الجارية وكثرة بساتينها وجمال قصورها خلابة منظرها وقد حبت الطبيعة هذه الجزيرة سحرا خاصا بهر كل من رآها ويقول صاحب معجم البلدان أما الأندلس فجزيرة كبيره فيها عامر وغامر تغلب عليها المياه الجارية والشجر والرخص والسعة في الأحوال.[4]

ووصفها أبو عبيده البكري بقوله: الأندلس شأمية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها اهوازيه في عظم جبايتها، صينيه في جوهر معادنها وقال بعضهم عنها:

هي الأرض لا ورد لديها مكدر**ولا ظل مقصور ولا روض مجدب[5]

وقد جذبت هذه الطبيعة أنظار الشعراء فهاموا بها، واقبلوا عليها في شغف يتغزلون بها ويفتنون في أوصافها ويصورون محاسنها، فوصفوا الرياض والأزهار والفواكه والجداول والقصور وغيرها من مظاهر طبيعتهم الساحرة، وقد جاء وصفهم تعبيرا عن استجابة النفس الشاعرة لرغبتها في التمتع بجمال الطبيعة أو الاستجابة لتأثير مظاهر الجمال. ويقول عباس بن فرناس:

تري وردها والأقحوان كأنه**بها شفة لمياء ضاحكها ثغر[6]

1في الأدب الأندلسي جودت ألركابي. الطبعة السادسة. دار المعارف ص(120).
2 تاريخ علماء الأندلس. لابن الفرضي. ترجمة رقم(1404). ص(200).
3في الأدب الأندلسي. جودت ركابي. ص(120).
4 التشبيهات من إشعار أهل الأندلس عبد الله بن الكتاني _ تحقيق د.أحسن عباس –بيروت –دار الثقافة 1966-صفحة (27).
5 التشبيهات من إشعار أهل الأندلس عبد الله بن الكتاني _ تحقيق د.أحسن عباس –بيروت –دار الثقافة 1966-صفحة (27).
6 التشبيهات، لأبو عبد الله، صفحة(26)

فالشاعر في بيته هذا قد صور جمال الورد وهو في أحضان روضة غناء تصويرا بارعا وأجمل ما في التشبيه هذا ان صور الورد وكأنه ابتسامه عذبه رسمت على ثغر جميل وهذا ان دل على شي فإنما يدل على مدى الامتزاج الشعوري إزاء المنظر الطبيعي وفي وصف فني أخر يصور عباس بن فرناس جمال الصبح وتنفس نوره في حركة ذاتية لها كبير الأثر على إثارة المشاعر الإنسانية فيقول:

فبتنا وأنواع النعيم ابتذالنا ** ولا غير عينها وعيني كالى

إلى أن بدا وجه الصباح كأنه ** جبين فتاة لاح بين مجال

ولقد تضمنت هذه الأبيات وصفا رائعا لجمال الصباح وأثره على أحاسيس الشاعر الوجدانية، وقد بدت للعيان ظاهرة التشخيص بارزة في تجسيد حركة الصباح التي هزت الشاعر فوصفها الشاعر وصفا حسيا جميلا. وفي بيتين من الشعر يصف ابن عبد ربه فيهما المظاهر الطبيعية وصفا فنيا في غاية الروعة:

حتى إذا ما الليل قو** ص راحلا عند الغلس

وبدا الصباح كغرة ** تبدو على وجه الفرس

فجاءت هذه الأبيات تصف لنا صورة بزوغ الصباح وتكشف عن قدرة الشاعر التعبيرية عن وصف تلك الأجواء الشعورية التي وقع تحت تأثيرها فوصفها وصفاً جميلاً معبراً عن مشاعره، وفي الوقت نفسه توحي إلى السامع بالتأمل وتبعث فيه روح الانتعاش بجمال الطبيعة وتعمق من تفكيره فيها، وقد ساعده في هذا استخدامه التشبيه في بيته الثاني إذ شبه إشراق الصباح كغرة مشرقة على وجه الفرس وهذا تشبيه جميل.

وتغني شعراء الأندلس كذلك بالربيع، فابن عبد ربه مثلا يقف أمام روضة وقد حل الربيع بها فتهتز نفسه الشاعرة فيرسم صورة يتخيل فيها تزاوجا قد عقد بين تلك الروضة الفاتنة والربيع الجميل فيقول:

وروضة عقدت أيدي الربيع بها ** نوراً بنور وتزوبجأ بتزوبج

بملقح من سواريها وملقحه ** وناتج من غواديها ومنتوج

توحشت بملاة غير ملحفة ** من نورها ورداء غير منسوج

فألبست حلل الموشي زهرتها ** وجللتها بأنماط الديأبيج

فهذه التعبيرات الذاتية جاءت بصوره فنيه متحركة تشع عن مدى الامتزاج الشعوري بين الشاعر والتأثير الفني لمظاهر الطبيعة على شعوريته المرهفة. ويتضح فيها قدرة الشاعر على خلق تلك الصور

الكثيرة المجتمعة في روضه كقوله: "عقدت أيدي الربيع" "وتوحشت بملاة غير ملحمة" "وألبست حلل الموشى زهرتها"...الخ. فالشاعر مفتون بحب الربيع.

ولم يغيب عن بال الشعراء وصف الفواكه والثمار، بل انتبهوا إليها فوصفوها وتغزلوا بها وصاغوا ذلك كله في أسلوب رشيق جميل، يبدو أن الأندلسيين قد اغرموا التفاح وفضلوه على غيره من الفواكه ولذلك وصفوه وتغزلوا به ومن ذلك قول إسماعيل المنادي وهو يتغزل بتفاحه:

مجال العين في ورد الخدود ** يذكر طيب جنات الخلود

وأطيب ما تمنى النفس إلف ** يجدد وصله بعد الصدود

وارجه من التفاح تزهي ** بطيب النشر والحسن الفريد

أقول لها فضحت المسك طيبا ** فقالت لي بطيب أبي الوليد[1]

ولكن هنالك بعض الأندلسيين تميزوا بالإكثار من وصف الأزاهر فمنهم من نظم المقطعات القصيرة في وصف صنوف الأزهار، فبعضها يمثل "بطائق" المهاداة بين الصدقاء، ويس لديهم من غاية فيها سوا طلب "الصور" المبتكرة، وأكثر صورهم تأخذ مأخذ الجمود كقول القاضي ابن عباد في وصف الياسمين:

وياسمين حسن المنظر ** يفوق في المرأى وفي المخبر

كأنه من فوق أغصانه ** دراهم في مطرف أخضر[2]

ولسنا نجد بين تلك القطع كثيرا مما يماثل هذا المزج العاطفي الذي اتبعه الرهادي في وصف طبق ورد قدم له عندما نزل على بني ارقم بوادي أش وكان الفصل شتاءً. فاستغرب وجود الورد حينئذً واخذ واحدة وقال:

يا خدود الورد في إخجالها ** قد علتها حمرة مكتسبه

اغتربنا أنت من بجانه ** وأنا مغترب من قرطبه

واجتمعنا عند أخوان صفا ** بالندي أموالهم منتهيه

أن لثمي لكي قدامهم ** لبس فيه فعلة مستغربه

اجتماع في اغترب بيننا ** قبل المغترب المغتربه [3]

1. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. لأحمد بن يحي الضبي. القاهرة دار الكتاب العربي، 1967م ،صفحة (235).
2. البديع في وصف الربيع: حسيب الحميري - القاهرة – صفحة(122)
3. البديع في وصف الربيع حبيب الحميري ص(122)

وقد وصف ابن حمد يس، وهو من شعراء الطبيعة، وكان شاعرا وصافا، وقد وصف المنظر الطبيعي عنده تتمة لمجلس الشراب وكما قال:

في حديق عرس الغيث به** عبق الأرواح موشي البطاح

ارضع الغيث لبانا بأنه ** فتربت فيه قامات الملاح

كل غصن تعتري أعطافه** رعدة النشوان من كأس اصطباح

فكأن التراب مسك أذفر ** وكان الطل كافور رياح [1]

وقيمة هذه الأبيات بعد موسيقاها الجميلة في إن كل بيت يمثل صوره على حده لتمثل في النهاية شغفا خاصا بالجو المعطر.

وكانت هنالك مظاهر من صلات بين الشعراء والطبيعة مثل إسحاق بن خفاجة (533-451) شاعر الطبيعة الأول في الأندلس وغيرها في أدبنا العربي فقد كانت مهمة هذا الشاعر تكثيف كل تلك المظاهر الموجودة بالطبيعة، فهو قد ذاد في التشخيص وفي الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة وامتد وسائل فنية جديدة متصلة ملكات خاصة لديه، ولم يكتفي بان يربط الطبيعة بموضوع الحب ومجلس الخمر بل ربطها بكل موضوع وجعلها المتكأ الذي يستند إليه القول الشعري عامة فهو يجعل الطبيعة عنده متكأ ومفترش للموضوعات الأخرى فهي ذات علاقة بالممدوح:

لذكرك ما عبّ الخليج يصفق**وباسمك ما غني الحمام المطوق

ومن أجلك اهتز القضيب عن النقاء**وأشرق نوار الربي يتفتق[2]

ووصف شعراء الأندلس القصور وروعتها وجمالها، وينسبون إلى عبد الرحمن الناصر أبيات قالها:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها**من بعدهم فبألسن البنيان

أو ما تري الهرمين قد بقيا وكم** ملك محاه حوادث الأزمان

إن البناء لو تعاظم شانه** أضحي يدل على عظيم الشأن [3]

ومن الشعراء الذين قالوا في هذا الاتجاه الشاعر عباس بن فرناس يصف قصرا، وكان بالقصر بركه عليها أشجار من ذهب وفضه، وكانت تنساب المياه من فروع الشجر فقال وهو يشجن أبياته بوافر من التشبيهات:

إذا بلغ النظر المكثر فرعها**وصوب لم يبلغ إلى الأرض في شجر

---

1. ديون ابن حمد يس الصقلي/بيروت دار صادر 2/ت ص(490)
2. ديوان بن خفاجة الأندلسي/تحقيق مصطفي نازي/دار المعارف 1960/ص(184)
3. تراجم إسلاميه شرقيه أندلسية, لمحمد عبد الله عنان, القاهرة. مطبعه لجنه التأليف والترجمة والنشر1980م , ص(186)

لها الغرف إلس التي بضحك الضحى ** وتلفحها من نورها فما سنا الغر

كأن قصور الأرض بعد تمامه** تنوء الذي اخفي شخوصا من الذرَ

وتنتشر الأبصار منها إلى منارة ** بالأطيار والوحش والزهر

نشت لؤلؤا ثم استحالت زمردا**يعود إلى القعيان بعد جني البكر

ومن أرجات في الغصون كأنها**خدود عذارى في مقامها الخضر [1]

فالألفاظ في الأبيات الشعرية أرواحها حسنة، وألفاظها سهله رقيقه خفيفة على النفس والإذان، أضافه إلى دقه تصوير الشاعر وإجادته في التعبير والتصوير، فإذا نظرنا إلى الصورة الواردة في الأبيات خيل إلينا أنها تتحرك، والرسوم الجامدة تتكلم، والطيور تغرد، ففي كل بيت من أبيات القصيدة صوره فنية جميله تعبر عن معني من المعاني البديعة.

واتجه شعراء الأندلس إلى وصف تغريد الطيور ويمكن إن تلمح ذلك في شعر ابن عبد ربه:

وان ارتياحي من بكاء حمامة**كذي شجن داويته بشجون

كان حمام الأيك حين تجاوبت**حزين بكاء من رحمة لحزين [2]

وقال أيضاً وقد سمع حمامه تشجو:

ورب نائحة على فنن**تشجي الخليَ وصابه شجو [3]

ففي الأبيات الأولي يذكر الشاعر حمامة صادقه على الأفنان في شجو وحنين، ويبدو أن الحمامة كانت ذا شجا حزين مما هيجت عواطفه وانهالت أحاسيسه حتى بلغ إحساسه الشعري زورته عندما تصور تناغم شجا الحمامة الحزين وكأنه انبعث بكاء لحزنه.

وفي القطعة الثانية يكرر نفس الصورة بأسلوب رقيق يكشف عن ترجمه ذات الشاعر إزاء عجائب مخلوقات الله.

ثانياً: الغزل:

وإذا كانت الطبيعة لها المكان الأول بين أغراض الشعر الأندلسي، فالغزل كان ينساب على شفاه الشعراء ويدعو إليه كل ما الأندلس من طبيعة جميلة وحياة حضرية ناعمة ومجال أنس ورخاء وخمر وغناء، فأسواق النخاسة التي كانت يباع فيها الجواري والغلمان قد شجعت هذه اللاهية التي وجد الغزل فيها مرتعا سهلا. ومن الشعراء من أحب حبا صادقا ومنهم من تمتع بوهم الحب ولها"، وقد استطاع الشاعر الأندلسي أن يرسم حبه ولهوه بأبيات تعد من الشعر الجيد لأنها استطاعت أن ترسم الأجواء

---

1. المقتبس, ص(229)
2. العقد الفريد/لأحمد بن ربه/ج1/نح احمد أمين, القاهرة. كليه التأليف والترجمة ص(129)
3. التشبيهات لعبد الله بن محمد/ج2/ص56

وتعبر عن خوالج النفوس. إلا أن أكثر غزلهم كان مقيدا بالتقاليد والتكلف، ولم يستطيعوا أن يحلقوا في أجواء جديدة إلا عندما استطاعوا أن يهجروا الأسلوب القديم كذكر البادية والأهوال في سبيل الوصول إلى الحبيب ويتحدثوا عن حبهم ومجالسهم وخلواتهم في كثير من الانطلاق.[1]

فقد كانت أوصافهم ماديه تقليديه فتحدثوا عن سهام الأبحاظ وخمر الرضاب وليل الشعر وغير ذلك من الأوصاف المألوفة، فالمحب ذليل والمعشوقة لا ترحم، وممن هذا نشاه عندهم ما يسمي بالحب المعذب.

ولعل أجمل ما في الغزل الأندلسي، هو هذه النغمة المحزنة التي يبكي فيها الشاعر أيام سعادته بالقرب من الحبيب ويحن إلى أيامه الآفلة التي قضي الدهر أن تكون ذكري لحب مقيم، وهذه النغمة هي التي منحت قصيده بن زيدون في صاحبته ولادة هذه الشهرة حتى تناقلتها كتب الأدب، ففي هذه القصيدة التي مطلعها:

أضحي التنائي بدلا من تدانينا** وناب عن طيب لقيأنا تجافينا [2]

فالبيئة الأندلسية وتضاربها نجد كل شي فيها يغري بالحب ويدعو إلى الغزل، فمن هنا لم يكن أمام القلوب الشاعرة إلا أن تنقاد أمام عواطفها، فأحبت وتغزلت ثم خلقت من وراءها كما هائلا من شعر الغزل الرائع الجميل.

ومن الغزل الرائع في أوائل الشعر الأندلسي قصيدة الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم والمعروف بالأوسط، جمع فيها بين الغزل والحماسة، فقد كان الأمير في غزوه أرض جيلقيقه الشمالية وطال بعده عن زوجته المسماة طروب:

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا **فما اقطع الليل إلا نحيبا
وأبدت لي شمس النـهار** طالعة ذكرتني طروبا
فيا طول شوقي إلى وجـهها**ويا كبدا اورتناها ندوبا
ويا أحسن الخلق في مقلتي **وأوفرهم في فؤادي نصيبا
لئن حال دونك بعد المزار **من بعد ان كنت مني قريبا
لئن أورث الشوق جسمي العنا**وأضرم في القلب مني لهيبا
عدتني عنك مزار العدا **وقودي إليهم لهاما مهيبا [3]
سموت إلى الشرك في جحفل**ملأت الحزون به والسهوبا [1]

1. في الأدب الأندلسي لجودت الأندلسي- الطبعة السادسة دار المعارف.القاهرة ص(121).
2. ديوان ابن زيدون.
3. الأدب العربي في الأندلس/لعبد العزيز عتيق/ص(169)

فالغزل هنا رقيق، والشاعر فيه متشوق إلى محبوبته ويتذكرها بعد طول غياب ويتعذر بأسلوب غزلي عن غيابه عنها فطول غيابه يعود إلى دفاعه عن ارض وطنه وكرامه.

فغالباً ما تكون المادة الشعرية للشعراء نابعة من تجاربهم الوجدانية الخاصة، ومن معاناتهم الشخصية والعاطفية بالحياة الأندلسية فكان الغزل تقليديا تتردد فيه تلك المعاني والأفكار ترددت بالشعر المشرقي، فوقفوا على الإطلال وبكوا الديار.

فيعبر يحي الغزال عن هذه المعاني فيقول:

ريع قلبي لما ذكرت الديارا**وتنورت بالتخيلات نارا

واز دهيتني ذات السنا ببروق**من لظاها ففما أطيق اصطبارا

وقريح الفؤاد يزداد للنار** وميض السعير من استعارا [2]

ولقد امتزجت الطبيعة بالغزل، فهو أمر مقبول وتزاوج طريف. فنسج الشعراء شتي المعاني البهيجة، وتأنقوا في العبارات العذبة واختيار اللفظه الناعمة النقية ومن هؤلاء بن زيدون الذي امتزج غزله بالطبيعة، بعد أن بث فيها الحياة والشعور، فعطفت عليه الأمة وذكراها وتجاربه وأحلامه، فكانت، فكانت مظاهرها مثقفه لهواه وحبه لا لألمه ومشاعره.

ولقد اتحدت الآمال والعواطف فأصبحت الطبيعة جزء منه فحمل روح الصبا، وجعلها الرسول لإيصال مكنون نفسه إلى قرطبة وطبيعي لهذا الشاعر الذي اختبر أوتار القيثارة العربية ارق اختيار، فيقول:

غريب با قصى الشرق يشكر للصبا**تحملها منه السلام إلى الغرب

وما ضر أنفاس الصبا في احتمالها **سلام هوي يهديه جسم إلى قلب [3]

ويزداد شوق بن زيدون إلى ولادة فيصدح كما يصدح الطائر المهاجر لفراق الايكة، ومن خلال اللوعة وأماني القلب وذكري حبه العميق، ويظل الشاعر ذاكرا ولادة أينما ذهب وأينما حل فمعاني الشوق عنده لا تنفد فيقول:

يا نازحا وضمير القلب مثواه**أنستك دنياك عبدا أنت مولاه

ألهتك عنه فكاهات تكذبها**فليس يجري ببال منك ذكراه

علّ الليالي تبقيني على أمل** الدهر يعلم والأيام معناه [4]

---

1. مهيبا:الجيش العظيم, والمهيب من المهابة
2. التشبيهات من أشعار الأندلس/لعبد الله بن محمد/ج2/ص(56)
3. ديوان ابن زيدون, لعلي بن عبد العزيز ص(96)
4. ديوان ابن زيدون, لعلي بن عبد العزيز ص(97)

لقد فجرت ولادة طاقه الشعر الكبرى، واشتعلت جزوه ألعبابه في نفس بن زيدون وروحه فشكا إلى الزمان والليالي أن توصله إلى بر الأمان. فلقد بعدت الثقة بينهما فشعر بالغربة، وظل بعيدا عنها إلى أخر لحظات حياته.والتي انتهت بموته في اشبيلية دون متمكن من الرجوع إلى قرطبة التي أودعها ما استطاع إن يودع من أسرار فنه وروعة شاعريته بين حسن إيقاع وسحر ونغم فيقول:

أيوحشني الزمان وأنت انسي **ويظلم لي النهار وأنت شمسي

وأغرس في محبتك الأماني **فاجني الموت من ثمرات غرسي

أما غزل ابن خفاجه فمعظمه من الغزل الحسي، الذي يتحدث عن مفاتن المراه والجمال الخارجي، وقيل منه أنه أقرب إلى العذري وذك حينما يتحدث عن الدموع وغياب الأحبه مستمدا من جمال الطبيعه الوحي والسحر والالهام فيقول:

لقد زار من أهوي على غير موعد**معانيت بدر التم ذاك التلاقيا

وعاتبته والعتب يحلو حديثه **وقد بلغت روحي لديه التراقيا

ولما اجتمعنا قلت من فرحي به **من الشعر بيتا والدموع سواقيا

وقد يجمع الله الشتيتين بعد **ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا [1]

فقد صور (فاتنه) بالبدر الذي ياتي دون موعد سابق ولم يضف إلى هذا الوصف وصفا اخر من اوصاف الجسد. ثم تحدث عن فرحه بقائها، وصاغ من ذلك شعرا، وسالت دموعه بحرا، وقد اجتمعا بعد تفرق والله سبحانه قادر على جمع الشتيتن بعد فقد الامل. وقد ضمت مقطوعته السابقه بيتا لقيس بن الملوح، وهو البيت الاخير وتراه قد افتتح بعض قصائده ببعض الغزل التقليدي الخإلى من توقد العاطفه مقلدا بذلك شعراء العربيه السابقين. وهكذا نجد ان خفاجة قد برع في فنون الشعر المختلفه، وحاز قصب السبق في اغراضها وخاصه في وصفه للطبيعة، ولذلك وصفه النقاد بشاعر الطبيعة الأول.

ذكر الفتح بن خاقان صاحب (صاحب المطمع والقلائد) ان الخطيب ابا الوليد بن عباد مر على مصر في طريق عودته بعد اداء فريضه الحج وتطلع للقاء المتنبئ، وكان اذ ذاك في مصر، فصار إليه حيث جالسا في مسجد عمرو بن العاص وبعد ان جري بينهما بعض الحديث قال المتنبئ انشدني لمليح الأندلس، يقصد ابن عبد ربه فانشده:

يا لؤلؤا يسبي العقول انيقا **ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما قد رأيت ولا سمعت بمثله**وردا يعود من الحياء عقيقا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه**ابصرت وجهك في سناء غريقا [2]

---

[1]. ديوان ابن خفاجه الاندلسي, تحقيق السيد محمود مكي, طبعة دمشق 1961م ص(365)

[2]. قلائد العقيان ومحاسن الاعيان,للفتح بن خاقان, القاهره 1283هـ ص(216).

فلما اكمل ابا الوليد انشاده، استعادة المتنبئ ثم قال يا ابن عبد ربه، لقد تاتيك العراق حبوا، ونراه يكتب شعرا في لوعه الحب وانصراف القوني عن العاشق فانه ياتي بالطريق من المعاني في ثوب من جيد الشعر ورقه الايقاع:

إن الغواني إن رأينك طاويا**برد الشباب طوين عنك وصالا [1]

ولعبد ربه مقطوعه قالها في بعض من أحب وكان قد أزمع على الرحيل. وفي غداة بغيها فاتت السماء في تلك الغداة بمطر عزير حالت دون رحيل يود الفراق:

ودعتني بزفرة واعتناق** ثم قالت متى يكون التلاقي

وبدت لي وتصدت فاشرق الصبح منها**بين تلك الجيوب والاطواق

يا سقيم الجفون من غير سقم**بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق افظع يوما **ليتني مت قبل يوم الفراق [2]

ان السمات الواضحة، في هذه الأبيات من شعر ابن عبد ربه، يتضح خلالها شيوع الرقه والسلاسه والسمه الغنائية التي تتمثل في الجانب الموسيقي واتضاح العنصر العاطفي. فالأندلسيين قد اكثروا من العذال والوشاة ووصفوا المراه وصفا تقليديا، فتحدثوا عن سهام الالحاظ وجمال المحيا طول الرقبه وطيب الريق ومن مثل ذلك قول ابن عبد ربه:

مظلومه باللحظ وجنتها**وجفونها جبلت على الظلم

وكأن عينيها تضمنتا**ما في فؤادك من جوى السقم [3]

ومن المعانيالتي رددوها في غزلهم فكرة التحول التي عبر بها الشعراء عن اشواقهم وما حل باجسامهم من الاسقام والضني وترددت هذه الفكره في غزل الشاعر أحمد بن عبد ربه من ذلك قوله:

هيج الشوق دواعي سقمي **وكسي الجسم ثياب الألم

أيها البين اقلني مرة ** فإذا عدت فقد حل دمي

يا خلي الروع في غبطته **إن من فارقته لم ينم

ولقد هاج بجسمي سقما حب**من لو شاء داوى سقمي [4]

والأمير عبد الرحمن الاوسط يتذكر معشوقته فتقول عنده حاله من الوجد والهيام تضرم في قلبه لهبا محرقا فيقول:

---

1. العقد الفريد لابن عبد ربه ص(215)
2. العقد الفريد لابن عبد ربه ص(216)
3. التشبيهات من شعر الاندلس, لعبد الله محمد, ج2/ ص(136).
4. نفح الطيب للمقرئ, ج9/ ص(262).

لئن حال دونك بعد المزار **من بعد ان كنت مني قريبا

لقد أورث الشوق جسمي الضني**واضرم في القلب مني لهيبا

ومن الغزل الرقيق والاستعطاف الجميل قول أبي الربيع سليمان بن محمد بن وانسوس الذي يعترف إلى محبوبته انه لا يستطيع العيش بدونها، واجمل من ذلك ما في البيت الأول من تشبيه جميل اذ شبه محبوبته ببدر الدياجي وعبر عن ذلك بقوله:

كيف لي أن أعيش دونك يا**بدر الدياجي وأنت مني بعيد

إن يوم أراك فيه ليوم**وفي حسأبي مدي الزمان سعيد

ومرادي الا تداني **غير وصلي وذاك ما لا تريد [1]

ولا تختلف صورة المرأة في الشعر الأندلسي عن صورتها في الشعر العربي، فلم تزل المرأة الجميلة هي تلك المرأة ذات الوجه المستدير الذي يشبه البدر، والشعر المرسل والالحاظ الساحرة والقعود المورد. كقول (أبي الربيع) يشبه حبيبته بالقمرين:

الحب علم مقلتي أن تسهرا ** وقضي على بأن أذل وأصبرا

يا مشبه القمرين مالك معرضا ** عني وأني لا أزال محيرا [2]

وأفاض الشعراء في وصف العيون الجميلة التي ترمي قلوب العشاق بسهامها، والخدود التي تشابه الورد عطرا وجمالا، وكثيرا ما تمزج تلك والأوصاف بأوصاف الطبيعة ويصور لنا الأمير عبد الله بن محمد جمال محبوبته وصفا بديعا ويزج بين جمال الورد وخدود المحبوبة حيث يقول:

ويحي على شادن كحيل ** في مثله يخلع العذار

كأنما وجنتاه ورد ** خالطة النور والبهار [3]

ويتحدث الشعراء عن ما يصيب الإنسان من اسي وألم عندما يقترب يوم البين ولحظة الوداع، وابن عبد ربه يصور موقف الوداع أجمل ما يكون التصوير ويرسم لوحه فنيه رائعه للحظات الوداع ويفيض من وصف حاله المرء وقت الوداع فياتي شعره تعبيرا عن عاطفة ذاتيه تكشف مدى الشوق فيقول:

ودعتني بزورة واعتناق **ثم نادت متي يكون التلاقي

وبدت لي فاشرق الصبح منها**بين تلك الجيوب والاطواق

يا سقيم الجفون من غير سقم**بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق افظع يوماً**ليتني مت قبل يوم الفراق [1]

---

1. المغرب في حلي المغرب/لابن سعيد الاندلسي/ج1/ص(362)
2. يتيمة الدهر لابي منصور عبد الملك التعالبي/ج2/ص(54)
3. معجم الادباء, ياقوت الحمودي, دار بيروت(1300) ج4/ ص(221)

وكان الأندلسيون يستعذبون الألم في سبيل الحب ويستصغرون الملك امام تيار العاطفة ن والأمير الحكم هو صاحب السلطات والملك يبقي متذللا واضعا خده فوق التراب من اجل محبوبته فيقول:

ظل من فرط حبه مملوكا**ولقد كان قبل ذلك مليكا

ان بكي او شكي الهوى زيد ظلمه**وبعادا يدني حماما وشيكا

تركته جآذر في القصر صبا**مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا فوق التراب**للذي يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل في الحب**من كان الهوى مملوكا [2]

ولا شك في أن لكثرة مجالس الخمر والغناء والرقص في الأندلس قد وسعت من دائرة الغزل، فكثر الشعراء للقيان للجواري والمغنيات لأنهم وجدوا فيهن مجالا لاستثارة مشاعرهم وإشباع غرائزهم. فكان غزلهم قد تجاوز في كثير من الاحيان حدود اللباقه والأدب، فمالوا إلى الإكثار من الاوصاف الحسيه والتعبيرات الجنسيه المفضوحه. ولم يقتصر الشعراء على التغزل بالنساء، بل تعدوهن بالتغزل بالغلمان فوصفوا جمالهم فكانوا صباح الوجوه، جميلي العيون فيهم جازبيه ورقه، ولذلك تغزل فيهم بعض الأمراء والوزراء والعلماء، ولعل السبب ان هؤلاء الغلمان كانوا يسقون الخمر حتى إذا ذهبت بعقول الشاربين تخيلوا ما شاء لهم من النخيل وتغزلوا في الساقين والغلمان. فعبد الله بن عاصم يتغزل بغلام جميل الصوره كان يسقي الأمير محمد فيقول:

يا حسن الوجه لا تكون صلفا ** ما لحسان الوجوه والصلف؟

يحسن أن تحسن القبيح ولا ** ترثي لصبَ متيم دنف [3]

ثالثاً: المدح:

فقد حافظ المدح على الأسلوب القديم، وكان الشعراء يعنون بالاستهلال وحسن التخلص، كما وصفوا الفلاة والناقة، ووقفوا على الديار والأطلال. ولم يغرقوا في استعمال الغريب أو ما كان من ابن هانئ، وكانت مدائحهم محشوة بالتملق والاستجداء على طريقة المشارقه[4]. فالمديح من أغراض الشعر الواسعه، فقد أكثر منه الشعراء وخصوصا في مدائحهم للأمراء والوزراء.

وبناء عليه لم يختلف شعر المديح في الأندلس عنه في المشرق، وذلك من حيث وفرة دواعيه، وكثرة شعرائه (كما أن شعراء الأندلس ساروا وقف منهج المشارقه في مبادئهم، فحافظوا على الأسلوب

---

1. معجم الادباء, ج4, ص(221).
2. الحله السيراء لابو عبد الله محمد ج(1) ص(49)
3. جذوة المقتبس للحميري ص(164)
4. في الادب الاندلسي لجودت الركابي ص(114)

القديم، واعتنوا كثيرا بالاستهلال وحسن التخلص وأحكام البناء وشد أسره والتزموا الغزل في محاريب مدائحهم، وربما جعلوا صدورهم وصفا للخمرة، أو الطبيعة أو البلد الذي نشأ فيه الشاعر)[1]

فقد مدح هلال البياني شاعر غرناطه ابن حمد بن قاضي قرطبة بقصيدة مطلعها:

عرج على ذاك الجناب العالي**وأحكم على الأقوال بالأمال [2]

فيه ابن حمدين الذي لنواله **من كل أرض شد كل رحال [3]

فقال له القاضي:(ما هذا الوثوب على المدح من أول وهله!) إلا تدري أنهم عابوا ذلك كما عابوا الطول أيضاً، وأن الأولي التوسط [4]. ووصفوا الناقه والجواد جريا مع الأسلوب القديم، وحنوا إلى بادية الأعراب ودارتها ولكنهم لم يستفيضوا في الوصف لا بل اقتصدوا كل الاقتصاد.

وإذا ما نظرنا في شعر المدح العربي بعد العصر الجاهلي نجد صوره مدح الحكام أو الحلفاء قد تكررت في الشعر الأندلسي عند عدد كبير من الشعراء، كمروان ابن أبي حفصه، وأبي نواس، وأبي تمام والمتنبئ، فالبحتري على سبيل المثال شاعر جميل الشعر إلا أنه وظف غالب شعره في مديح الخلفاء ورجال السياسه، أمثال المتوكل، والمستعينوالمنتصر والقواد والوزراء وغيرهم من الأشراف وقد صور طه حسين هذه المدائح بقوله (واقبح في ذلك في اقوال البحتري إذ إنه مدح أكثر من عشرين من رجلا من كبار الاشراف في بغداد وغير في اسمائهم، واثبت مكانها الأسماء الجديده، كاقبيح ما يبيع الشعراء أشعارهم [5]

ومن الملاحظ في شعر المديح عند الأندلسيين انه يهتم بالصناعة الفنية، والتنوع في أساليبها بين الجزالة والفخامة والرقة والسهولة طبقا لما تقتضيه طبيعة المعاني وأما من حيث بناء القصيدة، فتبني القصيدة عندهم من مقدمة طللية، فنسيب، فوصف للرحله، فتخلص للمدح.

ومن القصائد التي بنيت على المدح فقط قول بن حمد يس في مدح الأمير أبي الحسن على بن يحي اذ جاء فيه:

تقشي يداك سراير الأعماد**لقطاف هام واختلاء هواد [6]

إلا على غزو يبيد به العدي**لله من غزو له وجهاد

ما صون دين محمد من ضيمه**إلا بسيفك يوم كل جلاء

وطلوع رايات وقود جحافل **وقراع أبطال وكر جياد

---

1. ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث لبطرس السيتاني ص(4)
2. (الجناب) فناء الدار وما اقرب من محل القوم.
3. البستاني ص(41)
4. البستاني (41)
5. من تاريخ الادب العربي, طه حسين, ط2 بيروت, دار العلم للملايين, (1976), ص(359)
6. احتلاء: قطع, الهواد:الاعتناق.

ولديك هذا كله عن رائح **من نصر ربك في الحروب وغاد

هذا ابن يحي ذو السماح جنابه ** مستهدف بعزائم القصاد

ملك مفاجره تعد مفاخرا **لمآثر الأباء والأجداد

وطريده من حيث راح أو اغتدي**في قبضة منه بغير طراد[1]

ومن القصائد التي استهلت بالغزل، وموضوعها المدح ما قاله ابن هانئ الأندلسي في مدح ابراهيم بن جعفر بن على:

قد مررنا على أغانيك تلك ** فراينا فيها مشابه منك

كحنين مرجع كحنيني ** وتشك مردد كتشكي

فانت تسكب الدموع كسكبي** ثم لا تسكب الدماء كسكبي

لا اري كابن جعفر بن على** ملكا لابس جلاله ملك

مثل ماء الغمام يندي شباب** وهو في حلية كتوف ونسك

يطأ الأرض فالثري لؤلؤا رطب** وماء الثري مجاجه مسك[2]

ومن شعراء الأندلس الذين قالوا شعرا في المديح، عباس بن فرناس فإلى جانب معرفته للشعر كان عالما في فنون شتي من الرياضيات والموسيقي والفيزياء والفلسفة والكيمياء ومن اشهر ما عرف عنه محاولته الطيران وحزقه الموسيقي وكان مرة في مجلس أحد ولاة الأمير عبد الرحمن الأوسط واسمه محمود بن أبي جميل فغني ابن لزرياب:

ولو لم يشقيني الظاعنون لشاقني ** حمام تداعت في الديار وقوع

تداعين استبكين من كان ذا هوى**نوائح ما تجري لهن دموع [3]

فلما انتهي اخذ عباس بن فرناس، العود وغني بهذين البيتين المذكورين ثم ذاد من عنده ارتجالا يمدح صاحب المجلس:

شددت بمحمود يدا حين خانها**زمان لأسباب الرجاء قطوع

بني لمساعي الجود والمجد قبة إليها**جميع الاجودين ركوع!

إن القفول الذي أوفي بعيدين**مكرمين على الدنيا عزيزين

قدوم اكرم من في الأرض قاطبة**قدوم فطر فكان خير عيدين [4]

---

[1]. ديوان حمد يس , ابن حمد يس الصقلي, بيروت دار صادر, لا, ت, ص(145).

[2]. ديوان ابن هانئ لابن هانئ الاندلسي, تحقيق محمد البعلاوي, بيروت دار الغرب الاسلامي(1994) ص(526)

[3]. المقتبس لابن حيان ص(279)

[4]. الادب في الاندلس , محمد رضوان الداية, ط1, ص(61)

وقد واقف قدوم الأمير من الغزو مع حلول عيد الفطر فجمع الشاعر من اجل المدح بين المناسبتين، وقد سار شعر المديح في الأندلس، خاصة في قرطبه في ثلاثة اتجاهات (المديح التكسبي–المديح الحربي–والشكوى في المديح).

أ/– المديح التكسبي:

لجأ عدد من الشعراء في قرطبة من شعراء المديح من التكسب بشعرهم، ولقد كانت للظروف الاجتماعية التي يعيشها الشعراء دور كبير في انتشار هذه الظاهره حيث امتهنوا المديح والتملق والاستجداء ليضمنوا لانفسهم مصدر رزق واسع حيث ابتعدوا بذلك عن الرساله الحقيقيه لشعرهم والتي تتجسد في تمثيل قضايا الإنسان والمجتمع، ونجد هذه الظاهره قد تفشت في فتره حكم المستعمر حيث طغي شعر المديح على غيره من الأشعار، وقد سار شعراء قرطبة في هذه المديح على منهج شعراء المشارقه الذين نهجوا هذا الطريق.

حيث يقول ابن دارج في ذلك:

وإن ذاب حر الوجه من حر نارهم**فما مستقاثي منه إلا إلى المهل [1]

وينطبق هذا الاتجاه على شعراء اخرين عاشوا في القرن الخامس فيقول يحي بن بغي عن شعر المديح الذي يصدر عنه دون عاطفة صادقه ويقدمة لولاة الامر:

ازورهم لا للوداد وقد دروا**فيلقوني بين التودر والغل

وامدحهم يا حسبي الله كاذبا**فيجزونني بالمنع شكلا إلى شكلي [2]

ومثل هذين الشاعرين تصدق عليهم مقولة الكلائي (بيع الشعراء بالشعر وقولهم: لسان الشاعر أرض تخرج الزهر حتى يكتسب المطر)[3]. وكان شعراء المديح التكسبي يغرقون في المديح ويسرفون فيه دون مقياس او ضابط حتى نصبح قصائدهم لا صلة لها بشخص قائلها أو المقوله فيه، ومن الميسور جداً جعل معظم هذه المدائح باسماء غير من قبلت فيهم بعد تحوير طفيف[4].

ب/– شعر المديح الحربي:

ظهر في البيئة الأندلسية نوع آخر من الوان المديح وهو ما يسمي بالمديح الحربي الذي يختص بالتغني بالبطولات والامجاد التي حققتها الأمه على أعدائها، وأشاد هذا اللون في الشعر بصفات الممدوح التي أثارات إعجابهم دون أن يكون من أجل العطايا أو بغرض التكسب.

---

1. الديوان لابن دراج ص(194)
2. قلائد القعيان للفتح بن خاقان, تحقيق الطاهر بن عاشور, تونس الدار التونسيه للنشر, (1990), ص(677)
3. احكام صنعة الكلام, لابو القاسم محمد الكلاعي, تحقيق محمد رضوان الدايه, ط 2, بيروت عالم الكتب, (1985م) ص(45)
4. الشعراء الاندلسيين, لاميلو غاريتا غرمت, ترجمه حسين موسس بدون القاهره ص(4).

وقد انفرد بهذا اللون ابن دراج الذي راح يمدح المنصور وابنه المظفر، ومنذر وابنه يحي، ومن اللافت للنظر أن كتب تاريخ الأدب لم تذكر من هذا الشعر إلا مقطوعة صغيره لعبد الملك بن سعيد المتوفي سنه 366هـ، صور فيها وفود اردون بن ادفوش، عندما وفدوا إلى الحكم المنتصر يطالبون منه الصلح، ويقول في هذا المقطوعه:

ملك الخلافة آيه الإقبال ** وسعودة موصوله بتوالي

فالمسلمون بعزة ورفعه **والمشؤكون بزله وسفال

ألفت بايديها الأعاجم لخوة **متوقعين لصوله الرئبال

هذا أميرهم أتاه آخذا ** منه أواصر دمه وحبال [1]

ومن اللافت للنظر كذلك أن المنصور لم يحظي بتخليد معاركه وانتصارته، وانتصارات ابنه عبد الملك فيما بعد ما يتناسب مع هذا الظفر، ويرى أبو عباس المراكشي في كتابه البيان المغرب ان عدم تخليد تلك المعارك والانتصارات يعود إلى أسباب سياسية وشخصية [2].

فالأسباب السياسية حيث يري المؤرخون أن سياسة الاستبداد والقمع التي مارسها المنصور مع الناس، دفعت الكثير من الشعراء إلى رفضها مما جعله يلقي بهم في السجن.

فالأسباب الشخصية تتمثل في معاداة المنصور للفكر والمفكرين فقد اتخد المنصور سياسه عدائية ضد علم الفلسفة والفلك والتنجيم واحرق كافة الكتب المتعلقه بهذه العلوم فالّم ذلك مشاعر الشعراء فانصرفوا عن مدحه والتغني ببطولاته.

ت/- شعر الشكوى في المديح:

اتجه بعض الشعراء اتجاها اخر في المديح، إذ ظهر في الأندلس على وجه التحديد في مدينة قرطبة ما يسمى شعر المديح الشاكي، وكان ذلك في اخر القرن الرابع وخلال القرن الخامس من أمثال جعفر المصحفي، والجزائري،وابن دارج، وابن شهيد والطليق، وابن حزم وابن زيدون، وغيرهم مما شكوا عصرهم وعبروا عما يجول في خاطرهم من ألم ومعاناة لما يصيبهم من إحباط وعدم قدرته على التكيف في مجتمع لا يقدر مواهبهم، وأخذت الشكوى عنهم أهدافاً متعدده فشكوا ألم السجن، وفراق الأحباب، والغربه في قرطبة والحنين إليها، والفقر والشعور بالحاجة، وبكبات الدهر، وتنكر الأصدقاء وحسد الأخرين. [3]

---

1. البيان المغرب, لابو العباس احمد المراكشي ج(2) ص(235).
2. تاريخ علماء الاندلس, لعبد الله بن محمد بن الغرضي, تحقيق ابراهيم الابياري بدون ط. بيروت , دار الكتاب اللبناني (1984) ص (245).
3. الشعر في قرطبة, لمحمد سعيد محمد, ط1 ابوظبي, منشورات المجمع الثقافي, 1997م ص(214).

ومن النمازج هذا الشعر ما قاله بن زيدون في مدحه ابن جمهور اذ جاءت قصيدته بدايتها غزلية شاكيا يقول مخاطبا محبوبته:

اظنينة دعوي البراءه شأنها**انت العدو فلم دعيت حبيبا

ما بال خدك لا يزال مضرجا**بدم ولحظك لا يزال مريبا

ولزرته بل عدته ان الهوي**مرض يكون له الوصال طبيبا

ما الهجر الا البين لولا أنه**لم يشح خاه به الغراب نعيبا

ولقد قضي فيك التجلد تحبه **فتوى واعقب زفرة ونحيبا

وأري دموع العين ليس لقيضها**غيض إذا ما القلب كان قليبا [1]

فمن مقدمة هذه القصيدة يتضح لنا مدي احساس الشاعر بالغربه والحزن، فالشاعر عاش زمنا مع ولادة بنت المستكفي، الا ان هذا الحب ضاع وتبدد ولم يبقي منه الا اطلاله في نفس الشاعر وصاحب هذه الهموم هموم اخري، فهي فقد الأهل و الأصدقاء الذين تخلوا عنه ودخوله السجن وغيرها من المحن والهموم.

رابعاً: الهجـاء:

أما الهجاء فلم تقم له سوق رائجة في الأندلس، لاسيما الهجاء السياسي لقلة الأحزاب السياسية. وقد ظهر في عهد الأمراء هجاء بين المصرية واليمانية ولكن لم يحفظ لناشي منه جدير بالاهتمام. وقد قام بعض الشعراء بغزو الفرنجه في اثناء الحروب معهم، وهجو البرابره عندما استفحل امرهم، وكانت الغايه من الهجاء التكسب والمجون، فقد كان مشحونا بالاقذاع والفحش[2].

فالهجاء ضد المديح ولما كان المديح الجيد المصيب انما يكون بالفضائل النفيسة فكذلك الهجاء الجيد يكون بسلب هذه الفضائل. وقد يكون ضعف فن الهجاء فن الأندلس يعود إلى (خلو البلاد من الطوائف والاحزاب ومن ثم لم تفرض السياسه على شعراء سلطانها)[3].

ويعود ذلك للالتزام الأخلاقي حيث يقول ابن حمد يس الصقلي، وهو من شعراء القرن الخامس:

يقولون لي لا تجيد الهجاء **فقلت ومالى أجيد المديح

فقالوا لأنك ترجو الثواب **وهذا القياس لعمري صحيح

فقلت صفاتي فقالوا احسان**فقلت نسيبي فقالوا مليح

فقلت إليكم فلي حجه ** وللحق فيها مجال فسيح

---

1. ديوان بن زيدون, لابن زيدون تحقيق علي عبد العظيم القاهرة دار نهضة مصر, ص(324).
2. في الادب الاندلسي لجودت الركابي ط(6), ص(115)
3. العرب في الاندلس, لجورج غريب, ص(86)

عفاف اللسان مقال الجميل**وفسق اللسان مقال القبيح

ومالي وما أمري مسلم**يروح بسيفي لساني جريح [1]

ويبدو من شعره هذا أنه قد تجنب شعر الهجاء بسبب ترفعه عن الكلام القبيح وعفافه، ولم يكن ذلك لقله مقدرته. وأشهر من عرف بفن الهجاء أبو بكر المخزومي الأعمي، وهو من شعراء المائه الخامسه للهجره، وبين نزهون بنت القلاعي القرناطيه معتبثات فاحشه قال فيها المخزومي:

على وجه نزهون من الحسن مسحة**وتحت الثياب العار لو كان باديا

قواصد نزهون توارك غيرها **ومن قصد البحر استقل السواقيا

فأجابته:

إن كان ما قلت حقا **من بعد عهد كريم

فصار ذكري ذميما **بعزي إلى كل لوم

وصرت أقبح شي ** في صورة المخزومي [2]

فللهجاء أنواع شتي، فنوع مقذع ساخر، وآخر يعني بهجاء المدن والهجاء الجماعي.

أ)- الهجاء المقذع الساخر:

فهو يتميز بالسخريه، كهجاء عبد الكريم القيسي لأبي جعفر بن أبي حامد الحسين، الذي كان له مع الشاعر خلافات اتضحت وبانت في كثير من شعره، فقد علم يوما أبا جعفر قد طلب من بعض الشعراءء ان يهجوه فقال القيسي مبادرا في كلام ساخر:

هجاوك لي مدح فذدني من الهجو**لعلك تشفيني من البث والشجو

ندير كوؤس الوصل ف كل ساعه**ونخطو إلى لذاتنا اوسع الخطو

فتقطف ازهار المسرات غصه**وطرف الردي جيران لي سنة السهو

وقد كتبت لك كفي لك الود قطعة**بدائعها تدعو العفيف إلى الصبو

فما لقي القصد الذي كان شاويا**وما فاسق يلقي من القصد ما نيوي

وباء بحري لا يرام**كما باء ابليس الذي لم يزل يغوي

ولست أرى من سكر حبك صاحيا**إذا ما أرى غيري يميل إلى الصحوي [3]

فالشاعر هنا وجه غرضا شعريا خدمة لغرض أخر، هجا بالغزل في كلام مخجل، شوه به سمعة صاحبه، ففضح سرا خطيرا كان دفينا اتفقا عن إخفائه عن الناس من قبل.

---

1. الديوان, لابن حمد يس الصقلي, بيروت,دار صادر,تحقيق احسان عباس, ص(94).
2. في الادب الاندلسي لجودت الركابي ط(6) ص(112)
3. الديوان لعبد الكريم القيسي ص(20)

ب- هجاء المدن والهجاء الجماعي:

ويظهر هذا الاتجاه في شعر القيسي فقال في قصيدة تعرض فيها للقضاة:

يا اهل بسطة دعوة من مشفق لو فيكم لدعائه من يسمع

إن القضاء وظيفة دينيه ما قط قام بحقها من يطمع

وأرى الذي ولي القضاء بمصركم فقد صار يطمع بالقضاء ويجمع [1]

فالقضاء في عصر الشاعر كان حسب هذه الأبيات وظيفه دينيه وما حدث في بسطة اليوم تولية قاضي طامع مستقل وهذا أما آثار غضب الشاعر فأعلن موقفه الذي يستشفي منه توجيهه لأهل بسطة:

وقال ابن خفاجة الأندلسي في هجاء المتكسبين بالعلم والزهد:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها بصدور مراتب ومجالس

وتذهدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد وكنائيس [2]

وهنالك اتجاه آخر في هجاء الملوك والحكام ولو كان أقرب للنقد الاجتماعي منه إلى الهجاء، ويمثل هذا الاتجاه أبو القاسم خلف بن فرح السميسر ومن هجائه او نقده الاجتماعي:

اسلمتم الإسلام في أيدي العدي وقعدتم!

وجب القيام عليكم إذ بالنصاري قمتم

لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققت [3]

خامساً: الرثاء:

لم يختلف الأندلسيون عن المشارقه من حيث التفجع على الميت ووصف المصيبه وتعداد مناقب فكانت معانيهم وأساليبهم متشابه، فكان يستهلون مراثيهم بالحكم كالمشارقه الا ان حكمهم كان سازجا لا عمق فيها ترتكز على الشكوي من الأيام [4]

فابن خفاجة الأندلسي يرثي الوزير أبا محمد بن ربيعه في همزيته التي بدأها بقوله:

أرى زهزة العليا تجف ماؤها** يغيض البشاشه تركد

ولم انسه والنعش قد صار روضة** تبسم عن دكر يغير وينجد

وهاداه اعنان الرجال وانما **يسير على الأمان حزم وسوود [5]

---

1. الديوان, لعبد الكريم القيسي. ص(23)
2. نفح الطيب, المقري. ج(4), ص(218)
3. الذخيره لابن بسام الشنتريني, ص(374).
4. العصر الاندلسي لنعمان عبد السميع متولي ط(1), دسوق دار العلم والايمان ص(28)
5. ديوان ابن خفاجة الاندلسي. تحقيق السيد مصطفي غازي, طبعة دار المعارف الاسكندريه 1960 ص(178)

وهو يشبه الفقيد بالزهرة التي جف ماؤها، وكلماته ما هي الا ترحمات لمشاعر الحزن. وقد اختار تلك القافيه؛ لتاكيد المعني وصدق العاطفة وحراره الاسي ورنات الموسيقي الباكيه.

وكان رثاؤه للماليك الذائله، فبكي ابن اللبانه دولة بني عباد، وابن عبدون دولة بني الافطس عندما ازالهما ابن تاشفين وبكي أبو البقاء الرندي الأندلس باسرها بعد أن استردها النصاري وقد بدت لوعة صادقه في هذه القصائد الثلاث لاسيما في قصيدة أبي البقاء التي يقول فيها:

لكل شي إذا ما تم نقصان ** فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول ** من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد** ولا يدوم على حال لها شأن

اين الملوك ذوو التيجان من يمن**واين معهم اكإلبل وتيجان

أتى على الكل أمر لا مرد له** حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك** كما حكى عن خيال الطيف وسنان [1]

سادساً: الحكمة:

الشعراء الأندلسيين لم ينصرفوا إلى حياة التامل، لذلك بدت حكمتهم ساذجه بعيده عن العمق، فالفلسفله لم تنتشر في تلك الربوع من دخول العربي إليها، بل تأخر ظهور الفلاسفة إلى أواخر القرن الخامس، وفي عصر المرابطين والموحدين فقد كان هذا العصر عصر نهضة والتأليف وفيه ظهر ابن ماجه وابن رشد وابن طفيل صاحب رساله ((حي بني يقظان)) وابن ميمون من الفلاسفة وابن خاقان والإدريسي وابن بسام من المؤلفين، ولو ظهور ابن حزم قبل رجال هذه الطبقه لقلنا ان هذا القصر احتكر العلم و الفلسفة وسبب تاخر نهضة الفلسفة في الأندلس، واقتصارها على فئه محدوده من المختصين؛ انه كان للفقهاء سلطان على ملوك الأندلس فضيقوا حرية التفكير وكفروا كل متفلسف وافتوا بنفيه وأحراق كتبه. [2]

فابن هانئ كان اكثر الشعراء الأندلسيين اهتماما بالحكمة في شعره محاولا بذلك تقليد المتنبئ ولكنه بقي مقصرا عنه اشواطا. وحكمته تدور حول شكوي الدهر والتحذير من الدنيا فكانت كحكمة غيره من الشعراء مبتزله بعيده عن النضج. فمن قوله قصيده يرثي بها ولدا لابراهيم بن جعفر ابن احد ممدوحيه:

1. نفح الطيب للمقري ج(6), ص(232) طبعة محمد محي الدين عبد الحميد.
2. في الادب الاندلسي لجودت الركابي ط(6). ص(112)

وهب الدهر نفيسا فاسترد**ربما جاد لئيم فحسد

إنما أعطى قومي ناقة **بيد شيئا يلقاه بيد

خاب من يرجو زمانا دائما**تعرف البأساء والنكد

فإذا ما كدر العيش نما**وإذا ما طيب الزاد نفد

لقد ذكر من كان سها**ولقد نبّهً من كان رقد [1]

سابعاً: الزهـد:

إذا كانت الحكمة ضيئله جافه في الشعر الأندلسي فلم يكن الزهد كذلك[2]. فالزهد تعبير عن موقف شخصي ازاء الحياه، وغالبا ما يصدر من الخوف من الموت وما بعده، فالشاعر كغيره من الناس يمر في فترات عمريه يجهل فيها، ويتجاوز في شعره بعض المحظورات، وما أن يصحوا من غفلته حتى يبدا في اللجوء إلى الله يطلب الإحسان والمغفره. فالشاعر الأندلسي في زهده لم يذهب بنا بعيدا عن سير أغوار نفسه إنما يعبر عن احاسيسه وانفعلاته ويرسم موقفه من الحياه بأبيات زهديه فيها ذاتيه واضحه.

على ان كثرة الحروب والفتن وتغلب الاحوال اثرت في نفوس الشعراء فمالوا إلى الطعن وغدر الأيام وغرور الزمن وقادهم هذا الموقف إلى لون من الشعر الشاكي الذي انتهى بهم إلى الزهد والتغشف وذكر الله. كمثل قول الشاعر ابن عبد ربه وهو يصف الدنيا بانها دار للفجائع والمصايب:

ألا إنما الدنيا نضارة ايكة **إذا أخضر منها جانب جف جانب

هي الدار ما الآمال الا فجائع **عليها، ولا اللذات إلا مصايب

فكم سخنت بالأمس عين قريرة **وقرت عيونا دمعها اليوم ساكب

فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة**على ذاهب منها فإنك ذاهب [3]

فهذا السمير الالبيري الذي افحش في الهجاء على نفسه وعلى الناس في سب واعراضهم يعد إلى التوبه ثم يمزجها بالطبيعة والزهد في الحياه فيقول:

جمله الدنيا ذهاب مثلما قالوا سراب

والذي فيها مشيد فخراب ويباب

وأرى الدهر بخيلا أبداً فيه اضطراب

وليوم الحشر انعام سؤال وجوب [4]

---

[1]. يوان, لابن هانئ الاندلسي ص(78)

[2]. في الادب الاندلسي, لجودت الركابي, ط(6), ص(118).

[3]. معجم الادباء. ج(4), ص(218).

[4]. الحله السيراء. ج(1). ص(122).

وهناك لون آخر من الزهد مقرون بالتوبه، ويصدر عن الخوف من الموت والعذاب، ونجد هذا الزهد عن الأمير عبد الله فيقول:

يا من يراوغه الأجل حتام يلهيك الأمل
حتام لا تخشي الردي وكأنه بك قد نزل
اغفلت عن طلب النجاة ولا نجاة لمن غفل
فكأن يومك لم يكن وكأن تعبك قد نزل [1]

وهكذا فإن أغلب شعر الزهد لم يكن صادرا عن نهج صوفي، بل هي حالة من حالات التوبة والاستغفار، تعتري الناس وخاصة نهاية مطاف العمر أو عند الأزمات والملمات، أو حلت بهم نائبة من نوائب الدهر. وأما من الناحية الفنية يبقى شعر الزهد لا يرى في عبارته وصوره إلى مطاف الشعر وخاصة الغزل والوصف وإن بقى متنفسا لألآم الشعراء في حياتهم المضطربة.

ثامناً: شعر التصوف:

يأتي على رأس هذا الغرض شيخ المتصوفيين ابن عربي وابن سبعين وابن العريف والشتري وغيرهم.

وفي هذا اللون من الشعر تغني الشعراء بمدائح الرسول صلى الله عليه وسلم، والحنين إلى الحجاز والأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة.[2]

كما اتجهوا بشعرهم بالاستغاثة بالرسول الكريم. ومن أشهر هؤلاء الشعراء أبو زيد الفازازي وابن جابر الأندلسي وأبو الحسن الرعيني وغيرهم من شعراء الأندلس. [3]

قال عزيز بن يشات:

يا سيد الأرسال غير مدافع وأجلهم سبقا وان هم اعتق
فاجبر كسير جرائر وجرائم فالبزل والإنفاق عندك ينفق
ارجوك يا غيث الانام فلا تدع فالقلب من عظم الخطايا يقلق
حاشاك تطرد من اتاك مؤملا باب الرضا دوني يسد ويغلق [4]

تاسعاً: الشعر الحماسي:

---

1. نفح الطيب, للمقري, ط(6), ص(142).
2. في الادب الاندلسي لجودت الاندلسي. ص(119)
3. في العصر الاندلسي, لنعمان عبد السميع ص(33)
4. وفيات الاعيان في انباء ابناء الزمان لابن خلكان , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط النهضه, القاهره ص(50)

وإذا كان الشعر ألزهدي قد دعت إليه ظروف الشعراء وواقعهم فلم يمن الأمر كذلك فيما يختص بشعر الحماسة فقد كان شعراء الأندلس بعيدين على أن يعيشوا عيشة الأبطال والفرسان، لذلك اختصر شعرهم الحماسي على مدح الملوك ووصف معاركهم الحربية.

وكانوا بذلك شعراء مصورين ولهذا فقد كان المدح غاية الشعر الحماسي وبقي الدافع إليه التقليد والعاطفة. فشعراء ملوك الطوائف، قد فضلوا أن يخلدوا إلى شعر التصوف والشكوى والبكاء. ولعل نفسية الشاعر الأندلسي تلاءم هذا النوع من الشعر أكثر من ملاءمتها للشعر الصاخب القوي إلى إمتاز به شعراء المشرق.

فالظروف الإقليمية أثرت في هذا الاتجاه النفسي الذي أضعف فيهم روح الحماسة وقلل من حدة البداوة. أما صفات البطولة والشجاعة فكانت تأتي على شفاههم متكلفه مصطنعه لفقدان الشعور العميم بأنهم يتحلون بها كما في حماسيات ابن وهبون من شعراء المعتمرين عباد.

عاشراً: اللهو والمجون:

لم يكن لشعر اللهو والمجون أثر يذكر في العصور الأولي، عقب فتح المسلمين الأندلس فكانت عصور جهاد ونضال وحروب ونزال كما كان الحماس الديني ما زال قائما في النفوس وله قداسته وأصوله وتقدير. هذه الأصول والخشية من الله وظل الحال هكذا إلى عصر الطوائف وإسراف الأمراء من البذخ والترف، فشاع شراء الغلمان للسمر واللهو والغناء وشرب الخمر وانتشرت الخمور، وأصبحت كالأثاث في القصور والدور، وصار الأمراء لا يتورعون بشربها فاخذوا يسمرون ويلهون ويستمعون إلى غناء الفنان مقلدين بذلك الخلفاء في العصر العباسي، وسمحوا للشعراء بتصوير تلك المظاهر في أشعارهم فتفننوا في تصورهم غاية التفنن.

وانتشر اللهو والمجون بين عامة الناس فاقبلوا على شرب الخمر، ودخول الحانات لسماع المغنيات والتغزل في القينات. فنشط شعر اللهو والمجون نتيجة لتملك بعض المجتمعات ومالوا للهو من شرب الخمر، ولهو وعبس ورقص، واغتناء لحسان الجواري ممن كثر سبيهن مما كان يسبي في الحروف الكثيرة[1]. فنجدهم قد صدروا ما دار في مجالسهم من عبث واستهتار دون عرف أو تقاليد أو أخلاق وقيم فنجدهم قد شربوا حتى الثمالة وادر الغيان كؤوس الخمر في لهو وغناء وعبث.

ومن قصيدة لابن خفاجة حدثنا فيها عن أيامه السابقة التي قضاها في اللهو والمجون وبدأها بالمعرفة الطلليه مقلدا فيها الأقدمين في النهج والأسلوب.

رب ليالي بالغميم أرقتها لمرضي جفون بالفرات نيام

[1]. الأدب الأندلسي, من الفخ والسقوط ص(274)

يطول على الليل يا أم مالك وكل ليال الصب فضل تمام [1]

وهكذا تستمر كلمات القصيدة في لهوه ومجونه وسكره في ايام شبابه وقال على بن محمد العلوي:

كأن السحاب الغر أصبحن أكوأسا لنا وكان الراح فيها سنا البرق

إلى أن رأيت النجم وهو معرب واقبل رايات الصباح من الشرق

كأن سواد الليل والصبح طالع بقايا جمال اللحن في الأعين الزرق [2]

بقد بات ليلته شاربا معربدا فإذا أشرقت شمس الصباح قال هذه الأبيات مصدرا للهوه ومجونه خلال هذه الليلة. يقول:

يأرب ليل قد هتكت حجابه بزجاجه وقلادة كالكوكب

يسقي بها ساق أغر كأنها من خده ورضاب الأشنب

بدر من بدر قد أمنت غروبه يسعي ببدر جانح للمغرب

والليل متحفز يطير غرابه والصبح يطرده بباز أشهب [3]

لقد صور الشاعر زجاجه الخمر بكوكب هتك حجاب الليل وأنار ظلمته. ولا شك ان في لفظه هتك، توحي بالعربدة والفجور ثم جعل لون الخمر مستعارا من خد لون الساقي لقد نعم بشرب الخمرتين، خمرة الكأس وحمرة الثغر، وظل يشرب حتى ظلام الليل بيان أشهب يطير قرابة ولقد سبقه إلى هذه الصورة المعري حين قال:

بالله يا دهر قرابها صوتا في الصبح بباز كرز. [4]

يقول أبو الفتوح وقد مزج وصفه للخمر بوصف ساقيها:

ومدامة صفراء علله بها رشا كغصن ألبان من حركاته

ولهباء تغرب إن بدت في كفه في فيه ثم تلوح في وجناته [5]

لقد اكتفى بوصف الخمر دون وصف أثرها كما وصفها الساقي مفاتنه. ويبدو أن بعضهم قد فاق من غفوته فأصبح أكثر اتزانا وأبلغ أدبا وأعمق رأيا وروية. فيقول أبو إسحاق بن خفاجة في ذم الخمر:

قد ذم بعض الخمر قوم لأنها تكر على دين الفتى الفساد

وقد سلموا قوم الذي قال أنها تحل من الدنيا بأعظم ناد

وتذهب بالمال العظيم فلن ترى لمدمنها من طارق وتلاد

ليمضي كريما سيدا ثم يقتدي سفيها حليف الغني بعد رشاد [6]

---

1. ديوان ابن خفاجة الأندلسي ص(52)
2. زهر الأدب وثمر الألباب, لأبو إسحاق إبراهيم بن علي ألحصري القيرواني, دار الكتب العربية ببيروت ط(2), ص(156)
3. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, لابن بسام, ص(288)
4. سقط الزند, لأبي العلاء المعري, ط دار الكتب المصرية (1945-1948), ص(95)
5. نفح الطيب, ج(2) ص(222)
6. الإحاطة في تاريخ أخبار غرناطة للسان الدين الخطيب ط القاهرة 1319هـ, ص(178)

فبعد أن ظل الشاعر أسيرا لسحر الطبيعة، حليفا لكأس الخمر في ظل أيكة، أو على متن زورق، نراه ينشي أبياتاً يزم فيها الخمر وشاربها، وما تفعله بجدلهم وعقولهم وما فيها من كساد وضياع المال، والبعد عن الكرامة والعزة والشرف.

ومن كثرة اللهو والعبث والرفاهية، فقد ظهر بالأندلس الغزل بالمذكر، فتغزلوا بالمذكر غزلا تقليديا محضا فقلعوا بذلك شعراء العصر العباسي أمثال حماد عمر، وأبي نواس، وحسين الصماك وغيرهم[1].

غير أن معظم الغزل بالمذكر أتي من ألفاظ عفيفة وممن تغزلوا بالمذكر من فتاه إليهودي موسي:

ولما عزمنا ولم يبقي من ** مصانعة الشوق غير إلسير

بكيت على البحر اخفي الدموع**فعرضها لونها للظهور

ومن الفراق بتوديعه **فشبهت ناعي التوي بالبشير

وقبلت وجنتيه بالدموع كما** التقطت وردة من غدير

وقد أسرف في تفسير هذه الظاهرة، والشعراء حتى الذين ترتبط اسماهم بسمات من الوقار والتحشم قد تورطوا في الغزل بالغلمان، كأنها من أساسيات الحياة في المجتمع الأندلسي.[2]

[1]. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ص(216).

[2]. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/لابن بسام ص(216)

المبحث الثالث

صورة المرأة في الشعر الأندلسي

المقدمة:

يتميز المجتمع الأندلسي عن غيره بأنه مجتمع يكاد يكون كله شعراء وكان الحس الشعري سمة مشتركة بين أفراده وقد استطاعت المرأة الأندلسية أن تظفر بخط كبير من النشاط العلمي والأدبي.ولم تعد قرطبة وحدها قبلة الأنظار، يؤمها الشعراء والأدباء من شتئ الأنحاء، بل تكاثرت المراكز الأدبية كما تكاثر المانحون ومحبو الأدب، وأصبح التنافس شديداً بين الممالك والبلدان لما يتميز به ملوك الطوائف من شاعرية وحس نقدي.

وكان للمرأة الأندلسية نصيب وافر في مضمار الشعر جعلها تنافس نساء المشرق وتتفوق في بعض الأحيان على الرجال. وقد كان عددهم من الوفرة بحيث شكل ملمحا بارزا من ملامح الشعر الأندلسي، وكان فنهن يدفع الدارس إلى الوقوف متأملاً مستبيناً ما فيه من أسباب الجدة ومظاهر الإمتاع والإبداع.

وفي فترات من الحياة الأندلسية المتقلبة سياسياً وثقافيا، وكان للمرأة صورة تتفاوت بين الحسية والرمزية ،غير أن الغالب الأعم وصفا جسديا لايتجاوزه إلى مشاعر بشرية جديدة يسبر اغوارها، والتلذذ بالحديث عن المشاعر والمحبة والنوى والقرب وغيرها من المعاني الحسية الرائعة الجميلة. ولكن تلك الصورة الغالية للشعر الأندلسي مثل بن زيدون في قصائده الرائعة التي كان جلها في ولادة بنت المستكفي.

أما العلامة حزم فقد أورد في كتابه (طوق الحمامه)شيئا عن المراة لم يتجاوز فيه المشاعر عن الجسد حيث قال [1]:

وددت بأن القلب شق بمدية *** وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري
فأصبحت فيه لاتحلين غيره *** إلى مقتضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ماحييت فإن أمت *** سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وكان كثير الشعر بالمعارك والحروب، فيقول في وصف المعارك:

يد يرونها راحاً من الراح بينهم *** ببيض رقاق أو بسمر ذوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها *** غناء صليل البيض تحت المناصل [2]

[1]. ابن حزم، طوق الحمامة، الموسوعة الشعرية ص (154)
[2]. معجم الأدباء. ط 4. ص216

ومن خصومه ابو فراس الحمداني، وابن سكره الهاشمي، وابن الحجاج، وابن لنك، والصاحب بن عباد في الكشف عن مساوي المتنبي وممن جاء بعدهم. كالعميدي زايد خلدون في مقدمته. ومن أنصاره العقاد بمقالاته في الهلال وعبدالوهاب عزام في ذكر أبي الطيب الف عام، وصدق ابن رشد القيرواني.

واهم مؤلفات ابن عبدربه كتابهالعقد الفريد، هذا الكتاب من تسميته الناعمة جمع فيه واقع جمع فيه واقع الأدب مع خيال الشاعر ونجده قد تصدر كل باب جوهرة من جواهر العقد في جيد الحسناء ،وجيد الحسناء يتكون من خمسة وعشرين حبة لكل منها اسم في اللغة وقد مضي في تإلفه سنوات طويلة نلتمس في صاحبه منهم العلم وذكاء

المطلب الأول:

الصور المجازية للمرأة:

أثرت المرأة بشكل كبير على لب الشاعر وفكره بسبب فتنتها وسحرها وأساليبها، وكان من نتائج هذا التاثير أن وصفها مادياً حسياً منطلقاً من مضامين رؤيته الشعرية لها فاعتني ببيان صور الجسد المادية وبين تفاصيله الدقيقة.

وقد اتجه الشعراء الأندلس للبحث عن نموذج نسائي للجمال المادي الملموس ،فذهبوا يتغزلون بالمرأة ويتحدثون عن مفاتن جسدها، وربما وصفوا مغامراتهم معهم وقد كانت أيضاً مصدر إلهام في مجالس اللهو ومشارب الخمر ومراقص الأنس ومحافل الغناء.[1]

وقد تباينت آراء الشعراء في تحديد معالم هذا اللون، فمنهم من جاءت عنده تقليدية ومنهم من استقي معالم هذا الجمال المادي من واقع بيئتهم لاجتماعية التي إمتزج فيها الجمال التقليدى بعناصره الجديدة التي لطالما تعطش الشعراء لها في بحثهم عن الجمال المطلق لجسد المرأة لأنها امرأة المتعة واللذة، فجاءت المرأة الأندلسية شبيهة في بعض صفاتها المادية بالمرأة المشرقية، فهي حوراء العين أسيلة الخد، هيفاء القامة، تحاكي البدر ضياء، والشمس نوراً، فهي مفردة الحسن لاشبيه لها [2]. ويتجلى هذا الوصف في أبيات من الشعراء فيقول منهم:

يابانة تلوى معاطفها الصبا *** للحسن بين حدائق ورياض

ولدت أشكال الجمال بوجنة *** ألفت فيها حمرة ببياض

وأصبت لي قلباً صحيحاً سالماً *** عمداً بأجفان لديك مراض [3]

---

1. صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير الجامعه الأردنية، ص (2)
2. المرأة في شعر البحترى – نعمات أحمد فؤاد – ص 16-17
3. زهرة الأدب، للحصرى، تح محمد محي الدين عبدالحميد، ط(4)، بيروت دار الجيل (1972)، ج(12) ص (987).

فمثل هذه الأوصاف وردت فيما قاله الشعراء العرب قديماً فهي في حقيقتها محاكاة لماقاله شعراء المشرق في المرأة من قبل وبامعان النظر في هذه الأبيات نجد أنها تتميز بأسلوب سهل سلسل راق، مع إبداع في التشبيه والتصوير.

ويرى الدكتور مصطفي الشكعة أن مزج الطبيعة بالغزل أمر مقبول، بل هو تزواج طريف بين إلفين رقيقين، فالشعراء الذين استعانوا بالطبيعة في أوصافهم كثبرون. فهذا يوسف الثالث كمعظم شعراء الأندلس. وجد في الطبيعة ما أعانه على التعبير في مجال شوقه، فأستمد بعض أوصافه للمرأة من مشاهد الطبيعة واستعان بالغزل لتصوير بعض ملامح الطبيعة فيقول:

هل البأن يحي من معاطفك القدا
أو الورد في توريده يشبه الخدا
لقد أخطاء التشبيه من حسب السها
يقاوم آفاقه القمر السعدا
وهل لحلي ليلي نظير وإن هم
يظنون منها الثغر قد أشبه العقدا
أو الغصن المرتاح يحكى انثناءها
أو الزهر نثراً في التكلم أو نضدا
هي الغاية القصوى محاسم لم تجد
شبيهاً لها في الغأبيات ولابداً[1]

وفي غزل ابن فركون يجد الباحث أوصافاً عديدة لأعضاء المرأة ومحاسنها، وهذه الأوصاف مستوحاها من أحضان الطبيعة فيتحدث عم لين قوامها، وجمال عينيها وعذوبة ثغرها وسلامة أسنانها. وذكر الأسنان هنا شبهها جمالاً من الألفاظ والحديث. وبهذه المقاييس الجمالية تكون المرأة في شعر ابن فركون قد اكتملت حسناً وجمالاً فيقول:

ابن ليل نعمت فيه بليلي وعلينا من النجوم رقيب
فهي تحكيه إذ يروق جمالاً زهرة أو يميل منه قضيب
منطق لين وعين كحيل وقوام لدن وثغر شيب [2]

[1]. الديوان، للملك يوسف الثالث ملك غرناطة، ط(2).(تح عبدالله كنون) القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية (1965) (ص45).
[2]. الديوان، لابن فركون (وهو الحسين بن احمد سليمان) تعليق محمد بن شريفة، ص (257)
شبب = ورقة وعذوبة الأسنان / لسان العرب. مادة شنب

وهو في هذه الأبيات لايغفل الحديث عن الطبيعة، فيجمع بين الطبيعة والمرأة. على عادة شعراء الأندلس. فيذكر الحب في أحضان الطبيعة، ويتخذ الطبيعة سبيله إلى الغزل واستجلاء مفاتن الحبيب، وبهذا يخلع على أوصافه لوناً بهيجاً من الجمال ويبتعد بها ما أمكن عن رتابة التقليد.

ويقول المقرئ في نفح الطيب عن الأندلسسيين أنهم (إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً، ومن النرجس عيوناً ومن السفرجل نهوداً، ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز وثغور الأقاح مباسم، ومن ابنة العنب رضاباً)[1].

ولقد تناول الشعراء في وصفهم للمرأة القامة والشعر والوجه واللحاظ والثغر والخد والخصر والنهود والأصابع.. وهذه الأعضاء أحدت أوصافاً ثابته ومستقرة على مر العصور، والمقاييس الجمالية ظلت واحدة، لم تتبدل بتبدل الأجيال والبيئات، ومن هنا جرى هؤلاء الشعراء وراء النماذج الوصفية المعروفة في الشعر العربي، وهذا ما جعل صورهم بينهم، ورغم اختلافهم عنهم في البيئة.[2]

وقد نلمح بعض الإضافات اليسيرة في أوصاف بعضهم الذين استمدوها من واقع عصرهم، والبيئة الجديدة المتحضرة وقد تسابق الشعراء وتفننوا في وصف وجه المرأة وتشبيهه بالشمس تارة وبالبد تارة أخرى، وبعضهم جعل وجهها يفوق الاثنين معاً. وكان البسطي أكثر هؤلاء الشعراء تفنناً في وصف محاسن المرأة وجمال وجهها، كما أوتي من العذوبة والسهولة والرقة حظاً كبيراً فيقول:

أفدى التي لم تزل تبدى محاسنها

للناظرين إليها منظراً عجباً

ووجهها حاز من شمس الضحي شبهاً

بل نور غرته شمس الضحي غلباً[3]

ويبالغ أبوحيان حيث يشبه البدر في جماله وضيائه بمحبوبته فوجهها دائم الإشراق بعكس القمر الذى يواجه الاضمحلال والكسوف، فيقول:

ويابدر كم قد شبهوك بوجهها *** لقد غلطوا ما مشرق مثل خاسف [4]

ولم يكتفيالشعراء بذكر الوجه فقط بل ذكروا الخدود أيضاً فقد وصف البسطي خدود حبيبته واصفاً رائعاً، فيشبهه بالورد الذى تنتابه لحظة غضب، فغضب الورد يعني ازدياد حمرة الخدود وهذا أضاف إلى جمالها جمالاً آخر فيقول:

---

1. ديوان ابن فركون: ص (126).
2. صورة المرأ' في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، حمزة محمد عبدالهادى ص (44).
3. ديوان عبدالكريم الفيس ص (396)
4. ديوان أبي حيان الأندلسي ص (302)

ووجنتاها إذا يبدو احمرارها *** حققت أنهما ورد الربى غصباً [1]

وتشبيه لون الخدود بالورد أمر شائع لدى شعراء أهل المشرق إلا أن وصف الورد بالغضب لم يكن مألوفاً لديهم فإضفاء صفة الغضب على الورد أعطى الصورة شيئاً من الجدة والطرافة وكان خد المرأة مثار إعجاب الشعراء فوصفوه وصفاً رائعاً، ففي شعر ابن تزين زمرك في هذا المجال فإننا نجده يرسم لوحة جمالية للمحبوب تزين الألوان كافة أطرافها، واحمل مافيها لون خدودها:

ومشتمل بالحسن أحوى مهفهف *** قضى رجع طرفي من محاسنه الوطر

فأبصرت أشباه الرياض محاسناً *** وفي خدة جرح بدا منه لي أثر

فقلت لجلاسي خذوا الحذر إنما *** به وصب من أسهم الغنج والحور [2]

وتحدث ابن الخطيب عن غمزات محبوبته فهي كالسهام تصيب الأفئدة، وتنفذ الى القلوب، وتتمكن منها فيقول:

غمزات طرفك في القلوب تخالها *** مثل السهام مضت إلى الأغراض [3]

ولقد جعل الشعراء لهذه العيون السقيمة آثارقاتله في أنفسهم حتى اقترنت صورة الطرف المريض بالقتل. ويرى ابوحيان الغرناطي في صغر أعين التركيات جمالاً لايعدله جمال.

فيقول:

ضيق العينين زكيهما واسع الوجنة، ذرى المجس [4]

وقد تغني بعض الشعراء في العصر العباسي بالعيون الزرق كابن المعتز فيقول:

ورنا إلى الفرقدان كما رنت ** زرقاء تنظر من ثقاب أسود [5]

إلى مدى تأثره بالعنصر الإفرنجي الذى كان من نسيج المجتمع الأندلسي فيقول:

زكم من كسول نؤوم الضحي *** تصبحها وهي دون اصطباح

وكم قد سباني من سيبها*** برزق العيون وزرق الرماح

وكم اوقعت في الهوى فتنة *** ببيض الثنايا وبيض الصفاح [6]

وفاتنة اللحاظ إذا تثنت *** تعود طرفها قيد الأسود

فتصرفها بألحاظ مراض *** وتسهرها بأجفان رقود

إذا ما استنطقت نغم المثاني *** تثنينا مرة قضب القدود [7]

---

1. ديوان عبدالكريم القيسي ص 36
2. الديوان، لابن فركون، ص (432) (ابو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الصريحي) (طلبنان 1998)، ص (432)
3. ديوان ابن فركون، ص (266)
4. ديوان ابي حيان الغرناطي، ص (95)
5. ديوان بن المعتز، ص 100
6. ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث. ص (25)
7. ديوان لسان الدين بن الخطيب

فالشاعر في هذه الأبيات يصف المرأة بصفات استخدمها الشاعر العربي القديم في وصف المرأة، فهي مثلاً غزالة ربرب، ومهاة قفر، وذات ألحاظ مريضة تفتك بعاشقها، علماً بأن الأبيات تحكي أجواء البيئة الغرناطية المترفة وتتسم بالسهولة والرشاقة والرقة.

ولشعراء الأندلس الكثير من المقطوعات الغزلية الحسية قلدوا بها تشبيهات القدماء وأخيلتهم، ويقول أبو حيان الغرناطي في هذا السياق واصفاً مفاتن المرأة من خلال مقطوعة رقيقة، بين مدى تأثره بمدرسة الغزل القديمة، إذ نجد فيها صورة من استعارات مألوفة وتشبيهات تقليدية متكلفة فيقول:

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول *** العقل مختبل والقلب متبول

هزت له أسمرا من خوط قامتها *** فما انثني الصب إلا وهو مقتول

جميلة فضل الحسن البديع لها *** فكم لها جمل منه وتفصيل

فالنحر مرمرة والنشر عنبرة *** والثغر جوهرة والريق معسول

والطرف ذو غنج والعرف ذو أرواح **والخصر مختطف والمتن مجدول [1]

فالشاعر هنا يحاول أن يعارض قصيدته هذه بقصيدة كعب ابن زهير المشهورة (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متييم إثرها لم يفد مكبول) فتوصل إلى بعض معانيها وصورها ووزنها وقافيتها، ولم يتوصل إلى روحها وصفائها، فالصيغة واضحة في أبيات أبي حيان فلانجد فيها عاطفة جياشة صادقة وإنما نجد رصفاً للأوزان خالياً من إحساس الشاعرية، كما أن الإحساس الجمالى بهذه الأوصاف ليس صحيحاً، لأنه لم يكن تعبيراً عن قيمة جمالية تعلق بها الشاعر، وإنما جاء تقليدياً لقيم جمالية أحسها القدماء، وتعلقوا بها، وبذلك خلت الأبيات من الوصف الساحر الذى يجذب النفس ويطربها، وتترك القاري يسبح في عالم الخيال التقليدى فقط. ولكن خضرة العين وزرقتها، نادرا ما ذكرها الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي، وذلك لغلبة العيون السود عند النساء العربيات وأما حواجب المرأة فقد وصفها البسطي في قصيدة له في محبوبته فاطمة، فرسم صورة ناطقة لحاجبي محبوبته وأثرها في نفسه:

والحواجب أفواه تكلمنا *** تثير بالقلب أنواعاً من الفرح [2]

وتفنن الشعراء في وصف ثغر المرأة وشبهوه تشبيهات رائعة، فقد وصف البسطي ثغر محبوبته وعذوبته وطيب رائحته وصفاً مميزاً فقال:

و ثغرها حسن زهر الأقحوان حوى *** والأقحوان غدا لايعرف الشنبا

جرى بفيها رضاب طيب عبق *** يذكو لمن شمه يجلو لمن شربا

إذا الفتي شمه أوذقه سحرا *** ألفاه في الحالتين المسك والغربا[1]

---

[1]. الموسوعة الشعرية ص(48)

[2].ديوان عبدالكريم القيسي. ص (16)

وجاء الريق في أشعارهم وسيلة لتخفيف ما تحمله دواخلهم من نار العشق والآم البعد، فكان مصدراً للشفاء من الأوجاع والسقام وله القدرة على بعث الحياة من جديد في نفس الشاعر. يقول البسطي:

لعل نفحه رحمى أن تهب لهم *** تشفي الضني وتداوي السقم والوصباً

وميت الحب تحييه وتنشره ** فقد طواه هوى أحبابه حقبا [2]

وليس هذا من المبالغة المموجة التي يسوق إليها التكلف في التعبير بل هو من حدة العاطفة التي لاتعرف حدوداً.

وتحدث الشعراء وأبدعوا في وصف قامة المرأة وخصرها وأردافها حيث فتنتهم القمة المجبولة التي منحت المرأة شكلاً جميلاً ومشية كلها دل وأنوثه. وذلك وصف يوسف الثالث أطراف حبيبته وجمال خصرها قائلاً:

منعمة الأطراف، ساقية الحشا

مرجرجة الأرداف، مخطفة الخصر [3]

فهذه الصفات تعني انها مجهولة حسب مفهوم أهل العصر كما يقول الجاحظ: (أكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة النقد، يقومون المجدولة، والتي هي بين السمينة والممشوقة، ولابد من جودة القد وحسن التجريد وإعتدال المنكبين واستواء الظهر ولابد أن تكون كاسية العظام، بين الممتلئة ، ولذلك قالوا كانها غصن بان أو قضيب خيزران وجدل عنان) [4]

وقد بين الشعراء قديماً صورة المرأة وهي فرحة ضاحكة وذلك لبيان جمال ابتسامتها وأسنانها، لما فيها من معان وسحر وجمال، والعرب كانت ترى جمال المرأة في بياضها، وكثيراً ما إمتدح الشعراء البياض في المرأة، وروى عن أعرابي، قال وهو يصف امرأة (لها جلد لؤلؤ رطب مع رائحة المسك ، في كل عضو منها شمس طالعة [5]

وقال الجاحظ قيل لأعرابي: أتحسن صفة النساء ؟ قال: نعم إذا عذب ثناياها، وسهل خداها، ونهد ثدياها، والتف فخذاها، وعرض وركاها، وجدل ساقاها، فتلك هم النفس ومناها.[6]

وقد وصف البسطي جسم حبيبته وصفاً رائعاً، بحيث تمثلت لنا المحبوبة من خلال هذه الأبيات إنسانه أكثر فتنة وجمالاً من حبيبات الشعراء القدامي:

جسم من الفضة البيضاء معتدل *** تخاله مشرباً من حسنه ذهبا

---

1. نفس المرجع السابق، ص (397)
2. ديوان عبد الكريم القيسي. ص (397)
3. ديوان ملك غرناطة، يوسف الثالث. ص (25)
4. رسائل الجاحظ، الجاحظ، ص(201)
5. المحاسن والأضداد. للجاحظ، ص (162)
6. نفس المصدر السابق ص (168)

إذا يد لمسته من غضاضته *** وحسن نعمته أبقت به ندبا

ثقله ان مشت رجلان حجلهما *** يضيق وهي اشتكت من حمله تعبا[1]

فالشاعر في هذه الأبيات رسم صورة متكاملة لمحاسن محبوبته، فاختار البياض لوناً لها، وإلى هذا مال أكثر الشعراء في القديم، وهذا البياض المشوب بالصفرة شبهوه بالفضة التي خالطها الذهب، كما هي الحال عند البسطي، ويؤكد في البيت الثاني حيث يصف جسم محبوبته أنه غض بض، إذ المسته تركت فيه اثاراً، إلا أن هنالكح من الشعراء من رأى عكس ذلك كما وجدنا عند أبي حيان، فقد هام بحب السود وافتتن في وصف محاسنهن، وفضلهن على الغواني البيض، وله في ذلك تفسير غريب يقول:

لنا غرام شديد في هوى السواد تختارهن على بيض الطلى الغيد

لون به أشرقت أبصارنا وحكى في اللون والعرف نفح المسك والعود

لاشئ أحسن من آس تركبه في أبنوس ولا أشفي لمبرود

لاتهوى بيضاء لون الجبص واسم إلى سوداء حسناء لون الأعين السود

في جيدها غيد، وفي فدها ميد في خدها صيد، من سادة صيد [2]

ونجده في موضوع اخر يبين فيه نقيض ماذكره، فلم يظل صريع السود بل قال في عكس ذلك:

إذا مال الفتى للسود يوماً فلا رأى لديه ولارشاد

أتهوى خنفساء كأن زفتاً كسا جلدا لها وهو السواد

وما السواد إلا قدر فرن وكانون وفحم أومداد

وبين البيض والسود أن فرق لذي عقل به اتضح المراد

وجوه المؤمنين بها أبيضاض ووجه الكافرين به إسوداد[3]

وفي ذلك مفارقات كبيرة، ولعل الشاعر كان يتفنن في قوله فيهوى السود ويقع في غرامهن أحياناً، ويعشق البيض ويسقط في هواهن أحياناً.

[1]. ديوان عبدالكريم القيسي البسيطي ص (369)
[2]. ديوان أبي حيان الغرناطي ص 154
[3]. نفس المرجع السابق ص 165

المطلب الثاني

الصورة الوجدانية للمرأة

لم يكتف الشعراء برسم صورة مجازية لمن يحبون من النساء، بل أضفوا على نموذجهم الجمالى جمالاً وجدانياَ وروحانياً لآيات الحسن والجمال الروحية، ولقد أخذ حديث الغزل من حياة الشعرية عن عواطفهم نحو المرأة وطربهم بجمالها وفرحهم بلقائها ونشوتهم بوصالها، ومن غير أن يبتعدوا عما جاء به المشارقة شكلاً ومضمونا.

وقد حاولت المرأة الأندلسية الاحتفاظ بحبها والإبقاء على جذوتها مشتعلة في قلوب عشاقها، فتمعنت وعاتبت وصدت وهجرت وتدللت. وقد دفع هذا السلوك يوسف الثالث إلى عرض حبه بإستمرار والتذلل امام محبوبته وإستعطافها، ونراه يشكو حبه ويستعطفها أن ترفق به ولاتصد ولاتبخل عليه بالوصال فيقول:

مددت يد المضطر نحوك ذلة فلم تسعفي من جاء بالذل مضطرا

وما ضر ذاك الحسن لومن بالذى يضاعف لي البلوى ويجرى لك الأجرا

أردت بطول البخل إشعال لوعتي فيهينك أن عادت ضلوعي به جمراً

ولعل الحديث عن غدرالمرأة وتلونها على إطلاقه، أمر ليس من الإنصاف في شئ، فهناك بين ماقيل منه الجارية وماقيل منه في الحرة، لأن الأولى يعنيها المكسب المادى وهذا جزء من طبعها الذى ربت عليه، بينما في الثانية يتمني الشاعر وصلها ويرغب في تحقيق مواعيده معها، ولكنها تخشي إن فعلت ذلك أن يكون هدراً لكرامتها وسمعتها وسمعة أهلها وخوفاً من مجتمعها، فهو إذن ليس غدراً إنما نتيجة طبيعية لما أملته ظروف الحياة على المرأة. ووصف الشعراء حديث المرأة بأنه الذى شفتاها، لذلك تناول الشعراء صفاته ونوعه وأثره ويتحدث ابن خاتمه الأنصاري عن إحدى المغنيات واصفاً صوتها الأغن المتميز قائلاً:

غناء مغنية بحسن غناها عن لذة المغني وطيب الألف

إن تنشد فالأسماع رهن نشوف أو تبد فالأبصار رهن توقف [1]

ويلاحظ كثرة الحديث عن سحر العيون إذ (إن الشعراء راوا في عيون المرأة فتنة تشدهم وسحراً يملك عليهم اللب والفؤاد وجعلها بعضهم أشد فتكاً بالعشاق) ويذكر ابن الجباب أن المحبوبة سطت على قلبه بتلك النظرات الساحرة التي ترميها من عينيها الفائرتين، والتي هي أسلحة فتاكة لا يستطيع مقاومتها أو الرد عليها:

[1]. ديوان إبن خاتمه الأنصارى. ص (5،8)

سلطان حسن على الأملاك منصور سل السيوف وهن الاعين الحور

فبايع القلب عن طوع وماهو في تلك الإبانه منهي ومامور [1]

وقد تعرض ابن زمرك لوصف بعض محاسن المرأة، ووصفها وصفا يذكر على الفور بأوصاف القدماء، فتحدث عن غنج اللحاظ، وسلاقة الرضاب وشهدة، وذكر سهام الجفون ورشاقة القد، وغير ذلك من التعأبير التقليدية كقوله:

فطعنن من قد القوم بأسمر ورميت من غنج اللحاظ بأسهم [2]

وقد تحدث إبن حزم في كتابه طوق الحمامة عن أثر النظرة الأولى فقال: (وكثير ما يكون لصوق بالقلب من نظرة واحدة)[3]

وما كان يزيد المرأة جمالاً وقرباً هو خجلها، حيث أحب العرب المرأة الخجولة، كقول ابن خاتمه فقد رسم صورة للمحبوبة وقد كشفت عن وجهها واستأنست بعد حياء وخجل قائلاً:

جلن عن حجأبي خجلة وتنقب كما لاح بدر عن سحاب وغيهب

ووصف البسطي محبوبته وصفاً جميلاً:

لم أنس يوم وصاله وقد اكتسي خده من فرط الحياء خماراً [4]

وقد أحب الأندلسيون الجميلة صاحبة الرائحة الطيبة إذ يبالغ ابن فركون في حديثه عن طيب رائحة المحبوبة، فلو أعارت رائحتها للنسيم لأصبح ينضوع طيباً ورقة:

لو أعرب القبول عرفاً وطيباً لم يهب النسيم إلا بلبلاً [5]

ولم ينس الشعراء عواطف المرأة ومشاعرها، بل صوروا مشاعر المحبوبة نحوهم ورغبتها في الوصال، واسبغوا عليها صفة الوفاء والإخلاص، وحفظ الود والعهد، بل أشادوا بهذه الصفات وحفظوا لها إخلاصها ووفاءها.[6]

ويصف لنا ابن الخطيب محبوبته، وقد أفناها الحب، فهي تبكي بكاءاً مراً ساعة الوداع، وتؤكد له حبها ووفاءها وتعترف له بأنها لاتقدر على بعاده لأنها ترى سعادتها وصفاء عيشها في قربها ممن تحب فيقول:

فما ذقت أشهي من مشاهدة النوى وأعظم من بين الحبيب المودع

ولم أنس إذ عانقتها لوداعنا فخالط العقد جوهر ادمعي

تمسح باليمني دموع جفونها وتجعل يسرى فوق قلب مروع

فإن غبت غاب الأنس عني بأسره ومإلى من عيش إذا لم تكن معي [7]

---

1. ديوان ابن الجياب / تح: مشهور عبدالله (1983)، ص (18)
2. ديوان ابن زمرك، ص (91)
3. ابن حزم طوق الحمامة، ص (89)
4. ديوان عبدالكريم القيسى. ص (25)
5. ديوان ابن فركون ص (160)
6. صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر / لحمزة عبدالهادي ص (69).
7. الصيب والجهام، ص (617)

المطلب الثالث

لباس المرأة وزينتها

اهتمت المرأة الأندلسية بأمور زينتها أو جمالها، لكى تبقي محل اهتمام الرجل، ولتظهر أمامه بأحسن مظهر وأكمل صورة، ولاشك في أن التجمل ليس وقفاً على المرأة الأندلسية بل أنه شأن المرأة في كافة العصور.

وقد أشار شعراء هذه الفترة إلى الأصباغ التي كانت تستخدمها المرأة في زينتها من حلي وعطر وثياب وفتنوا بها، ولا سيما أن معظمهم كانوا من الطبقة الخاصة، وعاشوا في أكناف القصور، وفي ظل ترف ونعمة، فبدت المرأ' في أشعارهم، منعمة مترفة.

وكانت الحلي أول اهتمامات المرأة الغرناطية، ولا سيما المرأة المترفة، حيث فمن بارتداء المجوهرات من أساور ودماج وهو المعض أو السور الذى يجعل في العض، وخواتم وقلائد وخلاخيل وأقراط وتيجان، ولذلك كثر الشعراء على ماكانت تستعمل المرأة من أصناف الحلي، وذكروا أنماط متعددة لها. وكان ابن الخطيب أكثر شعراء عصره احتفاء بها، فهو بذلك أكثر وفاءً وتجاوباً مع حضاره عصره احتفاء بها، فهو بذلك أكثر وفاءً وتجاوباً مع حضارة عصره، فقد حدثنا عن إهتمام المرأة في عصره بزينتها وحليها – كما ذكرنا آنفاً – نجده يعكس هذه المظاهر الحضارية في شعره فيقول:

ونلثم مأبين النحور إلى الطلى ** وان هي غصت بالحلى والقلائد [1]

فإبن الخطيب عاش في قصر الحميراء حياة ناعمة مترفة، فلابد من أن يترك هذا الأفق السلطاني الذى عاش في كنفه أثراً كبيراً في شعره، فراح يصوغ من ذهب القصر ولؤلؤ الثراء ودر الغنى، صوراً تبهج النفوس والمرأة التي يتحدث عنها يوسف الثالث منعمة مترفة تتأنق في زينتها واختيار حليها، كما أنها عريقة الأصل شريفة في نسبها:

عقيلة خدر من ذوابة غالب *** لها النجم شنف والجبين هو البدر [2]

وعلى النقيض الآخر هناك من الشعراء من اعتبر أن جمال الوجه والجسم هو الجمال الحقيقي معتبرين أن الحلى صور ثانوية، فيخبرنا أن الله قد خص محبوبته بحسن فريد بين الناس، بحيث أنها عاطلة من الحلى، فجمالها الباهر يغني عن الزينة والتبرج فيقول:

ما زهرة الدنيا سوى زهرة أطلعها الحسن على غصن

زهر لمن شم وغصن لمن صم، وتفاح لمن يجني

---

1. اللمحة البدرية: للسان الدين بن الخطيب. ص (41)
2. ديوان الملك بن يوسف، ص (63)

عاطلة قد غنيت عن حلى بما بمزاها من الحسن

لو نعت الناعت شمس الضحى ماخلته عن غيرها يكني

قد نظم الحسن بها شملة كأنها حوراء من عدن [1]

وكانت الثياب أحد جوانب المرأة من خلال تصاميمها وأشكالها وألوانها، وساهم التقدم الحضارة الذى عاشه المجتمع قي توفير كل ما تحتاج إليه المرأة من أجود أنواع الأقمشة، فكانت تلبس الحلل الفاخرة المزركشة، وتستعمل الوشاح، وقد صوروا الشعراء هذا الجانب فوصفوا الألوان والنقوش والأشكال ومدى تأثير ذلك على نفوسهم فيصف يوسف الثالث اللون الغالب على ملابس صاحبته وهو اللون الأحمر قائلاً:

تالله ما أهوى سوى قمرٍ متورد الجلباب والخد [2]

فالمرأة في العصر الأندلسى، كانت تستعمل القناع، وهو كالخمار يكون على الرأس، ثم تسدل المرأة بعضه على جزء من الوجه، إذا احتاجت إلى ذلك، وهذا القناع كان منسوجاً من الذهب الخالص، مما يدل على ترف صاحبته، فيقول البسطي:

تردى رداءً الحسن برداً مقوقاً فمالت له بالحب مني الجوارح [3]

وإلى جانب جمالها وترفها اهتمت المرأة الغرناطية بطيبها وعطرها، حتى اصبح جانباً من شخصيتها، وجعل الشعراء الطيب جزءاً من ها، فأضفت إلى جمالها جمالاً آخر.

فأحب ابن فركون المرأة الجميلة صاحبة الرائحة الطيبة:

إذا لها بهجة وحسن عجيب وجمال بادٍ وعرف وطيب

المبحث الثاني

[1]. ديوان ابن خاتمة الأنصاري. ص (78)

[2]. د يوان الملك يوسف الثالث. ص (45)

[3]. ديوان عبدالكريم القيسي ص 140 / يقال مقوقة، وتقويضها لينة من ذهب واخرى من فضة، والمفوف الذى فيه خطوط علي الطول (انظر لسان العرب)

صورة المرأة الخاصة في الشعر الأندلسي

المطلب الأول:

صورة الزوجة والزوج:

كرم الإسلام الزوجة تكريما لم تعرفه الديانات الأخرى والأنظمة الحديثة التى تدعى المحافظة على حقوق المرأة، فكرم الإسلام الزوجة وأعلى من شانها، وميز مركزها، فالمرأة والرجل كلاهما من معدن واحد وهما متساويان في المنشأة فلا ينبغي أن يتبابنا، وقد ضمن الإسلام للمرأة حقوقها من إرث وزوج وغيرها وكرمها مثلها مثل الرجل، ولا نقول تماماً ذلك (لأن الله فضل الرجال على النساء، على سبيل المثال فضلهم في الشهادة والزواج بأربع، والميراث والطلاق والرجعة والأنتساب)1

وللمرأة في الإسلام حق التملك والإجارة والبيع والشراء وسائر العقود، ولها حق التعلم والتعلم، بما لايخالف دينها بل إن من العلم ماهو فرض عين يأثم تاركه ذكراً ام انثي بل إن لها ما للرجال غلا بما تختص به دون الرجال، أوبما يختصون به من دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كلا منها.

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها ويحفظ كرامتها ويحميها من الألسنة البذئية، وأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج والأختلاط بالرجال الأجانب، ومن إكرام الإسلام لها أن أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها. بل ومن المحاسن أيضاً ان اباح للزوجين أن نهي ان يضرب زوجته بلامسوغ.

وقد سن الإسلام أحكاماً للزوج والطلاق وتعدد الزوجات لكن بنظرة قائمة على الرحمة والمودة. ولهذا وجه ابن الجياب عدة أبيات إلى أحد اصحابه بمناسبة زواجه ثانية، مبيناً أن الإسلام احل للمسلمين الزواج مثني وثلاث ورباع فيقول:

قصربي في الفعل والقول عن واجبك المحتوم بيعي القصير
فإن تلم فاللوم حقي إن اوسعتي عذاراً ففضل كبير
ثلث وربع لاتخف عيلة يكفيفا الله وفضل الوزير 2

فنظام تعدد الزوجات مألوف عند العرب، وكان أسلافنا يمارسونه قبل الإسلام، وظلوا يمارسونه على وفق التشريع بعد ظهوره. وقد شاعت ظاهرة الطلاق في الأندلس كما في غيره من البلدان وهو تنازل الرجل عن حقوقه التي على الزوجة كافة وينفرد الزوج دائماً بحق الطلاق إلا في حالات استثنائية نادرة.3

المطلب الثاني

صورة الابنـة

---

1. الأسرة والمرأة، صلاح الدين الناهي، بغداد، شركة الطبع والنشر الأهلية –(1985)
2. ديوان ابن الجياب، لابوالحسن بن الجياب، تح: مشهور بن عبدالرحمن الحيازي، 1983 ص (261)
3. المرأة عبر التاريخ. مونيك بيتر. ترجمة هنرييت عبودى، بيروت دار الطليعة. 1979

اظهر الشعر الأندلسي قوة العلاقة وعمقها بين الأب وابنته، فقد ظهرت الابنة في مظهر المحبة لوالدها المتعلقة به، وظهر الوالد كذلك محبا لها مشفقا عليها من كل ما يمكن أن يسبب لها الأذى سواء في حال وجوده أو بعد موته ففكرة أن البنات الأكثر تاثيراً في نفس الوالد فكرة متوراثة في شعرنا.[1]

ومن مظاهر حب الاب لابنته ذكرها في شعره، ولكنه قليل ونادر، وذلك لوجود الاضطرابات السياسية التي شهدتها الأندلس آنذاك، ولكن شعر الذكور كان كثيراً، وذلك لأن فرحتهم بالملود الذكر أكثر منها من الأنثي، ولحاجتهم إلى من يقف في وجه تهديدات النصارى.

فكانت البنت في نظرهم عنصر الضعف في الأسرة، وذلك خوفاً من انتهاك حرمتها فيما لو احتلوا من قبل العدو، وعلى الرغم من هذا كله، فأبن فركون يهنئ السلطان يوسف الثالث ببنت ولدت فيقول:

هنيئاً هنيئاً إمام الهدى وغوث الوجود وغيث الندى
وبشرى بوافده قد أتت لها شرف حاز أقصى مدى
لقد طلعت هذه عندما رأت سيفه في الثرى أغمد ا
فايمت وأسعد بها طلعة وأعظم وأكرم به مولداً[2]

المطلب الثالث
صـورة الحبيبـة

[1]. صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر / بحمزة محمد عبدالهادى / ص (87)
[2]. الطيب والجهام ص (579)

اهتم الشاعر الأندلسي بذكر حبيبته في شعره، لدرجة أن ماقيل فيها يتجاوز كثيراً ما قيل في الأم او الزوجة أو البنت، فقد وجد والشعراء بفراقهم للحبيبة أنهم حرموا الحياة الهانئة بقربها، لانها عندما ترحل تحمل معها زينة الحياة الهانئة بقربها منه تمنحه ذلك، فكانت الحبيبة بذلك موضع حرمانه وشكواه، فيقول ابن الخطيب من قصيدة له، واصفاً ما يقاسيه من حرارة الشوق ومرارة الحرمان:

مالقلبي إذا هفا البرق حنا وصبا للنسيم من ارض لبني

وإذا ما الظلام حل غراه عايد الشوق والغرام فجنا [1]

ويصور ابن خاتمه هلع قلبه وقلة حيلته وضعف وسيلته عند فراق من أحب، فتمني الموت حلاً لما هو فيه فيقول:

تعشقت في قوم غراب فودعوا فيإلبتني ميت ولم أتعشق

ويإلبت عيني إذ رأتهم تعلقت واهم ولو بالبارق المتألق [2]

ولقد لجأ الشعراء المحبون إلى أرسال الرسائل إلى حبيباتهم لعلهم يظفرون منهن برد يخفف عنهم مرارة الفراق، فقد انتشرت هذه الظاهرة بين شعراء العصر الغرناطى، وكان أكثر وضوحاً وشيوعاً في غزل الشاعر الملك يوسف الثالث ورسائله التي وجهها إلى محبوبته وهي تعكس صدق عواطفهم وترصد إنفعالات، فهوفي هذه الرسالة يبوح لمحبوبته بالعشق:

كتاب محب ناحل الجسم مدنف يروح ويغدو هائم القلب متعبا

تذكر وصلاً قد تصرم عهده وحبل هوى بعد الفراق تقضها

ألم يان بأن المشتاق ان يبلغ المني فيسهل من أمر الهوى ما تصعبا

عليك سلام الله من ذي علاقة يحبك ماغني الحمام فأطربا [3]

وليس هؤلاء الشعراء في ركاب القدامي حين يستخدم الرياح وسيلة للارسال والاستقبال، وإيصال الرسائل واستلامها فإبن الخطيب يحمل الريح المتجهة صوب الديار الحبيبة أخباره وتحياته المفعمة بالشوق والحنين فيقول:

يانسيم الريح بلغ خبرى إن اتيت الربع أو جئت حماه

واقر أحبأبي سلامي بعدأن تبدأ الربع بتقبيل ثراه [4]

وينتظر ابن فركون أن تبعث المحبوبة سلاماً مع الريح لعله يشعر بالطمانينة والرحة فيقول متمنياً:

واليتها تهدى سلاماً مع الصبا لينفع جمره قد تضرما [5]

المبحث الأول

1. الصيب والجهام ص(595)
2. ديوان ابن خاتمه الأنصارى. ص (84)
3. ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث
4. الصيب والجهام، ص (655)
5. ديوان ابن الخاتمة الأنصاري. ص (68-69)

الدراسة الفنية للشعر الأندلسي عامة

المطلب الأول: بناء القصيدة:

حاول النقاد القدامى تحديد طبيعة البناء الفني للقصيدة العربية واتضح من رأي حازم القرطاجني أن لها أربع مراحل:

1- مرحلة التفكير والإعداد 2- مرحلة الشرع والنظم

3- مرحلة التأليف والتنسيق 4- مرحلة التنقيح[1]

وأشاد المحدثون بتلك المراحل وقسموها إلى مرحلة االإستعداد والتصريح والتبلور ونسج الفكرة وتفصيلها.[2]

وأشار الدكتور دفع الله الأمين يوسف إلى ثلاثة مواقف هي الأساس في جودة القصيدة وسلاستها وهذه المواقف هي:

1. موقف المبدع المسبوق بنماذج رائعة.
2. موقف المتلقي للشعر حيث الأصالة والجودة.
3. موقف إحساس الشاعر بما يعيشة[3].

وطالما وردت عظمة الذكرى فلا بد للوقوف وقفة إجلال وإكبار لهذا العالم الجليل له الرحمة والواسعة بقدر ما أثرى وقدم فقد كان بحراً يزخر بالكلم إرتجالاً دون عناء أو تعسف أميناً على نشء علمهم معنى الوفاء شموخاً وكرماً وعزة وإعتداداً بالنفس. فالمصادر والمراجع قد سجلت على صفحاتها بصماته الغراء وربطت حبل العشق بينهما في محبة وإخلاص ووفاء.

وأشار سويف إلى أن معظم القصائدتظهر دون مقدمات فتمثل فى القصائد التى يفيض بها الخاطر، والمكان الخالى يساعد على بروز بناء القصيدة والمشاهدات والاطلاعات التي تحدث في حياة الشاعر لها صلة وثيقة بالنظم فتمتد صورة حياته أمامه يمثلها أو يتخيلها إلى أن ينتهي المطلع وتنتهي مراحل إبداعه.[4]

إن الحديث عن البناء الفني للقصيدة في تراثنا الفني يدعونا أن نتسائل هل تجددت بنية القصيدة العربية أم ظلت ترزخ في قيود التقليد والمحافظة.

1 - منهج البلغاء وسراج الأدباء – حازم القرطاجني / ت: محمد الحبيب الحوفي / دار الكتب الشرقية – تونس/ ص 204.
2 - الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر خاصة / لمصطفى يوسف / دار المعارف – مصر ط2 / ص 287.
3 - نظرية التجربة الفنية في النقد الأدبي / لدفع الله الأمين يوسف / رسالة ماجستير / ص 8.
4 - الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر الخاصة / لمصطفي يوسف / ص 250.

والمعروف عن الشعر الجاهلي أنه قد ظل ملائماً لذوق العصور المتأخرة وهو أصل من أصول اللغة ومرجع من أهم مراجعها وقد نُظم في أغراض معينة وبين قوم بلغت بهم الحضارة نمطاً محدوداً.[1]

والأمة العربية لم تبق على حالها كما كان في العصر الجاهلي وتغيرت كافة الظروف والأحوال التي كونت ذلك العصر، وقد وجب أن يتغير الشعر بتغيرها فيتبعه تجديد في بنيتها وخرج من التقليد والمحافظة، ولنذكر بعضاً من الشعر الجاهلي مكتفين بإيراد مطلع القصائد، فقال الكلبي أن أول من بكى على الديار إمرؤ القيس، وهو أول من ذكر الكر والفر والطل وهو القائل:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ *** بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ[2]

فهو إحساس صادق يحس به من وقف على الديار وبكى فإن رؤيته لتلك الديار تهيج فيه لواعج الشوق وتجعله يتلفت حوليه فيرى أحبابه قد إرتحلوا فيسأل الديار عنهم، كأنها تجيبه بأن أحبابه قد غادروها وأحصوا في بعد فارتحلوا وهو يتبعهم بقلبه وبعينه. وللنقاد مقاييس إنسانية وهي التي ينتزعها الناقد من طبائع النفوس فيجزون من أقوال الشعر ما يلائمه ويرفضون ما ينافيها.[3]

لذلك عابوا على المتنبي قوله:

بليت بلى الأطلال إن لم أقفُ بها *** وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

وبأنه أراد المبالغة في طول الوقوف فبالغ في تقصيره.[4]

وعابوا على أبي تمام قوله:

دعا شوقه يا ناصر لشوق دعوة *** فلباه طل والدمع يجري ووابله[5]

واهتم نقاد العربية الأوائل ببناء القصيدة من مطلع وتلخيص وخاتمة وبناء المقدمة الطليه من موضوع واحد. وسنتناول بالتفصيل والأيضاًح البناء الفني للقصيدة الأندلسية من حيث الوحدات الثلاثة:

1/ المطالع:

أورد صاحب الصناعتين قول القدماء (أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن مثل دلائل البيان).[6]

ولقد إهتم الشعراء القدماء بمطالع قصائدهم؛ لأن المطلع أو ما يقع في السمع، فإذا كان بارعاً أيقظ النفس وكان داعياً إلى الاستماع إلى ما بعده، يقول ابن قتيبة: (وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن

1 - أصول النقد الأدبي – لأحمد شايس – ص 400.
2 - شرح المعلقات السبع / للزوزني / دار إحياء العلوم / بيروت / ص 85.
3 - نقد الشعر / لقدامي بن جعفر / ت: محمد عبدالمنعم خفاجة / مكتبة الكليات الأزهرية / ص 50.
4 - أصول النقد الأدبي / لأحمد شايب / مكتبة النهضة المصرية / ط 2 / ص 346.
5 - نفس الصفحة والمرجع السابق.
6 - قضايا النقد القديم / محمد حايل حمدان وعبد المعطي نمر ومعاذ السرطاوي/ ط 1/ 1990م / دار النشر الأردن / ص 71 / نقلاً عن الصناعتين ص (431).

مقصد القصيد إنها إبتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار فبكى وشكى، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين).[1]

ولقد رأى ابن قتيبة في المطلع سبباً ينفذ منه الشاعر إلى معنى أخر يطرقه عبر قصيدته. وقد حدد النقاد القدامى معايير المطلع وهي:

أ- أن يكون المطلع مطابقاً ومناسباً للموقف، ولذا عاب النقاد على الشاعر ذي الرمة مطلع قصيدته التي مدح بها الخليفة عبد الملك إذ قال:

ما بال عينيك منها الدمع ينسكب *** كأنه من كلى مُغْرِيةً سَرِب

واتهمه بفساد الذوق، لأن بدايته بالدمع المنسكب والكلى المغرية وهذا القول لا يتناسب مع الموقف وهو مدح الخليفة. فالشعر قفل أوله مفتاحه ولا بد للشاعر أن يجود ابتداء شعره ولكي يكون الشعر ممتازاً على الشعراء أن يحسنوا في ابتداءات قصائدهم لأنهن دلائل البيان.[2]

وقد وضع ابن الأثير النقط على الحروف حين وضع الحدود التي يجب على الشاعر إتباعها في بدء قصائده بقوله: (يجب على الشاعر إذا نظم قصيدة أن ينظر، فإذا كان مديحاً صرفاً لا يختص بحادثة من الحوادث، فهو مخير بين أن يتفتتحها بغزل أولاً، أما إذا كانت في حادثة من الحوادث كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي الابتداء بالغزل لأن هذا يدل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه لأن الأسماع تكون متطلعة إلى ما يقال في تلك الحوادث).[3] بينما حدد ابن الأثير الطريقة التي يفتتح بها الشاعر قصيدته إذا بالرندي يفصل تلك مركزاً على المعاني والألفاظ بقوله: (ينبغي أن يكون الابتداء مع اللفظ الرائق والمعنى الفائق وأن يفتتح بالجمل الابتدائية والفعليه والنداء والإستفهام ونحوه، مما له صدر في الكلام، والأحسن أن يكون الابتداء مما يجري مجرى المثل، وعنده أن المقصود بحسن الابتداء السطر الأول والثاني).[4]

وقد التزم معظم شعراء الأندلس وشاعراتها في معظم حالته بالمنهج الذي ارتضاه النقاد، وسار على نهجه معظم الشعراء العرب وتخلصوا إلى حد ما من المقدمات الغزلية، وخاصة في القصائد التي تناولت وصف المعارك الحربية كقصيدة ابن خفاجة بلنسيه، فقد بدأها بمطلع جيد يقول فيه:

الأن سحَّ غمام النصرِ فانهملا *** وقام صفوُ عمود الدين فاعتدلا [5]

1 - المرجع السابق / نقلاً عن المثل السائر 226.
2 - العمدة في صناعة الشعر ونقده / لإبن رشيق القيرواني / ت: محمد محي الدين / ط القاهرة / ص 218.
3 - الصناعتين / لأبي هلال / ص 86.
4 - المثل السائر / لإبن الأثير / ص 76.
5 - ديوان إبن خفاجة الأندلسي / ص 208.

وابن خفاجة بهذه البداية، وصل إلى غرضه مباشرة دون قفاء أو خروج عن الموضوع، فلذلك عد هذا المطلع من أحسن مطالعه. وكقول – ابن الآبار– مستنجداً بصاحب (افريقية) لإنقاذ الأأندلس من الضياع:

أدرك بخيلك خيلُ الله أندلساً *** إن السبيل إلى منجاتها درساً[1]

فالقصيدتان خلتا من المقدمات الغزلية، وذلك إلتزاماً بما إرتضاه النقاد.

وكقول ابن سهم الإسرائيلي في رائيته التي يستنهض بها همم الأندلسيين والإستنجاد بهم لدرء الحظر بدأها بقوله:

نادى الجهاد بكم لنصر مضمر *** يبدو لكم بين القنا والضمر [2]

وقد إختارت المرأة الأندلسية أن تقتدم بكبار شعراء زمانها واختارت مقدمة قصائدها والتي غلب عليها رقة الشعر وعذوبته. وها هي نزهون القرناطية تصف ليلة جمعت في قصيدتها المناظرة والمحاضرة والقول الفني الذي اختارت له قوالب المعاني وإختارت مطلعاً مباشراً من محيط نشأتها والمجتمع الذي وضعت نفسها فيه، فقالت تصف تلك الليلة:

لله در الليالي ما احيسنها *** وما أحسن منها ليلة الأحدِ

ومما لا شك فيه أن هذا الجانب الذي يعتبر مشرقاً في شعر نزهون يجل على موهبة خصبة نراها في موضع ترد على المخزومي السليط اللسان الذي قد أفحش في هجائها فاختارت مقدمة لقصيدتها هي في جملتها من سمات الهجاء والأبيات قد وردت في موضع أخر. وفيها تقول نزهون:

إن كان ما قلت حقاً *** من بعض عهد كريم

فصار ذكرى ذميماً *** يعزي إلى كل لوم

وصرت أقبح شيءٍ *** منصورة المخزومي [3]

وهناك شاعرة تدعى قسمونة وهي فتاة يهودية قاست من الوحدة وانعدام القرين مع جمال الشباب، ونظرت في المرأة يوماً وهي في شرخ شبابها ولم تتزوج بعد فحزنت على زمان مضى فصدرت قصيدتها بمقدمة تعبر عن إحساس بالحرمان فأنشدت تقول:

أرى روضة قد حان منها اقتطافها *** ولست أرى جان يمد لها يداً[4]

2/ حسن التخلص:

1 - ديوان إن سهل الأندلسي / لإحسان عباس / ص 130
2 - يتيمة الدهر / للتعالبي / ج 3 / ص 438.
3 - الإحاطة / ص 225.
4 - الذخيرة / ج 1 / ص 145.

أصبح حسن التخلص من موضوع إلى أخر، واحداً وسيلة من وسائل بناء القصيدة الفني ووحدتها في الشعر العربي، ومن معانيه أن يأخذ المؤلف الكلام في معنى من المعاني، بينما هو فيه إذا أخذ في معنى أخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه فيكون بعضه أخذ برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً أخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً وحدد ابن قتيبة أضرب الشعر وجعلها أربعة ضرب، أجاد لفظه وأجاد معناه، وقصر لفظه.

غير أن بعض الشعراء لم يحسنوا ذلك وانتقلوا من غرض إلى أخر دون الاهتمام بحسن النسق وصحته وتلاحم الألفاظ والعبارات والتلاؤم بين تلك المقاصد، والشعراء الأقدمون أحسن تخلصاً من المتقدمين وقد كان شعراء الأندلس أحياناً يحسنون التخلص من حيث يبدؤون قصائدهم بالنسيب، فابن زيدون حينما فارق قرطبة وحبه إليأس فيه إلى إشبيلية ونزل بساحة المعتمد ملكها فقربه منه بل جعله وزيراً وأغدق عليه من رضاه وإحسانه وجعله يلهج بالشكر والثناء عليه بال بالمحبة والإخلاص له، فقد رفعه إلى مكان أعلى لا تتطاول إليه الأعناق ووفاء بهذا الصنيع كان ابن زيدون يدمج فيه مدائحه ويذيعها في المناسبات المختلفة حين ينتصر على أعداءه وقد بلغ الغاية فيها من حيث السبك والتجويد، وقد بدأها بالنسيب وأجاد فيها حسن التخلص.[1]

فالشاعر الأندلسي إذا أراد بناء قصيدة مهد للمعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكرة وأعد له من الألفاظ التي تلائمه وتطابقه، والقوافي التي توافقه والوزن الذي يكون سهلاً عليه فإذا اتفق عليه بين ليشاكل المعنى الذي يرويه أثبته وأعمل فكرة في شغل القوافي بما تقتضيه المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنن القول منه، بل يطلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين قبله الذي أكملت المعاني، وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها ومسلكاً وسلكاً جامعاً تفرق فيها ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بالغاتهم وتصرفهم في إمكانياتهم.[2]

وكان الاهتمام بمراعاة التخلص يدفع الشعراء إلى البحث عن سلامة النظم قيما بعد إلى العبارة الشعرية ليكون موقع الكلمة إلى جنب أختها والبيت إلى لفقه، والمقصد إلى ما يلائمه وهو ما أشار إليه الجاحظ بالإفراغ الواحد والسبك الواحد.[3] وأطلق عليه إبن طباطبا الرصف الحسن وعرف عند البلاغيين بصحة النسق، الذي يهتم بتلاحم الأجزاء والألفاظ والعبارات.[4]

1 - المثل السائر / لإبن أثير / ص 123.
2 - من عيار الشعر / لإبن طباطبا محمد بن أحمد العلوي / ت: عباس عبد الستار / بيروت – 1402 ه/1982م/ ص 11 – 13.
3 - البيان والتبيين / للجاحظ / ج 1 / ص 67.
4 - سر الفصاحة / ص 253.

وأفرد أبو هلال العسكري في الباب العاشر من كتاب الصناعتين فصلاً تحدث فيه عن الخروج من النسيب إلى المدح وغيره، ورأى أن المحدثين قد برعوا في ذلك أكثر من المتقدمين.[1] ولهذا كانت محاسن الكلام عند عبد القاصر الجرجاني تعرض بحسب المعاني والأغراض التي يوضح لها الكلام ثم يحسب موضع بعضها من بعض.[2]

لذا كان البحث في نظام الشعر يحاول أن يوصل مبدأ التلاحم بين المعاني الجزئية، ومناسبة ذلك للمعنى العام، فالقضية ليست مجرد إحكام الرابط بين الأجزاء وإنما تتعدى ذلك إلى عملية تفاعل الأجزاء بتأثير بعضها في بعض، وهذه المرحلة من التلاحم تتم في عملية أشبه بصهر مجموع المعادن وإتحادها في معدن واحد، يقول الجاحظ: (أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً).[3]

ومن القصائد التي يبدو فيها حسن التخلص واضحاً قصيدة ابن زيدون في مدح ابن عباد، فإنه بدأ مدحه بالنسيب قائلاً:

أما فنسيم الريح عَرفٌ مُصرفُ *** لناهل لذات الوقف بالجْزعِ موقفُ

فنقضي أوطارَ المنى من زيارةٍ *** لنا كَلَفٌ منها بما تتكّلفُ

ضمانٌ علينا ان تُزار ودونها *** رقاقُ الظبا والسهريٌ المثقف

والقصيدة طويلة تربو عن السبعين بيتاً، فقد أطال في المقدمة ثم تخلص بعد تسعة عشر بيتاً إلى الغرض الأساس من القصيدة وهو التهنئة وقد نجح في ذلك، وله قصيدة أخرى ميمية تغزل فيها ثم تخلص إلى مدح أبي بكر الأسلمي، ومزج ذلك بالشكوى من الشيب والزمن فقال:

أما وزمان مضى عهده حميداً *** لقد جار لما حكمْ

قضى بالصبابة لما انقضى *** وما اتصل الود حتى إنصرمْ

ليالي نامت عيون الوشاة *** عيناً وعين الرضا لم تنمْ

ومالت علينا غصون الهوى *** فاجنت ثمار المنى من أحمْ

وأيامنا مذهبات البرود *** وفاق الحواشي صوافي الأدمْ[4]

وبعد أن تغزل في ميميته السابقة مدح ذلك بالشكوى من الشيب والمرض وتخلص إلى مدحه تخلصاً حسناً في قوله:

---

1 - الصناعتين / لأبي هلال العسكري / ص 365.

2- دلائل الإعجاز / لعبد القاصر الجرجاني / ص 87

3- البيان والتبيين / للجاحظ / ج 1 / ص 67

4- ابن زيدون / لشوقي ضيف / ص 80

وبياض العيش مقترن *** بسواد القدر والهممِ

لا لعمر المجد والكرم *** صفاء السيف والقلمِ

قسماً براً يشفعه *** قسم أرعاه من قسمِ

لا ينال الدهر من جهتي *** وبإبراهيم معتصمي

الإمام المستقل به *** ركن بين الفضل والكرم[1]

ومن الشعراء الذين ابدعوا في حسن التخلص ابن دراج القسطلي الذي بدأ قصيدته التي مدح بها المنصر بمقدمة لمنزله، ثم برع في تخليص قصيدته فبين العلاقات الواضحة من موقع البيت بما يماثله، وقرب بين أحداثه في ترابط وثيق، وذلك حينما قال:

أضاء لها فجر النهى فنهاها *** عن الدنق المضني بحر هواها

وضللها صبح جلابيب الدجى *** وقد كان يهديها إلى دجاها[2]

كان ابن زيدون صديقاً لإبن الوليد جهور، فلما توفى أبوه سنة (435)هـ واعتل عرش قرطبة من بعده، ابتهج قلب الشاعر وأحس كأن الدنيا تدق بشائرها من حوله، فنظم هذه القصيدة يعبر عن فرحة نفسه، وقد عاوده ذكرى ولادة فاجتمعت النشوتان، فبعد ان ذكر محبوبته ولادة، تخلص إلى مدح الأمير والقصيدة هي:

ما للمدام تُديرها عيناك *** فميلُ في سكر الصبا عِطفاكِ

هلا مزجتِ لعاشقيك سلافها *** ببرودِ ظلمك أو بعذبِ لماكِ

ويستطرد في القصيدة إلى أن يصل لقوله:

أما مُنى النفس فأنت جميعها *** يا ليتني أصبحت بعض مناكِ

ثم تخلص إلى الغرض من القصيدة، وهو المدح فقال:

ملكٌ يسوسُ الدهر منه مهذبٌ *** تدبيره الملك خير ملاكِ

شمس النهار وبدره ونجومه *** أبناؤه م فرقدٍ وسماكِ[3]

أما الشاعرة الأندلسية فأضافت بعداً جديداً في بناء القصيدة، وامتلكت القدرة الفنية، فالأفكار عندها تتعانق لتحقق غايتها، فهي تسمو بفنها في الأفق الأعلى، وكلما تخلصت من فكرة جعلتها تتشبث بقوائم الأخرى في أبهى آثر وأرق معنى، وهكذا استطاعت المرأة الأندلسية أن تحقق كياناً عفوياً تسيطر عليه عاطفة قوية منتشرة في كل أجزاء القصيدة.

1- نفس المصدر السابق والصفحة

2- ديوان ابن دراج القسطلي / ص 10

3- أبن زيدوم / احمد شوقي / ص 81

ومن حسن التخلص أبيات حفصة بنت الحاج، التي بعثت بها إلى ابن جعفر على عادة التراسل بينهما شعراً، وفيها تقول:

أزورك أم تزور فإن قلبي *** إلى ما تشتهي أبداً يميلُ

وقد أملت أن تظمي وتضحي *** إذا وافى إليك بي المقيل

فثغري مورد عذبٌ زلال *** وفرع ذوائبي ظل ظليل

فعجل بالجواب فمل جميل *** إباؤك عن بثينة يا جميل

البيت الأول قد نسب إلى ولادة في النفح والمغرب وغيرها من المصادر الأخرى.[1]

فهذا لون جديد كل الجدة من شعر المرأة، ومسلك جديد في دنيا الشعر، لقد وضعت من تخاطبه موضع التخيير أزورك أم تزور ثم انتقلت إلى لون أخر من الإغراء، ووصف ثغرها وجمالها ثم عمدت إلى صيغة إيقاعية من الشعر وشتها بالتورية اللطيفة في مخاطبة صاحبها بـ (جميل).

ومن هذا المنطلق يجدر بنا أن نشير إلى سؤال ألا وهو: هل استطاع شعراء الأندلس وشاعراتها أن يقدموا قصائد تتوفر فيها الوحدة الفنية والبناء التام للقصيدة الأندلسية من حيث الاستهلاك والتخلص والخاتمة بهذا المفهوم؟. الإجابة عن ذلك تكمن في تلك الشذرات التي اقتطفناها من دوواين بعض الشعراء فقد صدقوا في هذا المفهوم، وفازوا بالسبق على غيرهم.

[1]- نفح الطيب / للمقري / ط 4 / ص 186

المطلب الثاني

اللغة والألفاظ والأساليب

جاء في نفح الطيب أن اللغة الشاعرة فن دقيق التنظيم كامل الإدارة مطبوع لا كلفة فيه على قائل ذي مقدرة على التعبير له نصيب من الشاعرية والملكة الفنية ولا خير للفن في كلام يقوله من يعجز عن هذا القدر من السليقة الشاعرية والملكة الفنية.

ومن قول ابن هذيل التميمي وقد كان شاعراً كفيفاً وهو أستاذ للرمادي يوسف بن هارون:[1]

إني حبستُ على قلبي يدي بيدي *** وصحت في الليلة الظلماء واكيدي

ضجت كواكب ليلي في مطالعها *** وذابت الصخرة الصماء من كبد.

ولعل المعنى متفق مع قول أبي الحسن الهمزاني، والذي يقول:

مددتُ إلى الوداع يداً وأخرى *** حبستُ بها الحياة على فؤادي

فهؤلاء الشعراء قد أبكتهم الربوع والطلول وأظهروا المكنونة على الأحبة فسكنت الجوانح والضلوع وهاجت الأشواق وأصبحت القلوب في قلق.

إن نظرة عابرة لبعض الأبيات من قصائد الشعراء المختلفة كفيلة بأن تطلعنا على مدى موهبة الشعراء الفنية وإبداعاتهم في مجال اللغة والألفاظ والأساليب.

وأكثر الشعراء أكسبتهم الحياة موهبة في نظم الشعر وتفسير ما عمق من الأسرار، فنثروا حكمهم درراً وصاغوها صموتاً وعبروا عن موهبتهم الشعرية المتفردة واستقوا تجاربهم وخبراتهم من الزمن من ذلك قول أحدهم:

إن الفتاة وإن بدا لك حبها *** فبقلبها داءٌ عليك دفينٌ

وإذا أدعين هُوى الكبير فإنما *** هو للكبير خديعة قروُنٌ

وإذا رأيت الشيخ يهوى تاعباً *** فبقلبه من درِكِ القرونِ زُبون

وقال بعض الحكماء:

أنا شيخٌ وقلتُ في الشيخ شيئاً *** يعلمه كلَّ أبلهٍ وذهين

كلَّ شيخ تراه يكثرُ في كسب *** الجواري فخذه لي بالقرونِ[2]

---

[1]- نفح الطيب / للمقري / ص 36

[2]- نفح الطيب / ج 1 / ص 619 / وديوان إبن الزقاق / ص 217

إن عالم الفن رحب السعة، فسيح الجنبات وكلما زادت خبرة الفنان وتفكيره زادت لحظات الهامة والألفاظ والمعاني تكمن في النفس وينتظر الشاعر البارع ليكشف عنها الستار بكلماته وتعبيره وهذا ما نلحظه دائماً عند شعراء الأندلس وشاعراتها.

أما فيما يختص بالمعاني، فإن الأندلسين اتوا بما يعتبر ابتكاراً وخلقاً وفي هذا الصدد يقول مصطفى صادق الرافعي في صفة الأسلوب والمعاني الأندلسية: (تمتاز بتجسيم الخيال وإحاطته بالمعاني والألفاظ المبتكرة التي توحي بها الحضارة والتعرف في فنون القول واختيار الألفاظ التي تكون مادة لتصوير الطبيعة في جمل وعبارات وأساليب تخرج كأنها التوقيع الموسيقي بل هي تحمل على التلحين بما في ألفاظها من الرقة والرنين، ولا يشاركهم في ذلك إلا من ينزع هذا المنزع ويتكلف ذلك الأسلوب لأن جزالة اللفظ في شعرهم إنما هي روعة، وتلك فلسفة الجزالة في اللغة)[1]

اهتم شعراء الأندلس وشاعراتها بالمعاني والأفكار إلى جانب صورهم الشعرية وقد تقتصر اللغة وموازينها على الكشف عن أسرار تلك النفس فالإحساس بالصدق ومعاناة الحياة وجمال الطبيعة وخبرة السنين وتجارب الحياة والسمو الفكري والأدب يجعلك تعيش همهم بروحك وعقلك وقلبك ومعاني التجربة الصادقة تتسلل إلى نفسك فتهتز أوتار القلوب لها فمن الشعراء من تجرع ألم الفراق، لذلك جاءت قصائدهم فريدة من نوعها أصيلة في واقعها إلى جانب جمال الأفكار قوة المعاني.

من ذلك قول ابن زيدون:

هل تذكرون غريباً عاده الشجنُ *** من ذكركم وجفا أجفانهُ الوسنُ

يخفْي لواعجه والشوقُ يفضحهُ *** فقد تساوى لديه السرُ والعلَنُ

يا ويلتاه أيبقى في جوانحهُ فؤادهُ *** وهو بالأطلال مُرتهنُ

وارق العين والظلماء عاكفة *** ورقاء قد شفها إذ شفنّي حزنٌ

فبت أشكو وتشكو فوق أيكتها *** وبات يهفو إرتياحاً بيننا الغصنُ

يا هل أجالسُ أقواماً أحبهم *** كنا وكانوا على عهد فقد ظعنوا

أو تحفظون عهوداً لا أضيعها *** إن الكرام بحفظ العهد تمتحنُ [2]

أصبح الشاعر يئن في هذه الشكوى وهو نازح غريب يتحدث عن حزنه وسهاده ولوعات حبه وتشجيه ورقاء فينبض قلبه.

---

[1] - تاريخ أدب العرب / لمحمد سعيد العريان / (ط 2 – مصر – 363هـ) / ص 38.

[2]- ابن زيدون / شوقي ضيف / دار المعارف / ط 1 / ص 57

وهذا يذكرنا بقول شاعرنا الطموح المتنبي حينما تحدث عن بث لواعج نفسه الحزينة، فيعزي شاعريته بالأفكار والمعاني النبيلة:

لئن تركت ضميراً عن ميامننا *** ليحدثن لمن ودعتهم ندم[1]

والحق أن هذا لون جديد من شعر العشق مدنته روح الأندلس ولعبت معانيه روح الحضارة فكل منهم قد وقف للوداع باك يكفكف دمعه ويعتصر الألم قلبه وفؤاده ويرسل سلام روحه لتلك الأبيات الرقيقة العميقة.

ومن الشعراء من حنّ وأنّ وقلق قلبه وما إطمأن:

أحنّ إلى مشاهد أنس ألفي *** وعهدي من زيارته قريبٌ

وكنت أظن قرب العهد يطفي *** لهيب الشوق فازداد اللهيبُ

ومن قول الشهاب الزرعي في مثل هذا الغرض:

أحبتنا والله مذ غبت عنكمُ *** سهادي وسميري والمدمع مِدرارٌ

ووالله ما إخترت الفراق وإنه *** برغمي ولي في ذلك الأمر أعذارٌ

إذا شام برق الشامُ طرفي تتابعت *** سحائب جفني والفؤاد به نارٌ

ألا ليت شعري هل يعودن شملنا *** جميعاً وتحوينا ربوع وأقطار[2]

والشعر يثير المشاعر بما فيه من خصائص وبواعث وهو يتخير من ألفاظ اللغة ومعانيها وأفكارها أناه تبعث على إثارة المشارع والذات فالمعاني والأفكار هي السمة الأساسية في الترابط المعنوي والتواصل والتلاحم يلعب دوراً فاعلاً في تعميق المعنى، وتأتي اللغة لتؤدي دورها في تجسيد المعاني وقد يتضافر الإيقاع الخارجي، ومما تثيره الألفاظ والمعاني من العواطف والتعبير عن الجو النفسي، ومن تلك العاطفة الهادرة التي تموج في نفس الشاعر.

[1]- شرح ديوان المتنبي / تحقيق عبدالوهاب عزام / ط الأولى – القاهرة / ص 65

[2]- نفح الطيب / للمقري / ص 69

المطلب الثالث

الصور والأخيلة

وفي الخيال معنى الإعجاب بالنفس، لأن التخيل يحدث إعجاباً بالنفس بمفاجأت صور غير متوقعة، واختالت الأرض بالنبات أي بمعنى إزدانت، ويقال خيل عليه وشبه الشئ صور خياله في النفس وخيل إليه كذا شبهه له.[1]

الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم من إحساسات صادقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم حين يحين الوقت فيؤلفون منها الصورة التي يريدونها.[2]

وللنقاد العرب (في العصر الحديث) وجهات نظر متباينة حول تقسيمه فمنهم من قسمه إلى قسمين فالأول استعان به الإنسان لفهم مظاهر الكون وتعابير الحياة، والثاني لاظهار ما في النفس من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف، ومن هذا القسم المجاز والاستعارة والتشبيه وغيرهما من فنون الصناعة.[3] حيث رسم الشعراء والشاعرات صوراً فنية إستمدوها من خيالهم الخصيب ومنهم من قسمه إلى ثلاثة: فالأول الخيال الابتكاري، حيث يؤلف الأديب من العناصر المعروفة من قبل صورة جديدة على نحو قول أحمد دراج القسطلي حينما وصف زهراء الناصر:

وكأن ريحانة الحياة وروحها *** مستنشق من نائحاتِ هواها

فكأنما اصطفيتْ طلاقة بشرها *** من أوجه الأحباب يوم لقائها

وكأنما اختار السرور مكانها *** وطناً فحل مخيماً بفنائها

وكأنما أيدي الصياقل ما بينها *** هزت سيوفُ يوم جلائها [4]

والنوع الثاني هو الخيال التأليفي كقول الشاعرة حمدونة بنت زياد تغني للطبيعة:

أباح الدمعُ أسراري بوادي *** له في الحسنُ آثارٌ بوادي

فمن نهر يطوف بكل روضٍ *** ومن روضٍ يرف بكل وادي[5]

أما الثالث فهو الخيال البياني أو التفسيري، وهو يظهر في نحو قول ابن خفاجة الأندلسي:

ومانسة تزهى وقد خلع الحيا *** عليها حلى حمراً وأردية خضرا

يذوب لها ريق الغمائم فضة *** ويسكن في أعطافها ذهباً نضراً[6]

1- المعجم الوسيط، مادة خييل / ص 265
2- أسرار البلاغة / ص 23
3- الخيال الشعري عند العرب / لنحوكولديرج/ ص 196
4- ديوان إبن سهيل الأندلسي / إحسان عباس / ص 145
5- نفح الطيب / ج 6 / ص 23
6- ديوان إبن خفاجة الأندلسي / ص 187

فالتقسيم الأول أحسن جودة لأنه أقرب إلى واقع الشعر العربي الذي اعتمد على المجاز و الاستعارة والتشبيه لإظهار ما في نفس الشاعر من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف، والغرض من هذا الخيال إما أن يكون شرح المعنى أو التأكيد المبالغ فيه أو الإشارة إليه بالقلب من اللفظ أو بحسن المعرض الذي يبرر فيه.[1]

فمفهوم الصورة قديماً يقوم بنايته على الخيال ومن مجاز أو تشبيه أو استعارة وغيرها من فنون الصناعة، ولكن هناك صوراً كثيرة لا تعتمد على الصورة البلاغية إذ أن الشاعر يملك كثير من وسائل التصوير.

وأغلب الصور مستمدة من الحواس ولكن لا يمكن الإغفال من الصور النفسية والعقلية، ويدخل في تكوين الصورة ما يعرف بالصورة البلاغية من تشبيه ومجاز إلى جانب التقابل والظلال والألوان، وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعورية والمشهد الخارجي.[2]

غير أن الصنعة الفنية في الشعر الأندلسي تتمثل في معظم حالاتها في أشكال البيان العربي من تشبيه واستعارة وكناية إلى جانب بعض الصور الحقيقية وفي الغالب تعتمد هذه الصور على الحس وآلاته والبصر والسمع واللمس والذوق والشم، وتأتي قليلاً في صور نفسية أو عقلية.[3]

ونلاحظ أن معظم الصور جاءت تصور طبيعة بلدهم التي فتنوا بها وبمظاهرها الجميلة فأبدعوا في تصوير الليل والنجوم والقمر والمطر والبدر والأنهار والزهور المختلفة بل اشتقوا تصويرهم للمرأة من أجزاء في الطبيعة بتصويرات شيقة رائعة، وصورة ابن صارة بقوله:

لله بهجة منزه ضربت به *** فوق الغدير رواقها الأنسام

فمع الأصيل النهر درع سابغ *** ومع الضحى يلتاح منه حسام[4]

لقد صور النهر وقت الأصيل بدرع سابغ ثم صوره وقت الضحى بحسام.

فالشاعر مروان الحجازي رأى حمامة تشدو فتجاوب معها بنبضات قلبه ونار جوانحه فوصفها قائلاً:

وورقاء مطوقة السوالف سندساً *** لم يحك صنعتها حياكة حاكِ

تشدو على خضر الغصون بألسن *** صبغت ملاثمها بلا مسواك

وكأن أرجلها القواني ألبست *** نعلاً من المرجان دون شراك

1- الصناعتين / ص 268
2- في الشعر الإسلامي والأموي / ص 256
3- ديوان إبن زيدون / ص 57
4- نفح الطيب / ج 5 / ص 168

وكأنما كحلت بنار جوانحي *** فترى لأعينها لهيب حشاك[1]

لقد اعتمد الشاعر في وصف الحمامة على عنصري اللون والصوت ثم مزج ذلك بنار جوانحه ولهيب أشواق المحبوب.

والشعراء يجدون من الخيال تماسكاً لعدد من التشبيهات في بيت واحد ومن ذلك شبه الوأواء خمس تشبيهات في بيت واحد حينما قال:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجس فسقت *** ورداً وعضت على العناب بالبرد

ولم يأتِ شاعر بما أتى به الوأواء في نظر أبي هلال العسكري.[2]

لقد استعان الشعراء في صورهم بالطبيعة فرسموا لوحات ازدانت ببعض ألوان البديع ومنها التورية كقول لسان الدين الخطيب في موشحته:

وروى النعمان عن ماء السما *** كيف يروي مالك عن أنس

ففي عبارة ماء السما تورية وقد أضفى خفاء المعاني صورة خيالية موحية بجمال العبارات والذوق الفني الرفيع.

من ذلك يتضح لنا أن ملكة الخيال ذات قيمة كبيرة في الأدب وفي إبراز صوره وكل ضروب الأدب تحتاج إلى خيال فالمؤلف بخياله يستطيع أن يستخرج الحقائق ويرتبها ويزينها، فكأننا نراها بأعيننا ولا بد في كل ذلك من خيال، وللخيال الأدبي ارتباط كبير بالعواطف، وكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي وصور فنية يعين عليها فنجد الشاعر يذوب في نفس المنظر الذي تخيله أو يذوب المنظر الطبيعي نفسه فمعانيه موجهة إلى الشكل دون الجوهر، وهذا ما حدث في الشعر الأندلسي.

المطلب الرابع

[1] تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين / إحسان عباس / ص 188

[2]- الصناعتين / لأبي هلال العسكري / ص 273

الموسيقى والأوزان والقوافي

لقد فطن الإنسان إلى الإحساس بالجمال في مجالاته المختلفة سواء تجسيده في صورة محسنة أو مدركة بالعقل أو متخيلة أو تشكل في مقاطع صوتية ذات نغم وإيقاع يبثها الشاعر في كلماته فتنشأ عن حسن علاقاتها ما اصطلح عليه بموسيقى الشعر ولا يوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره الزاخر بالنغم[1] ولا شكل أن الشاعر قد فطن إلى دور العلاقة بين موسيقى الشعر والأوزان والقوافي وقد أدرك ذلك المبدعون فعبروا عنه بوسائلهم في الفن.

وتغنى الشعراء بأشعارهم وضافوا إليها لون من الموسيقى ونبض الشعر وأساس كماله وهي إرضاء للنفس والقلب والفكر فخضع الغناء للنغم وخضع الشعر للوزن. " وما الشعر إلا ضرب من الموسيقى إلا أن نغماته تتكيف بالدلالة اللغوية فتقطيع الأبيات تكرار النغمات تألفه الأذن وتسر به النفس".[2]

وجدت الأوزان في الشعر العربي نفسه وتحكيم الوزن والإيقاع ضرورة في الشعر فبالوزن تسير القصائد في تركيب محكم موزون مع نغمات الإيقاع المتداخل وهذ التوافق يحدث نوعاً من الموسيقى الساحرة حيث تسعى الكلمات والتقسيمات فيها إلى قوة تكشف أسرار النفس فالنغم يجمع بين المدلول والإيقاع ويصل الموضوع بصاحبه ومعظم الشعر الأندلسي يسير على وزن موحد وقافية تلون وتشكل أبيات القصيدة وتسير على نفس نغمة الوزن والبحور قد وجدت في الشعر الأندلسي مساحة واسعة مما كان له أثر في التشكيل الموسيقي إذ يعتمد الشاعر الأندلسي والشاعرات خاصة على ما تحمله الكلمات من أصداء في الواقع استجابة للإيقاع الذي صدرت عنه القصيدة.

من ذلك قال ابن خفاجة من قصيدة بعنوان الغريبة والقصيدة من بحر الكامل:

وغريبة هشّت إلى غريرة *** فوددت لو نُسج الضياء ظلاماً

طلعتْ على مع المشيب تشوقني *** شيخاً كما كانت تشوق غلاماً

مقبولة أقبلُتها عن لوعة *** نظراً يكون إذا إعتبرت كلاماً

عذرتْ وقد أجللتها عن نسوة *** كبرا واوسعت الزمان ملاما

عبقتْ وقد حن الربيع على النّدى *** كرماً فأهداها إلى سلاما

اتسمت قصائد ابن خفاجة بالغموض وهو غموض نابع من شخصيته القلقة فهو كثير الترحال والإنتقال يشعر دائماً بتضاعف هذا الإحساس في نفسه بعد أن أمتد به العمر بعد الثمانين فزادت

---

[1]- موسيقى الشعر / محمد شكري عياد / ط 1 – دار المعارف القاهرة / ص 65

[2]- المقدمة تاريخ إبن خلدون / ج 1 / بيروت – 1971م / ص 96

الشيخوخة من آلامه النفسية. وهذه القطعة تتسم بالغموض المستمد من شخصية الشاعر فهو يبدؤها بقوله "وغريبة" وهي بداية تجعل القارئ يتسائل عن هذه الغريبة وما علاقتها بالشاعر وماذا يريد منها؟ ما السر في البدء بهذه البداية الغامضة ولماذا سبقها بواو ربّ؟

إن كلمة غريبة تعطي بداية إحساساً بالغربة وذلك مما يجعل معنى الغربة ذا صلة بجوانب النص بطريقة أو بأخرى. أما الدلالة التالية التي تبديها الكلمة فهي دلالة التأنيث وقد أردف الشاعر بحملة فعليه فاعلها مستتر مما يزيد المسألة غموضاً. غير أن الجملة الفعليه الوصفية تعطي أول ملمح عن هذه الغريبة الضاربة في أعماق المجهول فهي قد همست إلى الشاعر أي إتصلت معه في علاقة إيجأبية تقوم على البشاشة والمودة. كما تشير إلى ثمة عاطفة واحدة قربت بينهما هذه العاطفة لا بد أن تكون وثيقة الصلة بالغربة وذلك يعني أن ثمة توحداً وإشتراكاً بين الطرفين (الغريبة والشاعر) في الإحساس بالغربة ولكننا لا نلبث أن نجد أنفسنا إزاء صفة ثانية جاءت بصيغة التنكير لتلك الغريبة لا تقربنا من الوصول إليها بقدر ما تبعدنا عنها وتزيدنا جهلاً بها ولا تفتأ تضيف غموضنا إلى غموضها فلمإذا يصفها الشاعر بهذا وهل يعني بهذ الوصف فتاة صغيرة السن قليلة التجربة أم يقصد شيئاً أخر؟. إن الاحتمإلن مطروحان حتى هذه اللحظة وعلينا أن نمضي مع الدلالات التي تكشف النقاب عن تلك الغريبة وصلتها بالشاعر.

وتأتي أمنية الشاعر (وودت) أشد غموضاً فهو يتمنى أن ينسج الضياء ظلاماً وهي أمنية عجيبة حقاً فالمألوف هو النقيض أي أن الإنسان يتمنى أن يتحول الظلام إلى ضياء. فهو يقصد الشاعر هنا الضياء الحقيقي والظلام الحقيقي.

فهذه الصور كثير ما نجدها عند ابن زيدون باعتبار أن الليل هو زمن العشق والوصال الذي يتمنى الشاعر دوامه ويتألم لإنتهائه. فهل يتمنى ابن خفاجة زوال الضياء وحلول الظلام ولو أنه قد يحصل العكس فمنهم من وجدأن لا فائدة في زواله أو حلوله فكلاهما سواء.

إن الجملة الفعليه وددت تشير إلى أن ثمة إحساساً بالمودة قد غمر الشاعر حين همست إليك تلك الغريبة وإذا كنا قد حملنا أمنية الشاعر على المعنى الحسي الظاهري فلا بد أن نحملها على المجاز ونجد إن الصورة تردد في الشعر القديم حيث يشير الضياء إلى زمن الشيب وهو الزمن النقيض الظلام. وهذا يرجح على أن تكون أمنية الشاعر هذه الغريبة ولكنه يدرك أن تحقيق هذه الأمنية ضرب من الخيال ومع ذلك فالصورة ما تزال تحتاج لمزيد من الوضوح.

ثم يتقدم الشاعر في قصيدته ويعترف بطلوع تلك الغريبة يعلل دقته بالغروب ثم يتحسر الشاعر ويرجع ذلك إلى إحساسه بالفارق الزمني ويحاول الشاعر أن يخفي عجزه فهذه الغريبة ورده صغيرة غريبة

طرأت على حياة الشاعر وهو في مرحلة الشيخوخة وكأنها جاءت في وقت متأخر وقد أدت اللغة دورها في تكييف هذا الغموض على خير وجه وجاءت الأفعال الدالة على تلك الغريبة خإلية من الضمائر بينما بقيت أفعالها ماثلة همست طلعت عبقت.

وتكشف الألفاظ عن عاطفة الشاعر في زمن شيخوخته وهي عاطفة مشدودة إلى زمن الماضي أنه يشعر بإحساس حاد بالعودة إلى زمن الشباب ونحس في أبيات القصيدة الصوت واللون والحركة وهذه مكملات الإبداع الفني في القصيدة ويأتي تضاد المعاني بين الضياء والظلام ويتوافق البناء الموسيقى مع الجو النفسي المهيمن والإيقاع الخارجي قائم على بحر الكامل بموسيقاه الهادئة وتلاحظ تفعيله متفاعلن متكررة مرتين ثم تتغير الصورة في التفعيلة الأخيرة لتكون فعلاتن وإنتهت القصيدة بحرف المد الطويل الذي أكسب الكلمات نفساً طويلاً وأهات حرى أسفاً وتحسراً على ذلك البعد الزمني الذي حال دون تحقيق رغبات الشاعر والتي قد إنتهت وكأنها خاطرة مرت دون أن ترى النور وبقيت ذكراها خالدة في نفسه.

ومن شعراء الأندلس عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم القيسي فقد مرت به أحداثاً قاسية عانى منها معظم الأندلسيين في أخر التاريخ. وكانت ثقافته عربية أدبية وكان ذلك يدير حنوتاً يعتمد عليه في عيشته فقد أسر من قبل العدو وغالوا في إهانته وإصابته بحسرة بالغة على أحوال المسلمين في تلك الظروف وسقوط غرناطة عام 897 هـ تلك البلدة التي هي عزيزة على نفسه فقد استغرق الشاعر في تجربته لينقلها إلينا في أدق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجي فعبر عما يجول في نفسه من صراع داخلي وإختار ذلك ألف المد ذات النفس الطويل الذي يحمل الأنّات والزفرات حارت فعبر عمّا يكنه الشاعر في نفسه من حسرة وألم عميق والقصيدة من بحر الكمال فقال القيسي في ذلك:

كم من أسير موثق بقيوده *** أمسى وأصبح موثقاً مغلولا

أحكام قاض لا يرد قضاؤهُ *** فيما قضاه ولا يُرى مسؤولا

فاشكر إلهك يا معافي دائماً *** فالشكر أضحى بالمزيد كفيلا

واصبر لما في حكمه يا مبتلى *** فالصبر يبدي للخلاص سبيلا

ودع الحنين إلى بسطة وربوعها *** إن الحنين يهيج منك علىلا

ومن أقوال ابن سهيل لصديق بالجزيرة الخضراء يدعى ابن سعيد مظهراً له أن البعد أقل صبره واحتماله:

إليكم يحن القلب في كل ساعة *** ونحو مغانيكم تلفت ناظري

وما عرضت لي خطرة مذ بعدتم *** فل يك إلا نحوكم عند خاطري

ولله ما يبديه جد حديثكم *** بقلبي من سمو الهوى من محاجري

لقد فقد صديقه وببعده فقد بهجة الأنس وحالت الأيام دون لقائهما فهو يحن ويشتاق إلى تلك المجالس المملؤة بالحسن والأمل والرجاء لقد أودع فيه معنى الإخلاص في نقاء طبيعي وصدق فني وتلك المشاعر والأحاسيس والآمال الغامضة المتنوعة التي يمكن التعبير عنها بالتحليل والشرح فيعوض الشاعر في خضم الوجود حتى ينسى نفسه ويذهب إلى جوهر الأشياء إلى ما لا يستطيع شرحه من الحقائق التي تعجز اللغة عن أدائها وهنا إنتقل بعيداً من مشاغل الفكر إلى عالم النفس الغامض من ذلك يسبح الشاعر في ذاك العام السامي الذي لا سبيل إلى التعبير عنه إلا بما يتوفر في الشعر من اللحن والإيقاع والوزن وجرس الكلمات وحسب وضعها في موسيقاها النفسية العميقة وبما توقظ فينا تلك السعادة من مشاعر روحية ترتبط بروح العالم وتجعلنا نكاد نحس الأصول والأسس السأمية للإنسانية وذلك هو الشعر الحق.

المبحث الثاني

الخصائص الفنية في شعر النساء

من الصعوبة بمكان الحكم على شعر شواعر الأندلس وما حواه من خصائص وسمات فنية، وذلك لقلة شعرهن المتوفر في المكتبة العربية، فقلة شعرهن جعل الناقد يحجم عن إعطاء حكم دقيق يطمئن به، لأنها قد لا تحتوي بالضرورة كل السمات الفنية الحقيقية في عموم شعر المرأة الذي قالته في وقتها وقبل ضياعه ثم أن تلك القلة في الموجود منه ورد فيها أبيات غلب عليها طابع السرد عموماً، وبعض شعرهن غلب عليه ركاكة الألفاظ وضالة العاطفة والخيال مما جعلها غير مدهشة أو باعثه على الإعجاب من معجبي الشعر.[1] ومثال ذلك رد نزهون على أبي بكر المخزومي حيث تقول:

إنْ ما قلتَ حقاً *** من نقضي عهدٍ كريمً

فصار ذكري ذميماً *** يُعزى إلى كلِ لومِ

وصرتُ أقبحَ شيءٍ *** في صورةِ المخزومي[2]

أو قول صفية بنت عبدالله في ردها على من عابت خطها:

وعاتبةٍ خطي فقلتُ لها إقصري *** فسوف أريكِ الدّر في نظم أسطري

ونادیتُ كفي كي تجودَ بخطِها *** وقربتُ أقلامي وورقي ومحبري

فخِطت بأبيات ثلاثٍ نظمتُها *** ليبدو لها خطي وقلت لها انظري[3]

وإلى غير ذلك من الأبيات التي اتسمت بالتقريرية وانحسر فيها الخيال وليس معنى هذا أن شعرهن قد خلا من الصور الفنية، بل إن في بعضه صور جمالية رائعة كشعر أم العلا في الاعتذار، مما جعل النقاد القدامى يشهدون لهن بالتقدم والإبداع.[4] (فأول ما يطالعنا أننا نحس بالقرب منه ولكننا نلمح عمقاً وراء البعد)[5]

قد يكون القرب من النفس بسبب صدق التجربة وحرارة الإحساس ونجاحها في التعبير عنها تعبيراً موفقاً (وكأنها أصابها الحدث)[6]، وكانت تجاربها كما قيل (لقاحاً للخواطر).[7]

وقد عكست واقع حياتها ممتزجاً برغباتها وأمالها ومعتقداتها[8] وقد جاء شعرهن متضمناً ما هو إنساني بحت أكثر من فرديتهن، وتمثل بالضميرين (أنت وهو) الذين وردا فيه أكثر من الضمير (أنا) الذي يدل على الآنية والفردية الذاتية.[9]

المطلب الأول

ميزات شعر المرأة الأندلسية

1- المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف / سلمى علي / ص 340

2- الموسوعة الشعرية / ص 74 / نزهة الجلساء للسيوطي / ص 61

3- الموسوعة الشعرية / الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لإبن بشكوال (1299 - 1293) / ص 80 / ص 65

4- أنظر شعر أم العلا في الإعتذار في الصفحات السابقة

5- مقدمة في النقد الأدبي / لعلي جواد الطاهر / ط 2 لسنة 1983م / ص 459

6- الشعر والتجربة / لارشيا ملكيش / ترجمة سلمى الخضراء / مراجعة توفيق صايغ / ص 23

7- إختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي / لإبن سعيد / تحقيق إبراهيم الأبياري / الطبعة الثانية – بيروت 1980م / ص 57

8- كتاب أرسطو طاليس في الشعر / ت: شكري محمد عباد / ط1 دار الكتاب – 1967م / ص 3

9- المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف / لسلمى علي / ص 341

ومن ميزات شعر المرأة الأندلسية:

1- أنها لم تتقيد بإتجاه فني خاص:

حيث إنّها احترمت كل الاتجاهات فكانت لشخصيتها وشاعريتها صورة متكاملة، وإن سارت في الإتجاه المحافظ القديم في التعبير الذي يتمثل في الغزل والهجاء والفخر والشكوى والاعتذار[1]. وهذا ما كان واضحاً في أغراضها الشعرية.

ويتمثل الإتجاه المحدث في إنتشار المجون، والمجاهرة بالمعاصي والاستخفاف بالأخلاق، والإسفاف في ذكرت السوءات والعورات، خصوصاً في الهجاء معتقدة بأن الشعر يصنع من الكلمات وليس من الأفكار، فوصفت الأعضاء البدنية، ولم تكشف عن الروح الشخصية بالملاحظة والتسجيل وإن صورت المهجو أحياناً تصويراً (هزلياً يدعو إلى الزراية للضحك منه).[2]

وهي في هجائها وجدت تشجيعها من مجتمعها فاستساغته لها وتمادت فيه فقد قيل (لكل زمان ما يليق به من البيان)[3]. وكثيراً ما سايرت وحاكت فيه الرجال، ووصفت ساعات اللقاء والخلوات وتغزلت بالحبيب غزلاً مكشوفاً[4] فاتسم شعرها بالجرأة والصراحة. ومثل شعر الرسائل الإتجاه المحدث عنه بثينة بنت المعتمد ذلك الشعر الذي بعثت به إلى ذويها من الأسر.

وأما فيما يتعلق بالإتجاه الشعبي الذي تمثل في صنع الموشحات، فقد اتجهت إليه كبار الشواعر أمثال أم الكرم وقسمونة ونزهون، وبه تميزت الشاعرة الأندلسية عن المشرقية، وأثبتت القدرة في رسم الصور الغنائية البارعة في التعبير عن تجارب القلق، والإحساس بقسوة الأيام، والسخرية من الناس وهجوهم، واستشعار لوعة الفراق وألم البعد. وتحدثت عن قلقها وسوء حالها وضياعها في وحدتها.[5] ووردت في شعرها أسماء لكثير من الأشخاص والملوك والوزراء كـ (أبي بكر وصبح المهند وابن زيدون وولادة والمخزومي) كل هذا يدل على سعة إطلاعها على أحوال الناس ومعرفتها بهم واختلاطها معهم. وسماعها لأحاديثهم وأخبارهم... مزجت كل ذلك بتجربتها فكانت أشبه (بمن تتعظ بالتجربة، وتقيس موارد أمورها)[6]. لتذيبها في بوتقة أفكارها التقدمية معبرة عن الخيانة والغدر، والحب والمقت والقضاء والقدر والوحدة والحرمان والألم.

1- الشعر الأندلسي / لأحمد هيكل / ص 216
2- من الأدب المقارن / لنجيب العقيقي / طبعة القاهرة – دار المعارف – 1948م / ص 137
3- عنوان المرقصات والمرقضات / لنور الدين سعيد / ط 2 القاهرة – 1973م / ص 3
4- المرأة في الشعر الأندلسي / لسلمى سليمان / ص 342
5- نفس المرجع السابق والصفحة.
6- أعتاب الكتب / لإبن الأبار / تحقيق صالح الأشتر / ط 1 1961م / ص 106

ومثلت في شعرها الإتجاه العربي ووجهة النظر العربية وإن كانت الإشارات قليلة تمثلت في قصيدة الغسانية البجانية في مدح خيران العامري[1] وكانت المرأة قصيرة النفس ميزة القبس (ملأت العين بهجة والأنف نفحة)[2]. ونرى غلبة المقطعات التي تهبط أحياناً إلى نصف كـ (عجز البيت الذي أجازته إعتماد الرهيكية للمعتمد بن عباد) حين قال:

صَنَعَ الريحُ من الماءِ زَرَد

فأجازته:

أيُّ درعٍ لقتالٍ لو جَمُدْ

وتلك صفة ملازمة لجميع أغراضهن الشعرية، حتى في شعر الرسائل الذي كان من المفروض أن يتسم بالطول، لكننا وجدنا بثينة تقدم تقريراً ملخصاً لمشاعرها وأحاسيسها دون أن تلتفت لما قد يكون متوقعاً من رغبات ذويها. وهي زعيمتهن في طول قصائدها. وتطرقت شواعر الأندلس إلى الشعر القصصي فظهرت بوادره في القرنين الثالث والرابع الهجريين[3].

واتحدت صيغة القصص في عصر الطوائف، فاستخدمت المرأة الشعر في الرسائل بدلاً من النثر، ويعد هذا نوعاً من التجديد والابتكار في الشعر النسوي قلما تجده عند النسوة من أمثالهن في العصور الأدبية السابقة.

فظهور (النزعة القصصية) في شعرهن الذي مثلته الشاعرة بثينة بنت المعتمد بن عباد، جاء مصداقاً لما نقلته لنا غرسية من آراء القدماء (لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ)[4]، ويذكر عز الدين إسماعيل (أن التعبير القصصي أقدم أنواع التعبير الفني لجأ إليها الإنسان منذ البداية وليس الشعر).[5]

فالرسالة الشعرية التي بعثتها بثينة إلى ذويها تمثل الشعر القصصي أصدق تمثيل، فقد روت لنا ما تريد الشاعرة بإسلوب فني قصصي شعري حيث قالت:[6]

اسمَعْ كلامي واستمْع لمقالتي *** فهي السلوكُ بَدَت من الأجيادِ[7]

لا تنكروا أني سُبيتُ وأنني *** بنتٌ لملكٍ من بني عباد

ملكٌ عظيمٌ قد تولى عصرُهُ *** وكذا الزمانُ يؤولُ للإفسادِ[8]

1- المرأة في الشعر الأندلسي / لسلمى سليمان علي / ص 344
2- إختصار القدح المعلي / لإبن سعيد / ص 3
3- تاريخ الفكر الأندلسي / لأنخل حنثالث بالنثينا / ص 603
4- الشعر الأندلسي / لغرسية غوصس / ص 122
5- تاريخ الأدب العربي / لخنا أنخل حنثالث فاخوري / ص 800
6- نفح الطيب / ج 6 / ص 20 / أنظر الدر المنثور - ص 89 – 90 / ومختارات من الشعر الأندلسي - ص 104 – 105 / وأنظر اعلام النساء – ص 118 – 119 / وأنظر لسلمى سليمان في المرأة في الشعر الأندلسي – ص 344.
7- السلك، الخيط وهو الذي تنظم فيه حبات اللؤلؤ وغيرها. (الأجياد) الجيد هو العنق
8- آل يؤول: يرجع / يعود

لما أرادَ اللهُ فرقةً شملنا *** وإذاقنا طعمَ الأسى من زادِ[1]

قام النفاقُ على أبي في مُلكِهِ *** فدنا الفراقُ ولم يَكنْ بِمرادِ

فخرجت هاربةٌ فحازني امرؤٌ *** لما يأتِ في إعجالِهِ بسدادِ[2]

إذا باعني بيعَ العبيدِ فضمني *** من صانني إلا من الأنكادِ[3]

وأرادني لزواجٍ نجلٍ طاهرٍ *** حسنِ الخلائقِ من بني الأنجادِ[4]

ومضى إليك يسومُ رأيك في *** الرضا ولأنت تنظر في طريق رشادِ[5]

فعساك يا أبتي تُعرِفني به *** إن كان ممن يُرتجى لودادِ

وعسى رميكيةُ الملوكِ بفضلها *** تدعو لنا باليمنِ والإسعادِ

وقد علل بعضهم قصر النفس عند النسوة عموماً أنهن (ملولات لا يصبرن على قرض الشعر مدة طويلة، والقصيدة الطويلة تحتاج إلى جهد وجِد وعزيمة).[6]

أما الغسانية فقد جمعت بين الغزل والمدح ولكن لم يصل إلينا مدحها فليه من الصعوبة بمكان الحكم عليها. بينما أكدت نزهون في موشحتها الوحدة الموضوعية فقد جاءت مستقلة الغرض، ولم تبلغ المرأة الأندلسية المكانة الفنية التي تبوأها الشعراء في نظمهم للمطولات وتعديدهم للاغراض بإستثناء الغسانية.

2- كما اتسم شعرهن بالوضوح والإبانة:

لأنهن ابتعدن عن التعقيد والفلسفة والجدل والمنطق، وأن شعرهن صدر عن مران ودراسة خاصة بعد معرفة أحوالهن وبيئتهن وعصرهن، فقد جبلت على محبة الشعر وفطرت على قوله. وإن خلت بعض أشعارهن من القيم والضوابط.[7] فالشاعر يعظم في نفسه لا محالة، ويسخف ويظهر العجب وتلك عادة قد جبلوا عليها[8]. ولكننا لمسنا في شعرهن (التلقائية والأصالة)[9] والتمسك بالروح العربية.

المطلب الثاني

التراكيب والمفردات

1- جعل الله الأسى (الحزن) زاد (طعاماً) لنا (أذلنا)

2- السداد: الصواب

3- الأنكاد: قلة الخير (الحاجة إلى أسباب الحاجة) الفقر

4- النجل: الولد (ولد الراجل). النجد (لا بفتح فكسر أو فتح بضم) الرجل ذو العزبة

5- سام: طلب تنظر في الطريق – رشادي (تريد لي الخير)

6- المرأة في الشعر الجاهلي / للحوفي / ط القاهرة – 1963م / ص 668

7- المراة قي الشعر الجاهلي / للحوفي /ط القاهرة 1963/ ص668.

2-الشعر في المدارس / لإريك جي بولتون / ترجمة: ياسين طهن / بغداد - وزارة الثقافة – 1978م / ص 4

3- نفس المصدر السابق / ص 6

اتسم شعر نساء الأندلس بالعفوية والبعد عن التصنع والتكلف فلم تحمل الشاعرة الأندلسية الألفاظ ما لا تطيق من معان. فتميز عصرهن بسرعة البديهة في قول الشعر والرد على الأخرين، فقد اعتبرت المرأة الشعر وسيلة من وسائل التعبير عما ملأ نفسها من عاطفة وما جاش به صدرها من نوازع.[1] ونجدها كذلك قد عبرت عن (الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة).[2]

واستعملت المرأة في هجائها (الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة ومعانيهم)[3]، وأفحشت في هجائها وجاءت بما نفر عنه الطبع السليم[4]. ووجدناها كلما ابتعدت عن زمان الفتح، غرقت في الاسفاف وإبتعدت عن الحشمة والعروبة.[5]

ولكن من الموضوعية أن يقيم شعر المرأة من حيث (هي) لا من حيث مدى أخلاق ناظمته، فقد يصدر الشعر في لحظات وأوقات إنفعال غير هذه التي تسير فيها حياة الشاعرة في أغلب الأوقات.[6]

وهذا ينطبق على الشاعرة التي ارتجلت الشعر في المجالس، فجاء متأثراً بإنفعالها منسقاً مع ظروفها. ولم يستطع الرواة حصر زمن هجاء ولادة لابن زيدون، فبالقدر الذي تأتي فيه ألفاظ الشاعرة متناسقة متألفة متعاطفة مع بعضها ببعض، بدون تفكك أو تكلف تحكم على شاعريتها بالأصالة والموهبة والصدق[7]. ولنقف على طريقة استخدامهن للمحسنات البلاغية في إضفاء رونق لفظي على أسلوبهن. من ما نلاحظ عند ولادة ويبدو مجيئه عفوياً محض خاطرها:

يا أخا البدر سناء وسنا *** حَفِظَ اللهُ زمانا أطلعك

إن يطُل بعدكَ ليلي فلكم *** بتُ أشكو قِصر الليلِ معك[8]

فهنا جانست الشاعرة بين (السناء) و(السنا) جناساً ناقصاً ثم طابقت بين (طال) و(قصر) في الشطر الثاني، وبين (بعدك) و(ومعك) في الشطر نفسه. فهذا الفن البلاغي الذي استخدمته ولادة في معانيها هو (التضاد) حيث (جمعت بين معنيين متضادين متقابلين في البيت الواحد).[9]

ومن الشواعر اللواتي جمعت بين الأضاد وزين أساليبهن بالمحسنات أم العلاء، ومنه قولها مطابقة بين الليل والصباح، وبيت ويضحي:

يا صبحُ لا تبد إلى جنحي *** والليل لا يبقى مع الصبحِ

1- مناهج الدراسة الأدبية عند العربي / لشكري فيصل / ص 109
2- إحياء علوم الدين / للغزالي / دمشق – مكتبة عبدالوكيل الدروي / ج 3 / ص 105
3- يتيمة الدهر / ج 1 / ص 176
4- التعريفات / لعلي بن محمد الشريف الجرجاني / لبنان – 1969م / ص 17
5- الادب الأندلسي وموضوعاته وفنونه / ص 16
6- أسس النقد الأدبي عند العرب / لأحمد بدوي / ط 1 القاهرة – مكتبة نهضة مصر – 1985م / ص 300
7- الشعر في عهد المرابطين والموحدين / لمحمد مجيد السعيد / بغداد – وزارة الثقافة – دار الرشيد – 1980م / ص 337
8- المرأة في الشعر الأندلسي / لسلمى سليمان عل / ص 342
9- التلخيص في علوم البلاغة / للقزويني / 1932م / ص 348

فلا تَكُنْ أجهَلَ مَنْ في الورى *** يبيتُ في الجهلِ كما يُضحي[1]

ومن مقابلات بثينة البارغة في قولها:

وإذا ما اجتمعَ الدينُ لنا *** فحقرُ ما من الدنيا افترق[2]

ومن الأساليب البلاغية التي اتبعتها الشاعرة في نظمها (مراعاة النظير) فاكتسبت لغتها الوضوح وتراكيبها الإبانة والبعد عن الغموض والتوعز، كقول ولادة للنظيرين معنى (ذي العرش) التي تعطي معنى (رب المنن):

يا أصبحي أهْنأ فكَمْ نعمةٍ *** جاءَتْك من ذي العرشِ ربِّ المنَنْ[3]

ومن الأساليب البلاغية (الافتتان) فلقد جمعت ولادة بين المدح والسخرية في هجائها لابن زيدون حيث قالت بعد أن أشارت إلى بركة كانت قد تجمعت فيها مياه الأمطار.

أنتَ الخصيبُ وهذه مِصرُ *** فتدفقا فكلاكما بحرُ[4]

ويرى المشتشرق الألماني (فيلهم موينرباخ) أن ولادة فنانة في الكلمة تميل إلى نوع من الحرية في العادات لثقافتها وجرأتها.[5]

1- المرأة في الشعر الأندلسي / لسلمى سليمان علي / ص 348

2- نفس المرجع السابق / ص 249

3- ديوان إبن زيدون / ص 34 - نفح الطيب / ج 5 / ص 337.

4- ديوان إبن زيدون / ص 32

5- مجلة الأندلس / لفيلهم موينرباخ / مجلد 1971م / ص 471 / مقال حول شخصية ولادة.

المطلب الثالث

الدلالات اللفظيـة

اللفظة لا تكون كلمة منعزلة في مدلولها، فالألفاظ التي نختزنها في أذهاننا لها مشاركة فعالة في حياتنا الفكرية والعاطفية.[1]

ومن خلال أشعارهن نجد أن هناك كثيراً من الألفاظ والمفردات قد عبرت تعبيراً صادقاً عن واقع حياتهن. وبدت الألفاظ في مظاهرها المختلفة معبرة عن تأثير العادات والتقاليد العربية والدين الإسلامي موسومة بسمات المجتمع الأندلسي.[2]

ولقد خلت أشعارهن من التصوف والزهد ولكن إستردفت ألفاظاً من الدين والقرآن، فقد كررت المرأة الأندلسية في شعرها ألفاظاً شرعية كألفاظ (الحق – أهل الحق السبيل – التلاوة – النعمة – الصدق – الدين – مكة – حرام – الإسلام – رب العرش – رب المنن). ومنه قول بثينة:

مِنْ بعدِ سبعٍ كأحلامٍ تَمرُّ وما *** ترقى إلى الله تهليلٌ وتكبيرُ

يَحُلُّ سوءٌ بقومٍ لا مَرَد لهُ *** وما تزُدُّ من اللهِ المقاديرُ[3]

واستعانت الشاعرة بمخزونات ثقافتها من المعاني المتضمنة لأمثال العرب وحكمتهم وأقوالهم، كقول (أنس القلوب) معتذرة:

والعفو أحسنُ شيءٍ *** يكون عندَ اقتدارِ[4]

ودارت بعض ألفاظ الهجاء على تفشي صفات ونعوت نهى الإسلام عنها كـ (الغيبة – والنميمة – ونقض العهد – والتنابز بالألقاب) ومنه قول نزهون:

خُلِقْتَ أعمى وَلَكِنْ *** تهيمُ في كلِّ أعوْر[5]

فشعر بثينة أكثرت فيه من الألفاظ التي تدل على الوضع السياسي والفكري وخصوصية المجتمع الأندلسي.

أما شعر (نزهون) فيغلب عليه طابعين، طابع غريب الألفاظ متكلف والاخر ترسله عليه سجيتها في غاية الرقة والوضوح.

أما ألفاظ (أنس القلوب) تتميز بالوضوح والسهولة كـ (عذار، نار، اعتذار، جار، أوطار) فشعرها واضح يفهمه السامع دون جهد.

1- دلالة الألفاظ العربية وتطورها / لمراد كامل / القاهرة – نهضة مصر – 1963م / ص 5

2- الشعر في غرناطة في عهد دولة بني الأحمر / رسالة ماجستير في اللغة العربية – جامعة بغداد – 1983م / ص 28

3- الحلة السيراء / للسيوطي / ص 560

4- نفح الطيب / للتلمساني / ص 952

5- الأحاطة في أخبار غرناطة / للسان الدين بن الخطيب / ص 558... وإستعارت الشاعرة هنا كلمة (أعور) للطافة من الرجال والمخط منهم.

وأما من حيث الرقة والبساطة، فقد اختارت شاعرة الأندلسس ما يناسب العواطف من الناحية الفنية وبما توحيه من معانً، بحيث صاغتها في بساطة، وأحسنت واستهدفت فكونت لها منهجاً مختاراً يحسه السامع ويلمس رقته في كونها ابتعدت في إسلوبها عن الإيجاز المخل والتطويل الممل ولم نجد عندهن سخيف معنى. وإن عثرنا على بعض الألفاظ التي التجأت إليها الشاعرة قد سحقت معناها كألفاظ نزهون في استعمالها للقاذورات وولادة في استعمالها للعورات.

إلا أن الأندلسية تميزت باختيارها ما يناسبها من الألفاظ لتكسب الفن الشعري لو يجليه ويوضح معانيه.[1]

[1]- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه / ص 214

المطلب الرابع

المعانـــي

كانت الشاعرة الأندلسية على قدر كبير من الثقافة مما جعل لديها القدرة على اقتباس المعاني والألفاظ والأساليب والتراكيب أكثر من الشواعر اللائي لم يتثقفن هذه الثقافة، وإن كان حظ معانيها من الإبتكار ضئيلاً إلا أن نماذجها عميقة في أدب المرأة العربية قبل عصر الطوائف. وإذا أبيح لها أن تقتبس من آثار سابقيها فليس يعني أنها تعيش عليهم[1]. وذلك لأن الإفراط في أخذ المعاني يعد عيباً في عرف النقاد العرب.[2]

إلا أن الأندلسية تميزت بشاعريتها المطبوعة وذكائها وسرعة بديهتها وأثبتت قدرة ومهارة، أما التقليد والمحاكاة فهو أمر فطري موجود عند الناس منذ الصغر، حيث سار معهن. أي مع المرأة العربية. في طريق واحد متشابه الأرجاء والنواحي وسايرتهن في الذوق الأدبي العام لذلك العصر ولكنها بزرت في سرد معانيها في وقائع معروفة وألبستها حللاً جديدة لذا اكتسبت معانيها جدة وقوة.[3]

ولم تتوزع الشاعرة الأندلسية وصف مفاتن صاحبها المادية مؤكدة في شعرها الغزلي الانصراف إلى تجربتها الذاتية وقد تضمن شعرهن دروساً قيمة في أحوال المحب والحبيب واللقاء والفراق وغفلة عين الرقيب. كالذي أجده في أبيات نزهون التي جاء فيها:

لو كنتَ حاضرنا فيها وقد غَفِلَتْ *** عينُ الرقيبِ فلم تنظُر إلى أحدِ[4]

ومثل هذه المعاني كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

ومن المعاني التي جسدتها، طلب معالي الأمور، والإيمان بالقضاء والقدر، وتقول أنس القلوب في هذا:

والله قدَّرُ هذا *** ولم يَكُنْ باختيار[5]

ولقد أثبتت المرأة صمودها، وإيمانها بالخالق أمام تقلب الأحوال من المسرات إلى الأحزان، وبثينة أكدت بعض المعاني السأمية في مدحها كالكرم والفضل والعطاء والتخلي عن البخل والإشادة بالجود وعراقة الأصل. [6]

1- أسس النقد الأدبي عند العرب / أحمد بدوي / القاهرة – مكتبة نهضة مصر – 1928م / ص 35
2- المصدر نفسه / ص 351
3- بلاغة العرب في الأندلس / لأحمد ضيف / ص 173
4 - الموسوعة الشعرية / ص 75
5 - الموسوعة الشعرية / شعر أنس القلوب وجاء في الموسوعة (والله قدر هذا ولم يكن بإختياري)
6 - الحلة السيراء / لإبن البار / ص 560

وأظهرت الإجازات الشعرية في الصفحات السابقة معانٍ جميلة ووشائح معنوية متينة بين الجارية وسيدها، والبنت وأبيها، مجسدة دعم الصلات الأسرية.

وصورت بعض أشعارهن صورة المرأة المسلمة المتمسكة بمبادئ الدين الملتزمة بأخلاقياته العربية النابعة من معاني الفكر والعقيدة الإسلامية وقيمتها الأصيلة. تقول ولادة:

يُحْسَبْنَ من لينِ الكلامِ فواحشاً *** وَيَصُدُّهنَّ عن الخنا الإسلام[1]

وقد استخدمت المرأة المعاني الفاحشة المفزعة التي بدرت شائعة الاستعمال في ذلك العصر، معبرة عن حياة التهتك والابتذال. وقد يكون ذلك بسبب مجالس اللهو وغيرها، وما أوجدتها من تنافس شديد في ابتكارها، فالمعاني كلها(معترضة لكل خاطر)[2] وله أن يتكلم منها فما أحب وآثر[3]... على الرغم من إطلاقها العنان لكن في تناولها أكدت اضطراب الموازين واختلافها وضياع المقاييس.

فالنعوت التي أطلقتها ولادة على ابن زيدون أعطت معانٍ جديدة للنقد الاجتماعي. وفي هجو المرأة للمرأة تأكيد على الحسد والحقد والغيرة، وطغيان النفاق وفقدان الوفاء بين الأصدقاء. فبدت المرأة بصوغ تلك المعاني وصقلها، وأكدت في شعرها شيوع بعض العادات التي نهى الإسلام عنها، كالتنابز بالألقاب، وهي من العادات الذميمة للمسلمة. كقول نزهون:

خُلِقْتَ أعمى ولكن *** تهيمُ في كلِ أعور[4]

فالشواعر استلهمن المعاني من واقع بيئتهن، فمهجة استغلت اسم (ولادة) في الهجاء لتطعن بها بعد أن لمست ما في اسمها معاني موحية للطعن بالفتاة العذراء، هذه المعاني قد تكون ذاتها رديئة ولا قيمة لها أصلاً [5]. ولكن تناولتها الشاعرة، فأضفت عليها التشبيه وألبستها حللاً جديدة فأخرجتها بهذا المعنى الرائع كقول (مهجة القرطبية):

لئن حلأتْ عن ثَغْرها كلَّ حائمٍ *** فما زال يحمي عن مطالبهِ الثغرُ

فذلك تحميهِ القواضَبُ والقنا *** وهذا حماهُ من لواخِطها السحرُ[6]

فهنا نجد مهجة شبهت ثغر ولادة بحراس الثغور، وربطت بين مبسمها المصبوغ بحمرة الشفاه وصورة حراس الثغور الذين يدافعون عن الثغور، بما يسطرونه من دم فيصبغ أجسادهم كما صبغت تلك الفتاة المحبوبة شفاهها وجملت أجزاء جسدها، لكنها طردت كل الحائمين حولها، فالثغور يحميها الحراس

1 - المديح في شعر / مريم بنت يعقوب / ص 560
2 - الذخيرة / ج 4 / ص 467
3 - الأسلوب وتطوره من النقد الأدبي عند العرب / لبشرى موسى صالح / رسالة ماجستير غير منشورة / ص 38
4 - الإحاطة في أخبار غرناطة / ص 558
5 - الأسس الجمالية في النقد الأدبي / ص 339
6 - المرأة في الشعر الأندلسي / ص 361

والجنود بما عندهم من سيوف صقيلة ورماح طويلة وولادة تحمي جسدها بما ترسمه من لواحظ سحرها ونظراتها حيث هي قريبة إلى وقع السيوف والقنا والرماح.[1]

ولعلنا نجد رقة ولطافة في التعبير، يعود على حسن ذوق الشاعرة في إخراجها للمعاني القديمة بصياغ وروح جديدة خاصة، تختلف عن معاني الشعر في تناولها للمعاني المحسوسة الدالة على صدق عاطفتها وطبيع بلادها. قد يكون ذلك سبباً في عد النقاد أبياتها من أجود الشعر وأطيبه.

وهكذا اشتملت حقائق معانيها التي تميز شعرها على رقي درجتها وسمو أفكارها ولتون ثقافتها. فاتسم شعرها بالوحدة المعنوية وأصبحت قائمة بذاتها عند أغلب الشواعر، ولما كانت المعاني العذبة تأتي ارتجالاً على لسان االشاعرة فقد كانت عفوية الخاطر متدفقة البديهة. وهكذا جاءت معاني أشعارهن التي اتسمت بطابعها المذكر ولقد كانت الشاعرة في هجائها معبرة عن حالة جيدة فاقت فيها الرجال في إتباعها أسلوب الإسفاف وترديد بعض الألفاظ التي يحرج الرجال من ذكرها.

1 - المصدر نفسه / ص 362

المطلب الخامس

الخيـال

للخيال الأدبي ارتباط وثيق بالعواطف، فالخيال القوي يحتاج إلى عاطفة قوية تعين عليه وضعف أحدهما يؤثر في ضعف الأخر، فإذا كانت العواطف مسرفة مبالغة ذهب الخيال.[1] (فملكة الخيال غامضة لا يمكن تعريفها إنما يمكن معرفتها بأثرها)[2].

وكانت المرأة ترتجل الشعر ارتجالاً، والذي نظمته دون ارتجال جاءت معانيه واضحة بسيطة، يفهمها السامع دون عناء لبيانها هذا طابعهن المميز، لكنها ادركت شأنها شأن الشعراء وتوريتها إلى التحليق في الخيال والإغراق في استعمال المحسنات البديعية كالجناس والطباق إلى الصور البيانية كالاستعارة والتشبيه. وليس الشعر صوراً وألفاظاً وعبارات فحسب، وإنما عواطف وشعور وملكات قادرة يصنعها الخيال الإبداعي فالشاعرة خلقت ثورة كبيرة من الخيال[3]، استمدتها من واقعها الطبيعي ممثلاً بطبيعة الأغراض التي خلقت فيها صور خيالها في الغزل والشكوى.

ولقد اختلفت مظاهر التشبيهات والخيال عندهن، فقد عقدت مقارنات في خيالها التصويري الإبداعي متمثلاً في عشقها الذي فتح لها باباً واسعاً في الخيال وتجسيد الصور. ووصفت شواعر الأندلس كذلك المحاسن والرغبة والميل والقبول وتصوير اللوعة في هجر الحبيب وتصوير جمال وجهه، وأثبتت جدارة في الوصف وأجادت، ولهن كذلك خيالات مبتكرة وعبارات طللية، وخصوصاً في الوصف ولكن لم يصل إلينا منه إلا بيتين لأم العلاء واصفة بستانها متعجبة بجماله:

لله بستاني إذا *** يهفو بهِ القصبُ المنَّدا

فكأنما كفُّ الريا *** ح قد أسنَدت بنداً فبندا[4]

فوصفهن جاء مبثوثاً بين الأغراض، ولم تستقل الشاعرة، إلا أن خيالهن اتسم ببعض سمات منها:

أ- المبالغة:

بالغت شواعر الأندلس في وصف الجمال الحسي للحبيب لسعة خيالهن وتفنن بتصويره فهو بدر، وغزال، وشمس الضحى وهو أخ البدر وهو شادن، وهو ريم، وربرب[5]... إلخ، هذا ما أوحى الغزل من خيال واسع لهن. وللأندلسيين باع طويل فيه، فهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً ومن النرجس عيوناً.[6] وقد غلب الخيال البديع على شعرهن، وكان من المناسب للمرأة أنها إذا تحدثت عن الهوى يكون حديثاً ساذجاً بعيداً عن المبالغة والخيال وجموحه، لكنهن حلقن في جوه، وبدأ أثره واضحاً فيه، وهذه ظاهرة غير مألوفة عند الشواعر في المجتمعات الأخرى.

---

1 - النقد الادبي / أحمد أمين / بيروت – دار الكتاب العربي – 1967م / ص 63
2 - المصدر نفسه / ص 24
3 - ظهر الإسلام / لأحمد امين / بيروت – دار الكتاب العربي / ج 3 / ص 156
4- المرأة في الشعر الأندلسي / علي سليمان / ص 364
5 - المغرب في حلى المغرب / لإبن سعيد / ص 806
6 - النقد الأدبي في كتاب فتح الطيب / ص 228 / أطروحة ماجستير / جامعة بغداد – 1977م

ويظهر تماديهن في إظهار مفاتنهن إلى جانب صفات الحبيب (وهو ما تحرص عليه أغلب النساء) لذا إتسم غزلهن بالجرأة فنزهون تصور لنا ليلة لقائها بالحبيب مع غفلة عين الرقيب أروع تصوير في تشبيه عجيب وخيال رائع مع الحبيب وخلوتها معه ومنحها من الشمس والقمر حركة الإنسان فيه خصوبة خيال وقوة إبداع. ومن الصور التي أبدعت فيها بخيالها الفياض ومبالغتها في الجمال:

لو كنْتَ تُبصرُ منْ تُكَلّمهُ *** لغدوتَ اخرسَ من خلاخِلِهِ

البدرُ يطلعُ من أزرتِهِ ***والغصنُ يمرحُفي غلائِلِهِ[1]

فوصفت محاسنها بتصوير أبدعت فيه لما أوحى لها خيالها من الإجادة في إغراق المبالغة في الإفتخار بنفسها، ووصفها بجمالها فأثبتت مقدرة في توليد الصور الخيالية الغريبة. ويقول "غرسية قوميس" في هذا السياق: (ولم يكن هذا الشعر الأندلسي مترعاً بالأخيلة فحسب، بل كان مثقلاً بها حمل منها فوق ما يطيق).[2]

ب- تميز خيالهن في الربط والتنسيق بين الدلالة الحسية والمعنوية:

لقد تميز خيالهن في الربط والتناسق بين الدلالة الحسية والمعنوية في نقل الصورة للقارئ، فأدى استخدامها قيمة جديدة أملكت المعنى الذي أرادته بصورة مثلت البيئة الأندلسية وطبيعتها كما لاحظنا أكثر ما لجأت إليه في وصف الجمال هو (الظبي والقمر) حيث الجمال والرشاقة والحور والخفة واللمعان والرفعة. وإن كانت دلالتهما جعلتهما معروفين لكل الناس، فمن هنا يمكن القول بأن جنوح خيالهن نحو الالفة والبساطة اللتين لا غنى عنهما ولا عوض بغيرهما عنهما، وجاء ذلك من عقد الصلة بين الدلالات والاستعانة بها من الواقع.[3] بل هناك صور منتزعة من واقع المجتمع الأندلسي وظروفه فإرتبطت الصور بخيالهن.

ومثال ذلك ما قالته بثينة في الشكوى من تقلب الأحوال:

وفرَّ من حولهِ تلك الجيوش كما *** تفرُّ إنْ عاينتْ صقراً عصافيرُ[4]

ويلاحظ مثل هذا الخيال في تشبيه الشيب بالصباح في بياضه وتشبيه الثغر بحراس الثغور، والفراق بالموت، والوصال وساعات باللقاء بإعتناق الرياح للأغضان، وبطء السير بسبب تقدم العمر بمشي الأسير المكبل، فخيالهن منتزع من صور واقعية حقيقية مرتبطة بدلالات حسية متناسقة ومنسجمة مع الدلالات المعنوية.

المطلب السادس

العاطفة

1 - الموسوعة الثغرية / ص 932
2 - الشعر الأندلسي / غرسية قوميس / ترجمة ص 26
3 - المرأة في الشعر الأندلسي / سلمى سليمان / ص 367.
4 - الحلة السيراء / لإبن الآبار / ص 559

عرفت الشاعرة الأندلسية برجاحة عقلها وعمق ثقافتها، لكنها أظهرت تفاعلاً مع عواطفها، فالمرأة كونها أكثر عاطفة من الرجل وأرهف إحساساً منه. فالمرأة الأندلسية لم تقو على كتمان عاطفتها ولم تستطع إضمار بعضها، فمن هنا نجد شعرها متلوناً بألوان من الحب والكره. متسماً بطابع الحزن والألم تارة، والفرح والدعابة والظرف تارة أخرى، وذلك لكونها لم تكتب عن الفراغ المطلق.[1]

ولقد أظهرت في أبياتها (لمحات صورت أخذ العواطف الإنسانية)[2] وسلسلت فكرتها فبثتها عن طريق مشاعرها فجاء فنها جميلاً متسماً بصرامة مشاعرها مع سهولة عواطفها، متناسباً مع تفكيرها وقدرتها في التعبير، ونقل الأفكار العاطفية نقلاً صحيحاً، ويبدو أنها أدركت أن فقدان العاطفة في الشعر ترتب عليه أن يصير الشعر جافاً، فقد قيل أن (خير الشعر ما كان مزيجاً من عاطفة وعقل معاً).[3]

ويقول البروفيسور رينولد نيلكسن (ولعل أكثر مظاهر الشعر الأندلسي إمتاعاً هي المشاعر الرومانسية الرقيقة التي ظهرت في أغاني الحب).[4] وذلك لأن المرأة ملكت من الحرية والجراة في التعبير عن عواطفها وخوالج نفسها دون تقيد بالتقاليد المتبعة. فظهرت عاشقة مولعة طغت فيه عاطفتها على قلبها وتفكيرها، فظهرت نغمتها الحزينة على فراق الحبيب، كما لمحت عن أفراح الغرام وسعادة اللقاء، وأظهرت القلق من إزعاج الوشاة والرقباء. ضمنت كل ذلك تباريح هواها وبلواها بقوة تجربتها وتأجج عاطفتها. نلمس تلون نغمة العاطفة بين حزن الفراق وهجر الحبيب، وبين تحلق القلب وطيرانه فرحاً واستبشارات بقربه في قول نزهون:

حَفِظَ اللهُ حبيباً *** نزحا خشيةَ الهجرِ

جاءت البشرى لهُ *** فانشرحا عندها صدري

واستطارَ القلبُ مني *** فرحاً ثمَّ لم أدري[5]

فوجدناها تصرح بشعورها تجاه الرجل من حب وجفوة وعتاب وتتحسس جمال جسده وتسجله، ولم تأبه من استدعاء الناس لمشاركتها في عواطفها في التحسس، وهذا لون جديد نألفه عند غيرها من النساء[6]، لذا كان متميزة في عواطفها فريدة طريقة التعبير عن انفعالاتها. فبعد ان (أحبت الأميرة أم الكرام بنت المعتصم، مراهقاً جميلاً يدعى السمار، عبرت عن حبها في أبياتها)[7] التي جسدت فيها صدق عاطفتها ورقة إحساسها.

---

1 - المرأة في الشعر الأندلسي / ص 367
2 - الشعر الأندلسي / لغرسية قوميس / ص 47
3 - موسيقى الشعر العربي / إبراهيم أنيس / ط 3 - 1965م / ص 16
4 - تارخ الأدب العباسي / نلكسن / ت: صفاء فلوصي / مطبعة أسعد – 1967م / ص 231 - 234
5- المرأة في الشعر الأندلسي / سلمى سليمان / ص 368
6- شاعرات عربيات / روحية القليني / الدار القومية للطباعة / ص 28
7- الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر / هنري بيبرس / ص 429

ومن الشواعر اللائي اكتظ شعرهن بالشعور، وفاض بالعواطف ولادة بنت المستكفي، لذا سماها النقاد (عليه الأندلس) لقد احبت وتغزلت فخلفت وراءها شعراً رائعاً جميلاً وتفننت في تصوير مشاعرها فجاء نبض عاطفتها قوياً ومؤثراً ضاهت فيه الرجال ومن الشاعرات اللواتي أظهرن عنف ولادة نفسها تجاه علاقتها بالرجال والشاعرة مهجة.[1]

وأما من حيث المشاعر فإننا نلمس تفاوتاً متبايناً بين الشواعر من حيث قوة العاطفة وحرارة التجارب وصدق المشاعر، وقد يعود ذلك إلى موقف الشاعرة من الأحداث وظروفها النفسية ودوافع القول وشدة الحافز وهذا ما ذهب إليه هنري بيبرس.[2]

كما احدثت الطبيعة حساً شعورياً دل على رقي عاطفتها التي تمثلت بالإرهاف العاطفي الطبيعي والتجاوب الذاتي. لقد أظهرت الشواعر إباحية عاطفية سرت بينهن واكتنفت مشاعرهن فكان للمجون نصيب من عاطفتهن وذلك أنهن لم يترفعن عن الهجاء فهاجت في نفس الشاعرة خواطرها التي دلت على بديهتها.

والعاطفة التي صدرت من المرأة نحو الرجل لم تنحصر نحو المرأة نفسها في الغزل والمدح والهجاء، ولقد عبرت قسمونة في بيتين عما جاشت به نفسها وضمره قلبها من التجربة باعثاً على حرارة العاطفة. ونجد المراة كتبت عن رقة العاطفة وخاطبت العواطف في أغلب الأحوال واستثارت العواطف والوجدان.[3]

أما في المدح فربما تكون مزيفة العواطف لأنها كانت مكتسبة في الأغلب راغبة في العطاء والنوال. ولقد مثلت في بعض أغراضها إستقراراً عاطفياً منبعثاً من صدق تجربتها ورقة عاطفتها وحرارة إحساسها، فالتجارب الشعرية للمرأة تختلف بإختلاف (حدة الانفعال وقدرة التعبير عن ذلك الانفعال).[4] فسلكت في منهجية تجاربها تلون إنفعالاتها واختلاف تجاربها بين حب وكره وتأجيج الحسرة والندم وجعلت الأبيات تتقد حرارة على مر العصور.[5]

المطلب السابع

الموسيقى الشعرية

1- نفح الطيب / للمقري / ج 5 / 339
2 - المفيد في الأدب العربي / لجوزيف الهاشم ورفاقه / ج 1 / ط 1 – بيروت / ص 29
3 - موسيقى شعر العرب / ص 7
4 - الإسلام والشعر / سامي مكي / الكويت – عالم المعرفة – 1983م / ص 420
5 الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير / محمد رجب البيومي / ص 221

لم يحل شعر النساء في الأندلس من تلوين لفظي ومعنوي عفوياً جاء أم مقصوداً، وقد يكون أبرز ما أبدعت الشواعر الموسيقى الرشيقة التي حملت النقاد على تشبيه شواعر الأندلس بشواعر المشرق الكبار كـ (عليه والخنساء).[1]

وحين تكون المغنية للشعر هي المرأة الشاعرة تكون العوامل الباعثة على تهذيبه وتقويمه ورعاية قوانينه حستة قد توافرت له وساعدت على أن تدفعه إلى الأمام بيد قوية.[2] (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الزي يسلس له القول عليه)[3] ولكن يتهيأ لنا أن الأندلسية لم تكن من هذا النوع من الشعراء في إعدادها لأبياتها فقد كانت ربعة الخاطر تنشده ببديهة أعجزت كبار الشعراء عنها.

ولما كانت الموسيقى التي هي (لب الشعر وعماده الذي لا تقوم له قائمة بدونها)[4] رأينا من السمات الفنية في شعرهن أن بعضهن تعمدن إستعمال أوزان خفيفة وبحور مجزوءة وسهلة تصور حياتهن وتناسب ذوقهن ورهاة حسن. ولا سيما في الغزل سواء في الأبيات أو الموشحات كقول أم الكرام في استعمالها البحر السريع عندما تعزلت:

يا معشرَ الناسِ ألا فأعجَبُوا *** مما جَنَتْهُ لوعةُ الحب

لولاه لم ينزل بدر الدجى *** من أفقِهِ العلوي للترب

حسبي بمن أهواه لو أنه *** فارقني تابعه قلبي[5]

وهكذا عندما اعتمدت الشاعرة نزهون في موشحتها لطريقة والتي اشتملت فضلاً عن خفة الوزن ورقة العاطفة، وجمال الصورة، وحلاوة اللفظ حيث اتسمت بنغم خفيف وحروف لينة. وتأتي القافية بإيقاعها وحسن تلاؤمها مع القيمة الصوتية للأبيات جميعاً ميزة أخرى للجوانب الموسيقية في الشعر، والشاعرة، إلى جانب ذلك قد تتوسل لتحقيق الإبداع النغمي لما يخلق تأثيراً في نفوس السامعين بوسائل عديدة وطرق مختلفة.[6]

ولقد اتصفت أشعارهن بالموسيقية العالية ولا سيما في الغزل التي اعتمدت فيه على التناغم الداخلي وتكرار حروف فيها همس أو رنين وكسبت الأبيات تومجاً صوتياً تحس به الأذن وترتاح إليه النفس فقد كررت ولادة مثلاً حرف القاف ثماني عشرة مرة في خمسة أبيات فقط وأننا نعرف أن حرف القاف ذو نغم حاد واهتزاز وطقطقة يدل على رغبة في رفع الصوت والانتباه، فقد كررت هذا الحرف في

1 - الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر / ص 400
2 - تاريخ الأدب العربي في الأندلس / ص 243
3 - عيار الشعر / ص 5
4 - فصول في الشعر ونقده / شوقي ضيف / القاهرة – دار المعارف – 1971م / ص 29
5 - نزهة الجلساء / للسيوطي / ص 2
6 - الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، ص 347

هذه القطعة مرتين في البيت الأول وثلاث مرات في الثاني وخمس مرات في الثالث وأربع مرات في الرابع، وأربع مرات فقي الخامس. ومطلع القصيدة هي:

ألا هل لنا من بعدِ هذا التفرقِ *** سبيل فيشكو كلُّ صب ما لَقَى [1]

كما عمدت بثينة بنت المعتمد في قصيدة لها في الفخر إلى تكرار حروف عدة ذات صوت عإلى كالقاف والراء والسين والدال لتصنع ذلك التناغم الداخلي والتناسق الصوتي الضمني في أبياتها:

مَنْ عزا المجدَ إلبيناَ قد صدقْ *** لَمْ يَلمْ من قالَ مهما قالَ حقُ

مجدُنا الشمسُ سناءً وسنى *** مَن يرم سِتَر سناها لم يُطقْ

أيها الناعي إليها مجدَنَا *** هل يضرُ المجدُ إن خطبٌ طَرَقَّ[2]

حين كررت بها حرف القاف خمس مرات، وحرف السين خمس مرات والنون أربع مرات، كما كررت حروف الراء والدال مرات عدة في قصيدتها. وليس تكرار الحروف قبيحاً إلا حين يبالغ فيه وحين يقع في مواضع الكلمات يجعل النطق بها عسيراً، فالمهارة هنا في حسن توزيع الحروف حين يتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات ي نوتته.[3]

أما التكرار اللفظي فله أمثلة منها قول بثينة، فقد عنيت بهذا الصوت لأهميته ولإيجاد التأثير في تعزيز ذاتية المخاطب تقول:

يَحُلُ سوُء بقومٍ لا مردَّ له *** وما تُرَدُّ من اللهِ المقاديرُ [4]

فقد أضافت تكرار صوت (لا مرد) و(ما ترد) نغمة موسيقية أفادت التهويل والتنغيم مع إعطاء معنى الملامزمة والدمومة. ومثله قول ولادة التي جاءت في ألفاظها محاججة منطقية فتكرار لفظة (جرح يجرح) أحدث قوة تأثيرية، وعن طريق المقابلة أضافت الأصوات حمساً موسيقياً إنبعثت من ثناياه:

لحاظكُمْ تجرحُنا في الحَشا *** ولحظنا يجرحُكُمْ في الخدودِ

جرحٌ بجرحٌ فأجعلوه ذا بذا *** فما الذي أوجبَ جرحَ الصدودِ [5]

فاعتماد الشواعر على الأنغام الموسيقية وحلاوة الجرس، يدل على شعور مرهف وتمكن. فقد ألفن بين الكلمة والقافية بالموسيقى المناسبة فكن حقاً شواعر ذوات مواهب بعد أن توسعت أغراضهن وإتسعت موضوعاتهن.

المطلب الثامن

بنـاء القصيدة

1 - الفن ومذاهبه / ص 80
2 - الحلة السيراء / لإب الآبار / ص 560
3 - موسيقى الشعر / ص 41
4 - الموسوعة الشعرية / الحلة السيراء / لإبن الآبار / ص 560
5 - الموسوعة الشعرية / زهرة الجلساء / للسيوطي / ص 74

اختارت المرأة لنفسها أن تقتدي بكبار شعراء زمانها واختارت مقدمة قصائدها والتي غلب عليها رقة الشعر وعذوبته. وها هي نزهون القرناطية تصف ليلة جمعت في قصيدتها المناظرة والمحاضرة والقول الفني الذي اختارت له قوالب المعاني وتختارت مطلعاً مباشراً من محيط نشأتها والمجتمع إلى وضعت نفسها فيه. فقالت تصف تلك الليلة:

لله در الليالي ما أحيسنَها *** وما أحسنَ منها ليلة الأحدِ [1]

ومما لا شك فيه أن هذا الجانب الذي نعتبره مشرقاً في شعر نزهون يدل على موهبة خفية، ونراها في موضع ترد على المخزومي السليط اللسان الذي قد أفحش في هجائها، فاختارت مقدمة لقصيدتها هي في جملتها من سمات الهجاء والأبيات قد وردت في موضع آخر، وفيها تقول نزهون:

إن كان ما قلتُ حقاً *** من بعض عهد كريم

فصار ذكرى ذميماً *** يعزى إلى كلِّ لوم

وصرت أقبح شئ *** من صورة المخزومي [2]

ومن حسن المطالع ما قالته (حمدونة بنت زياد) تصف وادي آش بسحره وجماله وريحانه ونضرته فقدمت أبياتاً في غاية الإتقان، واختارت لها مقدمة من صميم بيئتها فهي ابنة الوادي الوارف الظلال. قالت حمدونة:

أباح الدمعُ أسراري بوادي *** له للحسنِ آثار بوادي [3]

وفي إشبيلية كانت هناك شاعرة اسمها (أسماء العامرية) عاشت في إشبيلية ومن قصيدة بعثت بها إلى عبد المؤمن بن على. ملك الموحدين تطلب فيها رفع ما وقع على أموالها من اعتقال وصدرتها بمقدمة تشكو فيها حالها إلى الحاكم القاضي، فتقول:

عرفنا النصرَ والفتح المبينا *** لسيدنا أمير المؤمنيا[4]

وهناك شاعرة تدعى (قسمونة) وهي فتاة يهودية قاست من الوحدة وانعدام القرين مع جمال الشباب، فنظرت في المرأة يوماً وهي في شرخ شبابها ولم تتزوج بعد فحزنت على زمان مضى، فصدرت قصيدتها بمقدمة تعبر عن إحساس بالحرمان أنشدت تقول:

أرى روضة قد حان منها قطافها *** ولست أرى جانِ يمد لها يدا [5]

---

[1] - المختار من الشعر الأندلسي / محمد رضوان / دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان – ط 3 / ص 182

2- الإحاطة / ص 225

3- نفح الطيب / ج 5 / ص 73

4- نفح الطيب / ج 5 / ص 75

[5] - الذخيرة / ج 1 / ص 145

وهذه ولادة قد أنشأت أبياتها في مقام الغيرة. والاحتجاج المهذب فكثيراً ما كانت تترجم عن مشاعرها تجاه إبن زيدون، وحبها إياه، فصدرت أبياتها بمقدمة رقيقة، جمعت بين الصبابة والشكوى فنراها قد هجمت على الموضوع هجوماً فقالت بعبرة تشكو صبابتها:

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق *** سبيلٌ فيشكو كل صب بما لَقَى [1]

فهي تحسن الإفصاح عن عواطفها في غير تعثر أو تصنع، وإنما تبدو المعاني طوع يديها غير عامدة إلى النحت أو التصوير إنما مستهدفة حسن التعبير. ولعلنا نلاحظ أن الشاعرة الأندلسية جانست بين المقدمة والاستهلال والخاتمة، فرسمت صورة محكمة لنهاية قصائدها من ذلك قول ولادة شاكية فراق صاحبها إبن زيدون وقد غاب عنها بعض الوقت:

سقى اللهُ أرضاً قد غدت لك منزلاً *** بكل سكوبٍ هاطلِ الوبلِ مُغدقِ [2]

ومن قصيدة (مريم بن يعقوب الأنصاري) تمدح فيها الأمير المهدي الذي بعث إليها عدداً من الدنانير، وخلع عليها من أدبه فقالت له رداً على ذلك الصنيع:

من كان والدهُ العضبُ المهندُ لمْ *** يلد من النسلِ غير البيضِ والاسلِ[3]

هذا الشعر وإن يكن مصطنعاً لرد تحية وعرفان جميل ختمته الشاعرة مريم بالمدح والثناء على من له أيادٍ سابقة عليها.

ومن هذا المنطلق يجدر بنا أن نشير إلى سؤال ألا وهو: هل استطاع شعراء الأندلس وشاعراتها أن يقدموا قصائد تتوفر فيها الوحدة الفنية والبناء التام للقصيدة الأندلسية من حيث الاستهلال والتخلص والخاتمة.

ولعل الإجابة تكمن في تلك الشدرات التي اقتطفناها من دواوين بعض الشعراء فقد صدقوا في هذا المفهوم وفازوا بالسبق على غيرهم.

المبحث الثالث

[1] - نفح الطيب / ج 3 / ص 338
2- المصدر نفسه والصفحة
3- الأغاني / ط 6/ ص 286

المـوشحـات

ظهور الموشحات:

الموشحات فن أنيق من فنون الشعر العربي، إتخذ قوالب بعينها في نطاق تعدد الأوزان الشعرية وكان ظهوره بأرض الأندلس. وقد اتسعت الموشحات لإحتضان كل الموضوعات والنقاد القدامى حددوا فنون الشعر بسبعة حدود، وجعلوا الموشح واحداً من هذه الفنون التي حصروها في الشعر.[1]

فالموشح فن أندلسي خالص النشأة والموشحات منسوبة إلى شعرائها الكثيرين العديدين أمثال (الأعمى وابن زمرك ولسان الدين بن الخطيب) والموشحة صالحة لأن تُغنَى وذلك لتنوع ألحانها وسهولة كلمات الأغنية، وكلماتها الموسيقية ذات الجرس الرخيم ومعانيهاا لتي لا يحتاج معها إلى جهد كبير لكي تُفهم. كل ذلك يشكل بناء بناءً منسجماً لأنية حسنة يملح ترنيمها ويجاد تدقيقها وتجمل ترديدها فإذا أضفنا كلمة عاصية فإن ذلك كله يسهم في إكمال الصورة الغنائية الموسيقية، والموشحة نشأت أصلاً لكي تكون في خدمة الغناء في الأندلس، أما في المشرق فلم يكن المستمع في حاجة إلى الشعر السهل والقافية المنوعة لأنه يستمع إلى الشعر النابع من البيئة.[2]

ومما لا يدعوا مجالاً للشك في ان فن التوشيح قد نشأ في الأندلس إبتداءاً بإبن بسام في الذخيرة، وإنتهائاً بالمقري في نفح الطيب.[3] وأول من ابتدع الموشحة، فيما يذكر المؤرخ الأدبي الأندلسي ويجئ إسم أحمد بن عبد ربه، صاحب العقد الفريد في مقدمة مبتدعي هذا الفن، ولكن لم تحدد المصادر تأكيداً لموشحاته.

ونجد أن كبار الشعراء ترفعوا من الخوض في مجال الموشحات بالتأليف على أوزانه وقوافيه. كإبن دراج القسطلي، وإبن زيدون، وإبن خفاجة الأندلسي. وغيرهم لانهم وجدوا في التأليف على طريقته نزولاً بمستواهم الفني إلى المستوى الشعبي لأن الموشحات فن دون مستوى الشعر وفوق مستوى الرجل.[4] ثم تطور الزمن وتغيرت نظرة المؤرخين والنقد لفن التوشيح فبدأوا في التاريخ له وذروه ضمن كتبهم كالحجاري وإبن خطيب الذي ألف كتاباً في التوشيح سماه جيش التوشيح وإبن خلدون في مقدمته وغيره كثيرون مما أولوا اهتماماً خاصاً بفن التوشيح.[5]

وذهب بعض الباحثين إلى أن لفن التوشيح علاقة بالشعر الأسباني القديم الذي كان ينشده شعراء جنوبي فرنسا المعروفون بشعراء (التروبادور) غير أن هذا الرأي تنقصه الحجة المقنعة، والمؤرخون في

1- توشيح التوشيح / صلاح الدين الصفدي / ت: حبيب مطلق / بيروت – دار الثقافة – ط 1 / 1966م / ص 20
2- الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها / لسليم الحصر/ منشورات الحياة – بيروت / ص 156
3- الذخيرة / ص 121
4- توشيح التوشيح / صلاح الدين الصفدي / ص 20
5- مقدمة إبن خلدون / ص 137 - بحث مقدم من الأستاذ جوليان ربيرا كتبه عن إبن قزمان

الأدب العربي يرجعون الفضل في نشأة الموشحات إلى الأندلسيين أنفسهم دون غيرهم، ومنهم إبن بسام في الذخيرة وصلاح الدين الصفدي في توشيح التوشيح.

أسباب تسمية الموشحة:

أصل الكلمة اللغوي الوشاح من حلى النساء والوشاح مرصع باللؤلؤ والجواهر منظومان بطريقة جميلة مخالف بينهما معطوف احدهما على الأخر تتوشح به المراة. ويقول الجوهري في الصحاح أنه شئ ينسج من أديم عريض يرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها.ومعظم الآراء في سبب التسمية تدور حول هذا المعنى اللغوي للكلمة.

ويرى الرافعي أن هذه اللفظة منقولة من قولهم ثوب موشح وذلك لوشي يكون فيه فكأن هذه الأسباط والأغصان التي يزينونه بها هي من الكلام في سبيل الوشي من الثوب صارت اللفظة بعد ذلك علماً.

من كل ذلك يتضح لنا أن الموشحة مأخوذة من الوشاح الذي ترتديه المرأة وهو مزركش ومنمق بألوانه المختلفة لذلك تعددت اوزانه وقوافيه وتنوعت لتنوع أنواع الوشاح.

مخترع الموشح:

ذكر الأستاذ ربيرا Ribera يقول أن أكثر البيوت الأندلسية كانت تضم نساء من جلقية ؛لأنهن عرفن أكثر من غيرهن بالجمال وكثير من المزايا الأخرى وأن هؤلاء الجليقيات كن يغنين بلغتهن في الحفلات ويهدهدن أطفالهن في المنازل فمن الممكن ان تكون الموشحات الأولى قد تأثرت ببعض الأغنيات الخفيفة القديمة.[1]

لذلك ثبت أنه كان لليهود المعايشين للمسلمين في الأندلس بعض الأناشيد الدينية مثل البزمون Pizmon وهذه الأناشيد الدينية تشبه بعض الموشحات وقد نفى الأستاذ ميلياس المستشرق الأسباني المتخصص في الدراسات العبرية فهو يستبعد ذلك أن يتأثر المسلمون بشئ يهودي فهم قد عرف عنهم التعصب الشديد والنفرة الواضحة مما يشوب العقيدة، بل من المذاهب اللفقهية المخالفة لمذاهبهم مما لا يدعو شكاً أنهم لم يتأثروا بما في أيدي إليهود. والذي يمكن الإطمئنان إليه أن هذه الموشحات بينت على أغنيات أندلسية محلية واستوحت بعض الأغاني الأندلسية الشعبية التي لم يسجلها المؤرخون فمن المعقول أن للأندلسيين أغاني شعبية كأي شعب له أغانيه.

[1]- Discrtacion. Y. opusclos. Vol.IpyJulian Ribera, page 5.

والمعقول أن تكون هذه الأغاني متنوعة القافية وكذا فنظمت باللغة العأمية الأندلسية وأن مخترع الموشحات قد أفاد من هذه الأغنيات الشعبية.[1]

واختلف المؤرخون حول مخترع الموشحفمنهم رأى أن أول من اخترع الموشح هو محمد بن حمود الغبري الضرير. ومنهم من رأى أن ابن بسام في الذخيرة. زمنهم من ذهب إلى أن مخترع الموشح هو مقدم بن معافي الغبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ثم أول من برع فيه (عباده القزاز) شاعر المعتصم بن صمادح وذلك ما ذكره ابن خلدون في مقدمته. ومنهم من ذهب إلى أن مخترع الموشح هو الشاعر عبد الله المعتز العباسي لعثورهم على موشحة في ديوانه مما دفعهم إلى القول بهذا الرأي.[2] وما يهمنا هنا أنه جرت محاولات في فن التوشيح قبل القرن الرابع الهجري ثم ثم ازدهر هذا الفن في القرن الرابع وتتابع الوشاحون بعد ذلك ومن أشهرهم لسان الدين الخطيب الذي شاعت الموشحات باسمه.

أجزاء الموشح:

إتخذ الموشح من حيث بناؤه شكلاً مقنعاً بحيث كل موشح يشتمل على أجزاء بعينها في نطاق مسميات اصطلح المشتغلون بفن التوشيح عليها وهي:

1- المصطلح أو المذهب.
2- الدور.
3- السمط.
4- القفل.
5- البيت.
6- الغصن.
7- الخرجة.

وحتى نستطيع توضيح هذه الأجزاء من الموشحة فإنه قد يحسن بنا أن نقدم موشحة ثم نشير إلى كل جزء من أجزائها في نطاق المصطلحات التي مر ذكرها وقد إخترنا موشحة قصيرة لابن مهلهل التي يصف فيها الطبيعة وصفاً رقيقاً.

النهرُ سلَّ حُساماً *** على قُدود الغُصون

وللنسيم مجالُ

الروضُ فيه اختيالُ

مُدت عليه ظِلالُ

والزهرُ سق كماماً *** وجدً بتلك اللحونِ (الدور + القفل = البيت)

1- النفح / ص 96

2- أنظر توشيح التوشيح / لصلاح الدين الصفدي / تحقيق البير مطلق ط بيروت – 1966م / ص 96

أما ترى الطيرُ صباحاً

والصبح في الأفقِ لاحا

والزهر في الروض فاحا

والبرق ساق الغماما *** يبكي بدمعِ هُتون

1/ المطلع:

أو المذهب كلاهما يطلق على الموشحة الذي يتكون من شطرين أو أربعة أشطر وهو هنا يتكون من قسمين أو شطرين أو غصنين وهما

النهرُ سلَّ حُساماً *** على قُدود الغُصون

وقد تختلف قافية الغصن كما هو الحال في المثال السابق وقد تتفق – والمطلع أو المذهب ليس ضرورياً في الموشحة فقد تبدأ في بعض الموشحات بدور مباشرة في هذه الحال وهذا يطلق على صفة الموشح الأقرع.

2/ الدور:

مجموع الأبيات التي تلي المطلع وإن كان الموشح أقرع فإن الدور يقع في مستهل الموشح ويتكون الدور من مجموعة من الأقسمة لا تقل عن ثلاثة بشرط أن تتكرر بنفس العدد في بقية الموشح وأن تكون من وزن المطلع ولكن بقافية مختلفة من قافيته وتلتزم في أشطر الدور الواحد. والدور في الموشح موضع التمثيل هو:

وللنسيم مجالُ

الروضُ فيه اختيالُ

مُدت عليه ظِلالُ

3/ السمط:

هو كل شطر من أشطر الدور وقد يكون السمط مكوناً من فقرة واحدة كما هو الحال في هذا الموشح وربما تألف من فقرتين.

4/ القفل:

هو ما يلي الدور مباشرة وهو شبيه بالمطلع في الموشح التام من جميع النواحي أي أنه شبيه في القوافي وعدد الأغصان وليست الموشحة مشروطة بعدد ثابت من الأقفال وقد جرت على أن يكون للموشحة خمسة أقفال والقفل هنا هو:

والزهرُ سق كماماً *** وجدً بتلك اللحونِ

5/ البيت:

هو غيره في القصيدة فالبيت في القصيدة معروف وأما في الموشحة فيتكون البيت من الدور مضافاً إليه القفل الذي يليه لذلك فالبيت في هذا الموشح هو:

وللنسيم مجالُ

الروضُ فيه اختيالُ

مُدت عليه ظِلالُ

6/ الغصن:

هو كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة تساوي الأغصان عدداً وترتيباً وقافية في كل موشحة وقلما يشذ الوشاح عن هذه القاعدة وأقل عدد الأغصان في أية موشحة وبالتالي فإن الأقفال والخرجة اثنان وكما سبق القول يجوز ان تتفق قافية الغصن ويجوز أن يختلف على أنه من المألوف أن تتكون أقفال الموشح من أربعة أغصان.

7/ الخرجة:

وهي أخر قفل في الموشحة غير أنها تقع في أخر الموشحة وهي وما سبقها من أقفال تشكل أجزاء أساسية في بناء الموشحة وبدون الأقفال والخرجة لا يمكن تسمية المنظومة موشحاً. والخرجة نوعان، خرجة معربة وهي التي تكون فصيحة في اللفظ بعيد عن العأمية، وخرجة عأمية أو أعجمية الألفاظ وهي المفضلة المستحسنة وقد كان الأندلسيون والمشارقة يستحسنونها. ولكي نزيد أجزاء الموشحة أيضاًحاً فإننا نقدمها على هذا النمط من الخطوط التي تحل محل أجزائها باستثناء الخرجة[1] لأن موضعها معلوم.

		غصن	غصن	الغصنان يشكلان المطلع أو المذهب
بيت	دور		سمط	
			سمط	
			سمط	
		غصن	غصن	الغصنان يشكلان القفل

1- الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها / ص 16

من المواضيع التي طرقتها الشاعرة الأندلسية في التوشيح من الهجاء وهجاءهن اتسم بخفة الروح والتكلفة البارعة مع السخرية اللاذعة حيناً والفكاهة الخفيفة حيناً أخر والهجاء المفزوع الفاحش الذي لا يليق بالأدب والذوق الفني الرفيع ومن ذلك قول نزهون الغرناطية وكان أن خطبها رجل ذميم الصورة بشعاً فقالت تعدد معانيه:

عزيزى من عاشق *** سفيه الإشارة

يروم الوصال ولواتي *** والصفح لم يصفح

برأس فقير إلى كية *** ووجه فقير إلى مرتع [1]

أحس المنصور أن حواراً بين عاشقين يجري أمامه وفي حضرته بين وزيره أبو المغيرة إبن حزم وقينته أنس القلوب وكان يؤثرها وتتولد غيرة في كبده ويمسك مقبض سيفه بيده ويسألها في غلظة عمن قصدته بأبياتها وغزلها فتبكي أنس القلوب أمام أميرها وتقول في فصاحة وتأدب إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة.

ثم تردف منشدة في جنبات السرور:

أذنبت ذنباً عظيماً *** فكيف منك اعتذاري

والله قدر هذا *** ولم يكن باختياري

والعفو أحسن شئ *** يكون عند اقتدار

وإن لم يكن في موشحة نزهون من جودة الصوغ بقدر ما فيه من رقة المعنى وسهولته فقد كان إيقاعه لحناً وغناءً، وهو مطلب حفلت به مدن الأندلس وصورة مضيئة لإبداع المرأة الأندلسية في فن التوشيح.

الغزل:

الغزل أول من نظم الأندلسيون فيه موشحاتهم وهو الميدان الذي بدأ فن التوشيح ينمو في رحابه وذلك لأن قيود القوافي في الموشحة وفي معظم البيت الواحد أكثر من قيودها في القصيدة العادية على أن ابن سهل الإسرائيلي الذي سحر الناس بشعره في الغزل أو الطبيعة وصاغ من رقيق المعاني ورسم من بديع الصور وجعل الناس يقولون عن عندما مات غرقاً لقد عاد الدر إلى أصله.[2] وهذا الشاعر عندما طرق موضوعات الموشحات على تأخير زمانه استطاع ان يشد إنتباه النقاد والمتذوقين إلى آفاق موشحاته بما صاغ فيها من رقيق المعاني وخصب الخيال بل أن كثيراً من الوشاحين الكبار إتخذوا من موشحاته

1- نفح الطيب / ج 1 / ص 265
2- المغرب / ج 1 / ص 267

مثلاً أعلى فقالوا ونظموا على مثالها فالشاعر الكاتب الوزير لسان الدين بن الخطيب كان واحداً من هؤلاء الذين فتنوا بموشحات إبن سهل فأنشأ موشحته المشهورة في مدح الغني بالله على نسق هذه الموشحة العذبة الرقيقة البارعة التي جمع فيها ابن سهل بين اللعب بالألفاظ والألحاظ وبين الغوص في أعماق المعاني وأعذبها فيقول:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى *** قلبُ صبَّ حله عن مكنسِ

توشيح الوصف:

قام الغزال بسفارة قرطبة لدى إمبراطور البيزنطيين خير قيام وكان يصحبه في تلك المهمة السياسية أندلسي عالم يسمى يحي بن حبيب ولكن شخصية الغزال القوية جعلت كل شئ في تلك السفارة التي خلفت شعراء من خير ما جادت به قريحة الشاعر. فقد هاج البحر والغزال وصاحبه يركبان السفينة في إتجاه القسطنطينية، وأحدق به الخطر، فأشتدت العاصفة وعلا الموج فقال الغزال واصفاً ذلك:

قال لي يحي وصرنا *** بين موج كاجبال

وتوالت لنا رياح *** من دبور وشمال

شقت القلعتين وأنبتت *** عرا تلك الجبال [1]

ثم نجا الغزال وصاحبه ووصلا إلى حيث أرسلا وتهيأ الإمبراطور البيزنطي لإستقبال سفير عبد الرحمن الأوسط وأخبر الغزال بتقاليد بلاط بيزنطة التي تقضي بأن يدخل الزائر على الإمبراطور ساجداً فرفض الغزال وإشترط ألا يخرج وهو وصاحبه عن شئ عن سنتها فوافق صاحبه على ذلك ولكن المسؤولون في بلاط القسطنطينية تحايلوا فجعلوا المدخل المؤدي إلى الإمبراطورية منخفضاً حتى لا يدخله داخل إلا راكعاً فلما جاء الغزال إلى الدخول ورأى الباب كذلك جلس ومد قدميه وزحف حتى دخل من الباب ثم إستوى قائماً ثم حيا الإمبراطور بكلمة ترجمت له فاعجب بها وقال هذا حكيم من حكماء القوم وداهية من دهاهم أردنا أن نزله فقابل وجوهنا بنعليه.

توشيح الهجاء:

انتهت حياة سعيد بن الجودي نهاية محزنة وقد كان فارساً قوياً شجاعاً حيث قتله بعض حاسديه غدراً سنة 284هـ ولكيلا يؤاخذوا بجريمة قتله إدعوا أنه تحدى إمبراطور وأمير قرطبة عبد الله بن محمد وإدعوا أنه قال فيه الأبيات ولعلها قد نسبت إليه:

قل لعبد الله يجدد في الهرب *** نجم الثائر من وادي القصبْ

يا بني مروان خلوا ملكنا *** إنما الملك لأبناء العرب

1- الإسلام في المغرب والأندلس / ليفن برو فنسال / ترجمة عن الفرنسية الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي والدكتور لطفي عبد البديع / ص 95 - 114

قربوا الورد المحلى بالذهب *** واسرجوه إن نجمي قد غلب [1]

وإبن الجودي في موشحته يميل إلى الغنائية المرهفة فيختار الألفاظ ويصقل التراكيب ويملأ حنايا شعره بالعاطفة حتى إن جميع أشعاره تصلح للغناء والتلحين.

توشيح الرثاء:

وضعت الموشحة أصلاً للتغني بها وهي تدل على ما يبعث في النفس من نشوة وفي الروح بهجة وفي مجالس الغناء طرباً،وفي مواطن الخمر والمجون لذا كان من الطبيعي والمعقول أن تكون الموشحة للتعبير عن الآلام والأحزان والأسى واللوعة ولفراق حبيب أو موت عزيز إذا حاولوا الوشاحون ذلك فإنهم يركبون مركباً صعباً ويرتادون طريقاً وعراً حتى ولو استطاعوا التعبير عن ذلك فإنهم لا يكونون صادقي الإحساس والمشاعر نحو من فقدهم بل تجد رثاءً فاتراً وتأبيناً خفيفاً لا يهتم إلا بالصفات الجليلة التي تخلع على الميت حتى أننا لو حذفنا بعض ما في الموشحة لصارت موشحة للمدح لا للرثاء.

وموشحة أبي الحسن على بن حزمون خير دليل على صحة ما ذهبنا إليه:

يا عين بكى السراجْ *** الأزهرا النيزا اللامعْ
وكان نعم الرثاج *** مكسراً كما تنثرا مدامعْ
من آل سعيد أغر *** مثل الشهاب المتقدْ
بكى جميع البشر *** عليه لما أن فقدْ
والمشرفي الذكرْ *** والسمهري المطرد [2]
شق الصفوف وكرْ *** على العدو متئدْ

أدرك ابن حمزون دقة موقفه وخطورة ما هو مقدم عليه ومن ثم فقد اعتمد على يراعة الصوغ ومحاولة شدِّأنظار القارئ إلى صنعته الباهرة وصياغته الجذابة فعمد إلى التشطير والتلوين اللفظي والوزني داخل البيت الواحد وصوغها بقوالب أنشئت أصلاً للبهجة والفرح وليس للوشاح من بأس إذا فشل أن يحزن.

توشيح الخمر:

والوشاحون هم الذين أجادوا في معاني الخمر هم أنفسهم الشعراء الذين رويت مقطوعات في ذلك الميدان من القول فأعجب بها النقاد والمتأدبون ولا تكاد تخرج معاني الخمر في التوشيح عن معانيها في القصائد والمقطوعات الشعرية وفي مقدمة الشعراء الوشاحين الذين أحسنوا القول في هذا السبيل يحي

1- نفس المصدر السابق والصفحة
2- السمهري: الرمح الصليب العود

القرطبي المتوفي عام 540هـ والذي مضى حياته بين الكأس والوتر وله شعر رقيق وموشحات عذبة من أرق مورشحته في الخمر:

أدر لنا أكواب *** ينسى بها الوجد

وإستصحب الجلاس *** كما إقتض العهد

دن بالهوى شرعاً *** ما عشت يا صاحي

ونزه السمعا *** عن منطق اللاحي

والحكم أن يدعي *** إليك بالراح

أنامل العناب *** ونقلك الورد

حفا بصدغي آس *** يلويهما الخد

لله أيام دارت *** بها الخمر[1]

من كل ما سبق نستدل على أن الموشحة نشأة وظهوراً وفناً وموضوعاً فهي ظاهرة نشأت لإرتقاء وملائمة حاجة الشعب ورغم كثرة الأوزان والقوافي فهي فن جميل وبديع أضاف إلى التراث الفني نوعاً أخر من الفنون الشعرية الإنسانية. ولا يفوتنا دور المرأة الأندلسية في ذلك فقد إستهرت المرأة الأندلسية بفن الغناء وهو الميدان الذي بدأ من الموشحات ينمو في رحابة ويزدهر ولكن ما دام التوشيح يقتفي آثار القصيدة فإن الموشحة لا بد أن تقتحم هذا الميدان.

الخاتمة

1- المغرب / ج 1 / ص 266

فتح العرب بلاد الأندلس، ومكثوا فيها ما يزيد عن ثمانية قرون من سنة 92هـ/710م إلى سنة 898هـ/1492م، وقد حملوا إليها فيما حملوا معهم بلاغتهم العربية، ممثلة في لغتها وأدبها. وفي بيئة الأندلس الجميلة وجد الأدب العربي كل ما يستثير الخيال، ويشحذ العواطف والوجدان، فنما وازدهر، واكتسب من مسيرته وتعايشه معها طابعاً جديداً، وسمات خاصة تميز بها، وتاريخ الأدب العربي في الأندلس هو في حقيقته جزء من تاريخ الأدب العربي العام، ولما كان أدب أي أمة هو ابن بيئتها، يتأثر بها ويؤثر فيما، ويستمد عناصر نشأته ووجوده من طبيعة أرضها، وأحداث تاريخها، وحياة مجتمعها، فقد عرضت الباحثة أحوال المجتمع الأندلسي وبنيته الاجتماعية التي لها تأثير كبير في تراثه الأدبي، كما تعرضت وبشكل موجز لتاريخ الأندلس مبينة تاريخ العرب وحضارتهم فيها.

ولقد نظم شعراء الأندلس الشعر في فنونه المتعارف عليها من مدح ورثاء وغزل وفخر وهجاء، ويلاحظ في مضمون الشعر الأندلسي والمتمثل في تجارب شعرائه الذاتية، وفيما تخلق في نفوسهم من معان وأفكار أنها نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فهو مضمون يغلب عليه سمات الحضارة والتجديد والابتكار.

وبعد أن تحدثت الباحثة عن فنون الشعر الأندلسي وأغراضه، تعرضت للحديث عن سمات الشعر الأندلسي العامة، فبينت غلبة الوصف الشعري والخيال عليه والميل في طرائق التعبير إلى الأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، وإلى بعض الأساليب البديعية كالطباق والمقابلة والمبالغة، ووجدت أن أغلب معانيهم تتسم بالجدة والطرافة، وأما ألفاظهم فتتميز بالسهولة والوضوح والعذوبة وهذه الصفات مشتركة بين شعر الرجال والنساء.

وأما من حيث دور المرأة فقد بينت الباحثة أن المرأة الأندلسية قد اسهمت في رفد العلوم المختلفة، وكان الشعر المجال الواسع الذي برزت فيه، ولعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية وأجرت على لسانها الشعر الرقيق، فضلاً عن امتلاكها اليد الطولى في البلاغة التي تعد من المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجال.

ولقد كان تأثير النساء في مضمار الشعر كبيراً من خلال مجالين: الأول: هو قيام المرأة في الأندلس بدور المؤثر في الشعر لما لها من جمال وفتنة، إذ حركت نفسية الأدب ومشاعره في التغزل بها، فكانت حديث المجالس الأدبية التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بها ويكثرون من وصفها وتشبيهاتها كما كان للجواري نصيب كبير في هذه الأشعار، إذ قيل فيهن الكثير.

والثاني: هو تأثير المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمت الأندلس، فقد ضمت مصادرنا العربيةالعديد من أسماء الشاعرات اللواتي كنّ معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلن قسطاً أكبر في هذا

المجال من الجواري والإماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء ولقد أجادت المرأة الحرة في الأندلس نظم الشعر، وضمت مصادرنا التاريخية الكثيرة منهن.

ومن خلال النظر فيما قالته شواعر الأندلس من شعر نجد أنهن قد تصدين لفنون الأدب جميعاً وأمعن في كل ذلك، إمعاناً صعب على الرجل إدراكه في مواطن كثيرة، ولا سيما في إجازتها للأبيات الشعرية، وقد تألفت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء.

وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة، فقد كانت أسرع بديهة وأكثر حاضرة وأرق طبعاً. لذلك تعرضت الباحثة لبيان صورة المرأة في الشعر الأندلسي(الصورة المادية والمعنوية). ثم بينت الأغراض الشعرية في شعر النساء وخصائصه الفنية. ثم كان الحديث عن شواعر الأندلس(الحرائر والجواري منهن).

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائـج:

تتلخص نتائج الدراسة في الآتي:

1- كانت المرأة محوراً مهماً من محاور الشعر الأندلسي، فظهرت الأم فيه مثالاً للخبرة والتضحية وإنكار الذات وكان للزوجة وضعاً مميزاً عند زوجها لها كل التقدير والاحترام. وجاءت صورة الحبيبة في الشعر الأندلسي تحفة إنسانية صادقة لازالت مثار إعجاب النقاد والأدباء، ثم إن البيئة الأندلسية شجعت الفتاة على السير في طريق العلم والأدب.

2- استطاعت المرأة الأندلسية مجاراة الرجال في مجال الشعر والأدب فظهرت قوية شامخة، لها حضوراً قوياً في الحياة الأندلسية، فقيل فيها أرق الأشعار وأعذبها، واسهمت كذلك في رفد العلوم المختلفة وكان الشعر المجال الواسع الذي برزت فيه.

3- استطاعت الجارية أن تتبوأ مكانة عإلية عند الأمراء والملوك وأن يكون لها الرأي والمشورة أحياناً.

4- لم تحتل شواعر الأندلس مكانة أدبية رقيقة لقلة ماروي عنهن من أشعار. وقد يعود ذلك إلى ضياع الكثير من شعرهن.

5- أثرت البيئة الطبيعية والاجتماعية في شخصية شعراء وشواعر الأندلس وفي تجاربهم الذاتية، فكانت أفكارهم ومعانيهم نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فجاء مضمون أقوالهم من شعر وأدب يغلب عليه سمات الحضارة والتجديد والابتكار.

6- تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر والحرائر والشعراء، ويعد شعر ولادة رمز لكل الأدب النسوي.

7- جاء الشعر مرآة لمنازعهن النفسية لما تضمن من سمات للمعاني والخيال النابعين من الأصالة والعروبة.

8- طرقت الشاعرة الأندلسية أبواباً لم تطرق من قبل، وأثبتت مقدرتها في تناولها للمواضيع القديمة برؤية جديدة، معتمدة على التراث الإسلامي متمسكة بلغتها العربية الفصيحة النقية البسيطة البعيدة عن التكلف.

ثانياً: التوصيات:

وأما فيما يتعلق بالتوصيات التي يمكن للباحثة أن توصي بها فتتلخص في الآتي:

1- ضرورة البحث في أخبار الشاعرات في العصر الأندلسي للغور في عالمهن، ولكي نطلع على أمرهن العجيب الذي شغل القاصي والداني، ولكي نزيل الشك ونرفع مزيداً من الأقاويل، فذلك أشفى للنفس وأروى للحقيقة.

2- ضرورة الاتجاه نحو التعمق في دراسة الأدب الأندلسي على اختلاف بيئاته وعصوره.

3- ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين الشعر الأندلسي مع غيره من العصور من حيث الأغراض والخصائص واللغة والأسلوب والصور والخيال.

فهرس القوافي

القافية	الشعر	الصفحة

	وأبدت لي شمس النـهار ** طالعة ذكرتني طروبا	
	يا لؤلؤا يبي العقول أنيقا ** ورشا بتقطيع القلوب رفيقا	
	الحب علم مقلتي أن تسهرا ** وقضي على بأن أذل وأصبرا	
	أظنينة دعوي البراءه شأنها ** أنت العدو فلم دعيت حبيبا	
	على وجه نزهون من الحسن محسة**وتحت الثياب العار لو كان باديا	
	لعل نفحه ان تهب لهم *** تشفي الغني وتداوي السقم والوصباً	
	جسم من الفضة البيضاء معتدل *** تخاله مشرباً من حسنه ذهبا	
	مددت يد المضطر نحوك ذلة فلم تسعفي من جاء بالذل مضطرا	
	لم أنس يوم وصاله وقد اكتسي خده من فرط الحياء خماراً	
	هنيئاً هنيئاً إمام الهدى وغوث الوجود وغيث الندى	
	وكأن ريحانة الحياة وروضها *** مستنشق من نافخاتِ هواها	
	ومانسة تزهى وقد خلع الحيا *** عليها حلى حمراً وأردية خضرا	
	وغريبة همست إلى غريرة *** فوددت لو نُسج الضياء ظلاماً	
	عبقتْ وقد حن الربيع على النّوى *** كرماً فأهداها إلى سلاماً	
	لله بستاني الذي *** يهفو بهِ القصبُ المنَّدا	
	ألا هل لنا من بعدِ هذا التفرقِ *** سبيل فيشكو كلُّ صب ما لَقَى	
	أرى روضة قد حان منها قطافها *** ولست أرى جانِ يمد لها يدا	
	يامعشرُ الناسِ ألا فأعجبوا *** مما جنتهُ لوعة الحبُ	
	قناة من الشمع مركزوه لها حرية طبعت من لهب	
	بعثت يا سيدي حلو الأنأبيب عذب المزاقة مخضر الجلأبيب	
	هي الأرض لا ورد لديها مكدر **ولا ملل مقصور ولا روض مجدب	
	غريب يا قصي الشرق يشكو للصبا**تحمله منه السلام إلى لغرب	
(ب)	جمله الدنيا ذهاب مثل ما قالوا سراب	
	بدر من بدر قد أمنت عروبة يسعي ببدر جانح للمغرب	
	ابن ليل نعمت فيه بليلي ***وعلينا من النجوم رقيب	
	يا معشرَ الناسِ ألا فأعجَبُوا *** مما جَنَتْهُ لوعةُ الحب	
	قل لعبد الله يجدد في الهرب *** نجم الثائر من وادي القصبْ	
	بلوشة قاضي له زوجة *** واحكامها في الوري ماضية	
	انا أحب الشعر لكنني ** أكره أهل الشعر بالفطرة	
(ت)	عبدك لنعمان في كفيه فجر هدي**صار لمرحل يجلوالشك والريبة	

	عزيزى من عاشق *** سفيه الإشارة	
(ح)	يقولون لي لا تجيد الهجاء **فقلت ومإلى أجيد المديح	
	زكم من كسول نؤوم الضحي *** تصبحها وهي دون اصطباح	
	تردى رداءً الحسن برداً مقوقاً فمالت له بالحب مني الجوارح	
(د)	إسمع كلامي وإستمع لمقالتي *** فهي السلوك بدت من الأجيادِ	
	قام النفاق علىأبي في ملكه فدنا الفرق ولم يكن بمراد	
	يعدي على اللوم قلبي وهي تألمه تضر كميا شكة الزرد	
	مجال العين في ورد الخدود ** يذكر طيب جنات الخلود	
	تقشي يداك سراير الإعماد**لقطاد هام وإختلاء هواد	
	لنا غرام شديد في هوى السواد تختارهن على بيض الطلى الغيد	
	ونلثم مأبين النحور إلى إلى الطلى ** وان هي غصت بالحلى والقلائد	
	إسمَعْ كلامي واستمْع لمقالتي *** فهي السلوكُ بَدَت من الأجيادِ	
	وعسى رميكيةُ الملوكِ بفضلها *** تدعو لنا بإلمنِ والإسعادِ	
	لو كنتَ حاضرنا فيها وقد غَفِلَتْ *** عينُ الرقيبِ فلم تنظُر إلى أحدٍ	
	لله در الليالي ما أحسنَها *** وما أحسنَ منها ليلة الاحدِ	
	أدر لنا أكواب *** ينسى بها الوجد	
(ر)	حنايا كأمثال الأهلة ركبت ** على عمد تعتد في جوهر البدر	
	تنامُ ومدُنفها يسهرُ *** وتصبرُ عنه ولايصبرُ	
	الليلُ عندَ قَدِمَ الليلُعند سيرإلنهارِ وبدأ البدر مثلَ نصفِ سوار	
	سقاه الحيا لوكان حيا ما أعتدي ***على زمان باطش بطش قادر	
	لما أعطي قومي حاجة **بيد شيئا يلقاه بدر	
	ولما عزمنا ولم يبقي من ** مصانعة الشوق غير إلسير	
	فأصبحت فيه لاتحلين غيره *** إلى مقضي يوم القيامة والحشر	
	ومشتمل بالحسن أحوى مهفهف *** قضى رجع طرفي من محاسنه الوطر	
	عقيلة خدر من ذوابة غالب *** لها النجم شنف والجبين هو البدر	
	فإن تلم فاللوم حقي إن *** اوسعتي عذاراً ففضل كبير	
	نادى الجهاد بكم بنصر مضمر *** يبدو لكم بين القنا والضمر	
	مِنْ بعدِ سبعٍ كأحلامٍ تَمرُّ وما *** ترقى إلى الله تهليلٌ وتكبيرُ	
	لئن حلأتْ عن ثَغْرها كلَّ حائمَ *** فما زال يحمي عن مطالبهِ الثغرُ	
	وفرَّ من حولهِ تلك الجيوش كما *** تفرُّ إنْ عاينتْ صقراً عصافيرُ	

	حَفِظَ اللهُ حبيباً *** نزحا خشيةَ الهجرِ	
	يَحُلُ سوُء بقومٍ لا مردَّ له *** وما تُرَدُّ من اللهِ المقاديرُ	
	ومنزلة للتصأبي خلت *** وكان الظرف عمارها	
	أذنبتُ ذنباً عظيماً *** فَكْيفَ منْإعتذِارى	
(س)	إن الجنة بالأندلس *** محبلي حسن وريا نفس	
	درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم ** فيها صدور مراتب ومجالس	
	حتى إذا ما الليل قوص ** راحلاً عند الغلس	
	هل درى ظبي الحمى أن قد حمى *** قلبُ صبَّ حله عن مكنسِ	
(ض)	إن جسمي كجماعة بأرض *** وفؤادي ومالكيه بأرض	
	يابانة تلوى معاطفها العنا *** للحسن بين حدائق ورياض	
(ع)	ولقد راني من هواي بمنزل ** عال وراسي ذو غدائر اقترع	
	والعيش أغير ساقط أفنانة *** وكان أطيبة لنا والمرتع	
	أبا عبدالله أسمعْ وخُذْ لمقالتي أوْدَعْ	
(ف)	أطرينا غيم يمازج شمعسة *** فيشر طورا بالسحاب ويكشف	
	غناء مغنية بحسن غناها عن لذة المغني وطيب الألف	
	أما نسيم الريح عَرفٌ مُصرفُ *** لناهل لذات الوقف بالجْزعِ موقفُ	
	ويابدركم قد شبهوك بوجهها *** لقد غلطوا ما مشرق مثل خاسف	
(ق)	يامَنْ له ألف خِلّ *** مِنْ عاشقٍ وصديقِ	
	عليك سلام الله إني مفارق وحسبته ذاداً من حبيب مفارق	
	لذكرك ما عبّ الخليج يصفق**وبإسمك ما غني الحمام المطوق	
	أن يوم الفراق أفظع يوم**ليتني مت قبل يوم الفراق	
	يا سيد الارسال غير مدافع واجلهم سبقا وان هم اعتق	
	كأن السحاب الغر أصبحن أكوأسا لنا وكان الراح فيها سنا البرق	
(ك)	ما للمدام تُديرها عيناك *** فميلُ في سكر الصبا عِطفاكِ	
	يا أخا البدر سناء وسنا *** حَفِظَ اللهُ زمانا أطلعك	
	هاك شيخ قاده عذراً لكما نام في رقصته مستهلكا	
(ل)	تبدت لنا وسط الرصافة نخلة *** ثناءت بارض الغرب عن بلد النخيل	
	مإلى بشكر الذي أوليت من قبل *** لو أنني حرت نطق الأنس والخبل	
	ألا حيَّ بالغرب حَّيا حلالاً أنا خوا جمالاً وحازو جَمَالا	
	ياهند هل لك في زيارة فتية نبذو المحارم غير شرب السلسل	

	ياسيدا حاز العلا عن ساده شم الأنوف من الطراز الأول	
	عرج على ذاك الجناب العإلى**وأحكم على الأقوال بالآمال	
	أزورهم لا للوداد وقد دروا**فيلقوني بين التودر والغل	
	والطرف ذو غنج والعرف ذو أرواح **والخصر مختطف والمتن محمول	
	قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ *** بسقط اللوى بين الدخولِ فحولِ	
	الآن سحَّ النصرِ فإنهملا *** وقام صفوُ عمود الدين فإعتدلا	
	كم من أسير موثق بقيوده *** أمسى وأصبح موثقاً مغلولا	
	دعا شوقه يا ناصر لشوق دعوة *** قلباه طل والدمع يجري ووابله	
	لو كنْتَ تُبصرُ منْ تُكَلِّمهُ *** لغدوتَ أخرسَ من خلاخِلِهِ	
	رضيت قضاء الله في كل حالة على وأحكاماً تيقنت عدلها	
	أفهم مطارح أحوإلى وما حكمت به الشواهد وأعذرني ولاتلم	
	ولادةٌ قد صِرت ولادةٌ من غيرِ بعلُ فضَح الكاتمِ	
	مافي المغارب من كريم يرتجي إلا حليف الجود إبراهيم	
	إني إليك أبا المعاصي موجعة أبا المخشي سقته الوالف الديم	
	وكأن عينيها نصفتا**ما في فؤادك من جوى السقم	
(م)	وجب القيام عليكم إذ بالنصاري قمتم	
	أما زمان مضى عهده حميداً *** لقد جار لما حكمْ	
	لئن تركت ضميراً عن ميامننا *** ليحدثن لمن ودعتهم ندم	
	فمع الأصيل النهر درع سابغ *** ومع الضحى يلتاح منه حسام	
	إنْ ما قلتَ حقاً *** من نقضي عهدٍ كريمً	
	يُحْسَبْنَ من لينِ الكلامِ فواحشاً *** وَيَصُدُّهنَّ عن الخنا الإسلام	
	لي صاحبٌ ذو بهجةٍ قد قابلت منقاَبظهر وإستحلتْ جَرمُها	
	وأن إرتياحي من بكاء حمامة**كذي شجن داويته بشجون	
	هي الأمور كما شاهدتها دول ** من سره زمن ساءته أزمان	
(ن)	كلَّ شيخ تراه يكثرُ في كسب *** الجواري فخذه لي بالقرونِ	
	النهرُ سلَّ حُساماً *** على قُدود الغُصون	
	والزهرُ سق كماماً *** وجدً بتلك اللحونِ	
	أتجزعأن قالوا ستطعن المعان وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا	
	أو صاَغة ورقا محضاً وَتوَّجهُ من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً	
	أضحى التنائي بديلا عن تدانينا ** وناب عن طيب لقيأنا تجافينا	

(هـ)	اغتربنا أنت من بجانه ** وأنا متغرب من قرملبه	
	يانسيم الريح بلغ خبرى إن اتيت الربع أو جئت حماه	
	أضاءت لها فجر النهي فنهاها عن الدنق المغني بحر هواها	
	ذكرت صقليه والآسي يهيج للنفس تذكارها	
	بن شقر وملتقي نهريها *** حين القت بنا الأماني وعضاها	
(ي)	فقلت شبيهي في التغرب والنوى *** وطول الثنائي عن بني وعن اهلي	
	وعائبةُ خَطى فقلتُ لها أَقصرى فسوفُ أُريك الدرَ في نظم أسطري	
	أحبَتَنا أني بلغتُ مُؤْملي وساعَدنَي دَهْرى وواصَلَني حُبي	
	عائبة خطي لها أقصري فسوف أريك الدر في نظم أسطري	
	لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي	
	وأغرس في محبتك الأماني **فاجني الموت من ثمرات رسي	
	ملك الخلافة أيه الإقبال ** وسعودة موصوله بتوإلى	
	وباء بحري لا يرام**كما باء إبليس الذي لم يزل يغوي	
	وددت بأن القلب شق بمدية *** وأدخلت فيه ثم أطبقفي صدري	
	مالقلبي إذا هفا البرق حنا وصبا للنسيم من ارض لبني	
	إني حبستُ على قلبي يدي بيدي *** وصحت في الليلة الظلماء واكيدي	
	إليكم يحن القلب في كا ساعة *** ونحو مغانيكم تلفت ناظري	
	فلا تَكُنْ أجهَلَ مَنْ في الورى *** يبيتُ في الجهلِ كما يُضحي	
	أذنبت ذنباً عظيماً *** فكيف منك إعتذاري	
(ء)	ما صون دين محمد من ضيمة**إلا بسيفك يوم كل جلاء	

المصادروالمراجع

1. الأدب العربي في الأندلس: عبدالعزيز عتيق، ط دار المعارف، القاهرة (1979م).
2. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: مصطفي الشكعة – ط3 – بيروت دار العلم الملايين .
3. الأسس الفنية للابداع في الشعر خاصة: للدكتور مصطفي سويف، طبعة المعارف، مصر، (1959م).
4. الإحاطة في تاريخ أخبار غرناطة: للسان الدين الخطيب، ط القاهرة، (1319هـ).
5. الأسرة والمراة: صلاح الدين الناهي: بغداد، شركة الطبع والنشر الأهلية، (1985م).
6. الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر خاصة: لمصطفي يوسف، دار المعارف ،مصر ط2.
7. الأسس الجمالية في النقد الأدبي: لأحمد بدوي، ط1، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، (1985م).
8. الإسلام والشعر: سامي مكي، الكويت، عالم المعرفة، (1983م).
9. الإسلام في المغرب والأندلس: ليفن بوفنسال، ترجمة عن الفرنسية السيد عبدالعزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي.
10. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لأحمد يحي الغبي – القاهرة – دار الكتاب العربي (1967م).
11. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: الحافظ جلال الدين الأسيوطي محقق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي، (1964م) .
12. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشي – مج2 – طبعة بيروت (1950م).
13. تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس: د.السيد عبدالعزيز سالم، الإسكندرية، 1998م.
االتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة: لعبدالرحمن على الحجي، ط1، دمشق، دار القلم، (1976م).
14. تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة): للدكتور إحسان عباس، ط الخامسة، دار الثقافة.
تاريخ المغرب والأندلس: لأحمد مختار العبادي، جامعة الإسكندرية، مؤسستة الثقافية الجامعية.
15. تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: لابن الفرضي، نشر السيد عزت العطار، القاهرة.
16. تاريخ أفتتاح الأندلس: لابن القوطي القرطبي:تحقيق عبدالله الطباع، ط بيروت.
17. تاريخ مدينة الحرية الإسلأمية: السيد عبدالعزيز سالم – دار النهضة العربية – بيروت.
18. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: تحليل الصفدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (1969م).

19. تاريخ الفكر الأندلسي: الأنجليل جتتالت، ترجمة حسين مؤنس، طبعة القاهرة (1952م).
20. التشبيهات من إعار أهل الأندلس: لعبدالله بن الكناني – تحقيق إحسان عباس – بيروت دار الثقافة (1966م).
21. تراجم إسلامية شرقية أندلسية: محمد عبدالله عنان – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة (1980م).
22. تاريخ علماء الأندلس: لعبدالله بن محمد بن الفرضي، تحقيق الأبياري، ط بيروت (1984م).
23. التلخيص في علوم البلاغة: للقزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني –1932
24. توشيح التوشيح: لصلاح الدين الصفدي، تحقيق حبيب مطلق، بيروت، دار الثقافة، ط1، (1966م)
25. جذوة المفتبس في ذكر ولاة الأندلس: لإبن عبدالله الحميدي تحقيق الطبخي طبعة دار السعادة – مصر – (1938م).
26. جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الظاهري – تحقيق عبدالسلام هارون ط دار المعارف – مصر 1962)
27. جمهرة حمديس العقلي: لعلى مصطفي العمراني – مطبعة دار مكتبة الفكر.
28. الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الطوائف: للبير حبيب مطلق، طبعة مصر، (1965م).
29. أحكام صنعة الكلام: لأبو القاسم محممد الكلاعي، تحقيق محمد رضوان الدايه، ط2، بيروت، (1985م).
30. إحياء علوم الدين: للغزالى، دمشق، مكتبة عبدالوكيل الوري، ج3.
31. ديوان ابن خفاجة الأندلسي: تحقيق د/ السيد مصطفي غازي، ط دار المعارف الإسكندرية (1960م).
32. ديوان ابن زيدون: تحقيق على عبدالعظيم – ط القاهرة (1918م.
33. ديوان المعتمدبن عباد: لعلى أدهم – سلسة اعلام العرب، رقم (2)، القاهرة
34. ديوان ابن دراج القسطلي: تحقيق محمود مكي، طبعة دمشق، (1961م).
35. ديوان ابن وهبون: شرح أبي البقاء العسكري – تحقيق مصطفي السقا وابراهيم الأبياري وعبدالحفيظ – مطبعة مصطفي الباي – القاهرة.

36. ديوان ابن هانئ الأندلسي: لابن هانئ الأندلسي – تح البعلاوي – بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1994م).
37. ديوان ابن الجياب: لأبو الحسن الجياب، تح مشهور بن عبدالرحمن الحيازي، (1983م).
38. ديوان ابن سهل الأندلس: إحسان عباس – دار صادر بيروت، لبنان (1415هـ – 1995م).
39. دلائل الأعجاز: لعبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد أبوبكر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مصر (1410هـ – 1989م).).
40. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام القشتريني – تحقيق د: إحسان عباس – الدار العربية للكتاب – ليبيا أتونس.
41. المذهب: لأبي الآبار القفاعي – تحقيق ابن الأبياري الأميرية – 1975م.
42. رسائل الجاحظ: للجاحظ، وتحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة (1408).
43. أسس النقد الأدبي عند العربي: لأحمد بدوي، الطبعة الأولى القاهرة، مكتبة نهضة مصر (1985م).
44. الأسس الجمالية في النقد الأدبي: لأحمد بدوي، ط1، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، (1985م).
45. الشعر النسوي في الأندلس: محمد منتصر الريسونس – ط بيروت – دار الكتب مكتبة الحياة (1978).
46. الشعر الأندلسي في تطورة وخصائصه: الأصليو حارسيه – ت محمد محي الدين عبدالحميد – ط القاهرة.
47. الشعر العربي في الأندلس: ترجمة منير، القاهرة، عالم الكتب،(1951م) .
48. الشعر العربي في الأندلس: الكراد سوفيسكي – تحقيق محمد موسى.
49. الشعراء الأندلسيين: لاميلو غاريتا غرمت، ترجمة حسين مؤسس بدون.
50. الشعر في قرطبة: محمد سعيد محمد، ط1، ابوظبي، منمشورات الممجمع الثقافي، (1997م).
51. شرح ديوان المتنبي: تحقيق عبدالوهاب عزام، ط الأولى القاهرة.
52. الشعر والتجربة: لارشيا ملكيش، ترجمة سلمى الخضراء، مراجعة توفيق صيانع.
53. الشعر في المدارس: إريك جي بولتون، ترجمة ياسين طهن، بغداد، وزارة الثقافة، (1978م).
54. صلاح التجويد في النشر الأندلسي: لمصطفي محمد أحمد على السيوفي، الطبعة الأولى، (1405 هـ – 1985م)

55. العرب في الأندلس: لجورج غريب. الشعراء الأندلسيين: لاميلو غاريتا غرمت، ترجمة حسين مؤسس بدون.
56. العمدة في صناعة الشعر ونقده: لإبن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين، ط القاهرة
57. عنوان المرقعات والمرقصات: لنور الدين سعيد، ط2، القاهرة، (1973م).
58. قضايا النقد القدامي: محمد حايل حمدان وعبدالمعطي نمر ومعاذ السرطاوي، ط1، 1990م، دار النشر الأردن..
59. قصة الأدب في الأندلس: لمحمد عبدالمنعم خفاجة، منشورات دار المعارف، بيروت..
60. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: للفتح بن خاقان – طبعة القاهرة، (1238هـ).
61. فضائل الأندلس وأهلها: ثلاث رسائل لإبن حزم وابن سعيد القسقلندي – جمعها ونشرها الدكتور صلاح الدين المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت.
62. فجر الأندلس: للدكتور حسين نؤنس حسين مؤنس، ط القاهرة، (1959م).
63. كتاب الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني – ط دار الثقافة – بيروت.
64. كتاب أرسطو طإلس في الشعر: تحقيق شكري محمد عباد، ط1، دار الكتاب، (1967م).
65. المقيد في الأدب العرب: لجوزيف الهاشم ورفاقه، ج1، ط1، بيروت.
66. النقد الأدبي وظهر الإسلام: لأحمد أمين، بيروت، دار الكتاب العربي، (1967م).
67. الشعر في المدارس: لإريك جي بولتون، ترجمة ياسين طهن، بغداد، وزارة الثقافة، (1978م).
68. الشعر والتجربة: لارشيا ملكيش، ترجمة سلمى الخضراء، مراجعة توفيق صيانع..
69. المقدمة في لنقد الأدبي: لعلى جواد الطاهر، الطبعة الثانية لسنة 1983
70. الموسيقي الشعرية: إبراهيم أنيس، طبعة دار القلم بيروت.
71. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي ود بدوي، طباعة مصر، (1381هـ – 1962م)..
72. التشبيهات من إعار أهل الأندلس: لعبدالله بن الكناني – تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثقافة (1966م).
73. العقد الفريد: لأحمد عبد ربه – ج1 – تح، أحمد أمير، القاهرة كلية التأليف والترجمة .
74. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشي – مج2 طبعة بيروت (1950م).
75. الغزل عند العرب: حسن أبو رحاب، ط1، القاهرة (1947م).

76. الديوان: ليوسف الثلث ملك قرناطة – ط2 – تحقيق عبدالله كنو – القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية – (1965م).
77. النساء العربيات: كرم البستاني – بيروت – دار صادر – (1964م).
78. المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبدالواحد المراكشي – تحقيق ممدوح فقي – الدار البيضاء.
79. النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب: اطروحة ماجستير، ججامعة بغداد، (1977م).
80. المراة العربية في جاهليتها وإسلامها: لعبداللله عقبعي – ج2.
81. الشعر النسوي في الأندلس: محمد منتصر الريسونس – ط بيروت – دار الكتب مكتبة الحياة (1978م).
82. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام الشنتريني – تحقيق إحسان عباس – الدار العربية للكتاب – ليبيا تونس.
83. الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الطوائف: للبير حبيب مطلق، طبعة مصر، (1965م).